

بالتواضع

الغمام

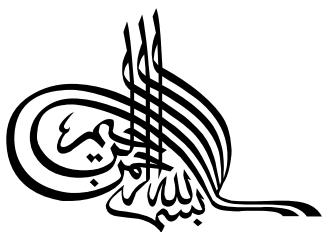
أغرسه المُجددين ...
في كلِّ الميادين ...
من العاميِّ الفقير الهمام ...
حتى العالمة الإمام

توفيق بن خلف الرفاعي

الغراس

تأليف

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿﴾ [الأحزاب: ٤٦، ٤٥].

قال رسولُ الله ﷺ:

«لا يزالُ اللهُ يغرِسُ في هذا الدِّينِ

غَرْساً يستعملُهُم فيه بطاعتهِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ».

رواه البخاري (٢٤٤٢) في التاريخ - الكنى، انظر السلسلة

الصحيحة.

بَوَابَةُ الْغِرَاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

بوابة الغراس :

س : هَلْ سَيَحْمِلُ هَذَا الْكِتَابُ شَيْئًا جَدِيدًا ، فِي الْفِكْرَةِ أَوْ فِي الْعَرْضِ ، فِي الْوَسِيلَةِ أَوْ فِي الْهَدَفِ . . . أَمْ أَنَّهُ اجْتِرَارٌ لِمَا هُوَ مَعْرُوضٌ فِي الْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ؟

س : هَلْ سَيُشَارِكُكَ^(٢) حَيَاتِكَ بِأَدَقِّ تَفَاصِيلِهَا ؟ هَلْ سَيَعِيشُ مَعَكَ فِي بَيْتِكَ ، وَأَنْتَ مَعَ أَصْحَابِكَ

(١) قد ابتدأنا بالبسملة تقصداً وتعبداً واقتداءً بكتاب الله تعالى ، وبكتب رسول الله ﷺ إلى الملوك وكتبه في القضايا ، وبكتب الأنبياء ، وبما درج عليه أهل الحديث في ابتداء كتبهم ، والأمر في ذلك واسع ، انظر : فتح الباري (١) / (١١) .

(٢) ينبغي أن يعلم القارئ أن خطابنا للرجال والنساء على حد سواء ، إلا ما فرق فيه الشرع . . . وإنما لا نترك توجيه الخطاب للمرأة إهمالاً ، وإنما يأتي على نسق : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ونحوها من أنواع الخطاب .

في المجلس، وأنت في مواجهة خضمك، وفي عمالك، وأنت على سرير الموت، وأنت على شفير القبر؟

س: هل سيجعل بمقدورك - الآن - أن تبعث في كل مرفقٍ من مرفقِ الحياة... نبض الإسلام الحي؟

س: هل سيوقظ حاسة التلقي عندك... فيجعلك تتلقى الكلمة القرآنية والنبوية فتصنع منها في سنوات - وأحياناً في لحظات - عملاً مؤسسياً نافعاً باقياً إلى يوم القيامة؟

س: هل سيعلمك اصطناع البدائل النافعة المنقذة - لك ولقومك - مهما ضاقت عليكم رحابة الأرض، واذلهمت حولكم الخطوب، وأغلقت في وجوهكم الدروب؟

س: وهل ستوقن عندها أنك قادرٌ على المساهمة في تجديد أمر هذا الدين، من خلال قراءة هذا الكتاب؟ وأنت لا تملك شيئاً من مالٍ أو منصبٍ؟

أخي . . . هل تستطيع معي صبراً؟

لَعَلَّكَ سَتَسْتَعْرِبُ مِنْ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ حَيْثُ إِنَّهَا
جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ الطَّوْرِ الْمَعْتَادِ فِي الْكُتُبِ! وما
هِيَ إِلَّا إِشَارَةٌ مَقْصُودَةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ
سَيَكُونُ عَلَى غَيْرِ الطَّوْرِ الْمَعْتَادِ فِي الْكِتَابِ
الْمَطْرُوحَةِ، كما أَنَّهَا جَاءَتْ لِتَكُونَ مُحَاكِمَةً عَمَلِيَّةً
وَفَوْرِيَّةً لِهَذَا الْكِتَابِ وَكَاتِبِهِ، وَإِنِّهَا لَتُصْلِحُ أَنْ
تَكُونَ كَذَلِكَ لِأَكْثَرِ مَا يُعْرَضُ جَدِيداً فِي الْمَكْتَبَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ كُتُبٍ جَدِيدَةٍ، وما فِي مُعْتَرِكِ
السَّاحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَفْكَارٍ عِلْمِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ أَوْ نَظْرِيَّةٍ
جَدَلِيَّةٍ، كما تَصْلِحُ أَنْ تَكُونَ مُحَاكِمَةً لِقِيَاسِ مَدَى
انْتِفَاعِ الْقَارِئِ بِكُلِّ غِرَاسٍ .

أودُّ أَنْ أذْكَرَكَ بِأَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِرْجَاعِ هَذِهِ
الْمَقْدَمَةِ - إِنْ صَحَّحْتَ تَسْمِيَّتَهَا بِالْمَقْدَمَةِ - بَعْدَ
الْمَرُورِ بِكُلِّ غِرَاسٍ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضِ .

كما أودُّ أَنْ أذْكَرَكَ بِأَنَّ الْمَأْمُولَ هُنَا لَيْسَ أَنْ تُصْبِحَ
بَعْدَ الْمَرُورِ بِهَذَا «الْغِرَاسِ» صَالِحاً وَلَا مُصْلِحاً، وَلَا

مُنْفِقاً وَلَا حَاضاً عَلَى الْإِنْفَاقِ . . . بَلْ وَلَا تَقِيّاً
فَحَسْبُ، إِنَّمَا الْأَمَلُ بِاللَّهِ أَنْ تَخْرُجَ إِمَاماً لِأُمَّةٍ
هُؤُلَاءِ الْعُضَمَاءِ . . . إِمَاماً لِلْمُتَّقِينَ . . . وكفى!
﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فِي هَذَا الْكِتَابِ شَيْئاً اسْمُهُ الْجَدَلُ
بِالْبَاطِلِ، أَوِ الثَّقَافَةُ الْمَجْرَدَةُ، أَوْ أَفْكَارُ التَّخْزِينِ
الْمَجْمَدَةُ، إِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ الْمَتَحَرِّكَةُ بِالْخَيْرِ، أَوْ
الْخَيْرُ الْمَتَحَرِّكُ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ، وَإِنْ
شِئْتَ قُلْتَ: تَفْجِيرُ الْحَيَاةِ بِالصَّدَقَاتِ
الْجَارِيَاتِ . . . هَذَا هُوَ هَدَفُ هَذَا الْكِتَابِ
وَمُحْتَوَاهُ . . . مِنْ افْتِتَاحِيَّتِهِ إِلَى آخِرِ فُصُولِهِ
وَكَلِمَاتِهِ . . . فَمَعَ أَنَّهَا تَخَاطَبُ عَقْلَكَ وَوَجْدَانَكَ . . .
إِلَّا أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ اخْتِبَارٌ لِلْأَفْكَارِ فِي مَحَكِّ
الْأَعْمَالِ، وَتَمَحِيصٌ لِلْأَعْمَالِ عَلَى مَحَكِّ الْحَيَاةِ .

وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَنْطِقَ أَعْضَاؤُكَ، وَحَيَاتُكَ،
وَالْأَرْضُ الَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهَا، تَنْطِقُ بِالصَّدَقَاتِ
الْجَارِيَةِ فِي حَيَاتِكَ، لِتَنْطِقَ بَعْدَ ذَلِكَ شَاهِدَةً لَكَ

يومَ الوقوفِ بينَ يديِ اللهِ بما تَقَرُّ به عَيْنَاكَ . . .

فَلَقَدْ رَوَتْ يُسَيْرَةٌ^(١) إِحْدَى الْمَهَاجِرَاتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
 قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالتَّسْبِيحِ
 وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقِدْنَ بِالأَنَامِلِ فَإِنَّهُنَّ
 مَسْئُولَاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ، وَلَا تَغْفُلْنَ فَتَنْسِينَ
 الرَّحْمَةَ»^(٢).

أخوكم

توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي

(١) يُسَيْرَةٌ: أم ياسر، صحابية، أسلمت وبايعت، وكانت من المهاجرات، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١٦٣/٨).
 (٢) رواه الترمذي (٣٥٨٣) كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح والتهليل، وحسنه الألباني.

المدخلُ

«فَهْمُ الْغِرَاسِ فِي ثَلَاثٍ»

- أولاً:** الأفكار المتفجرة . . . قبل الأعمال النَّصْرَةَ .
ثانياً: الأيدي الحارثة . . . قبل الظلالِ الوارفة .
ثالثاً: العيونُ الساقيةُ . . . قبل الرياضِ الباقية .

المدخل

أرجو من القارئِ المكرمِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي قِرَاءَةِ
أَيِّ مَوْضُوعٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الثَّلَاثِ الْقَادِمَةِ أَنْ
يَسْأَلَ نَفْسَهُ ثَلَاثَةَ أَسْئَلَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْعَنَاوِينِ الثَّلَاثَةِ
السَّابِقَةِ وَهِيَ :

لماذا الأفكارُ المتفجِّرةُ قَبْلَ الأعمالِ النَّضرةِ . . ؟
لماذا الأيدي الحارثةُ قَبْلَ الظلالِ الوارفةِ . . ؟
لماذا العيونُ الساقيةُ قَبْلَ الرياضِ الباقيةِ . . ؟

والجوابُ :

أَنَّ هَذَا يَجْرِي وَفَقَّ طَبِيعَةَ الزَّرَاعَةِ وَتَدْرَجِهَا،
فَالْأَرْضِي الْبُورُ كَثِيرَةٌ، وَبَدَايَةُ اسْتِصْلَاحِ مَا
يُسْتَصْلَحُ مِنْهَا بِفِكْرَةٍ تَتَفَجَّرُ فِي الذَّهْنِ قَبْلَ أَنْ
يَبْتَدِيَ الْعَمَلُ، وَلِذَا جَاءَ الْعِنَاوَانُ الْأَوَّلُ : (الْأَفْكَارُ
الْمُتَفَجِّرَةُ قَبْلَ الْأَعْمَالِ النَّضِرَةِ)، وَبَعْدَ الْفِكْرَةِ لَا

بَدَّ مِنْ تَنْفِيذِهَا بِالْحَرْثِ وَلِذَا كَانَتْ الْخَطْوَةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ: (الأيدي الحارثةُ قبلَ الظلالِ الوارفةِ)، وماذا يبقى بعدَ هذا إلا السقيُّ وانتظارُ الثمارِ ومن ثمَّ جاءَ العنوانُ الأخيرُ: (العيونُ الساقيةُ قبلَ الرياضِ الباقيةِ) .

ووفقَ هذا الحَظِّ المتدرِّجِ سيمضي كلُّ غراسٍ في هذا الكتابِ، ويَنمو ويُثمِرُ بإذنِ اللَّهِ تعالى .

وللإيضاحِ بمثالِ أقولُ: لَنْ تُبْنَى مَدْرَسَةٌ، أَوْ يُنْشَأَ مَرْكَزُ خَيْرٍ وَإِصْلَاحٍ، أَوْ أَيُّ مَشْرُوعٍ خَيْرٍ إِلَّا بِفِكْرَةٍ تَنْبُتُ فِي الذَّهْنِ ابْتِدَاءً، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ فِكْرَةٍ جَمِيلَةٍ فِي الذَّهْنِ لَهَا رَصِيدُهَا الشَّرْعِيُّ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ بَيَانِ الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ الَّذِي اسْتَنْدَتْ تِلْكَ الْفِكْرَةُ إِلَيْهِ وَنَبَعَتْ مِنْهُ بِأَدْلَةٍ تَقُولُ لِقَارِئِهَا: «إِنَّ اللَّيْبَ بِالْإِشَارَةِ يَفْهَمُ»

وبعدَ هذه الخُطوةِ تَظْهَرُ تِلْكَ الْفِكْرَةُ فِي قَالِبِ عَمَلٍ مُتْكَامِلٍ، وَمَشْرُوعٍ تَفْصِيلِيٍّ يُذَكِّرُ بِتَفَاصِيلِهِ

في موضعه من هذا الكتابِ إن شاء الله . . . ومع
هذا فلا بدَّ من إيضاح أكثر، نبيِّن فيه أهمية كلِّ
موضوع . . . وقد جاءك الإيضاحُ يَطْرُقُ بابَكَ
فاستقبله عند البابِ القادمِ.



أولاً: الأفكار المتفجرة ... قبل الأعمال النضرة

أيها القارئ الكريم ..

كَمْ تَمَرُّ بِكَ الأفكارُ الفدَّةُ البتاءةُ ... في
لحظاتِ الصفاءِ، وأحياناً في تشاغلكِ في أثناء
الانشغالِ ليلاً ونهاراً ... في المَرَكِبَةِ، أو على
الفِراشِ، وفي أيِّ مكانٍ ... ولكِنَّك تُهْمِلُها
وتنساها، وتمرُّ بِكَ الأيامُ ... وفجأةً !!

فجأةً: تجدُ فلاناً الخطيبَ أو فلاناً المصلحَ أو
الكاتبَ، قد ذكرَ فكرتكِ بذاتها! وربَّتها، ثم خرجَ بها
للناسِ حُطْبَةً مُؤثِّرةً، أو كتاباً نافِعاً، أو مقالاً قوياً،
فاستقرَّت في قلوبِ الناسِ، ثمَّ تُحوِلتُ إلى
عملٍ ... إلى مشروعٍ ... إلى حياةٍ ... فكتبَ
له بتلكِ الفكرةِ صدقةً جاريةً إلى يومِ القيامةِ.

فماذا يعني هذا؟

إنَّ هذا يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَتَحَ عَلَيْكَ - يوماً

- بهذا الفتح فلم تأبه له، وربما أعلقت دونه أبواب فِكْرِكَ، وَعَمَلِكَ، وتَطْوِيرِكَ . . . فطارت الفكرة منك! وحطت عند فلان، وربما طارت منه إلى غيره . . . وهكذا، وهكذا . . . حتى استقرت عند الموفق الذي اختاره الله لها أو اختارها له، وجعله حُجَّةً.

فما كان منه إلا أن أخذها بقوة، ورتبها، ثم نسقها، وصنّفها في عمل، ثم أخرج للناس منها مشروعاً نابضاً بالحياة، وصدقةً جاريةً باقيةً له لما بعد هذه الحياة:

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ
الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
[العنكبوت: ٦٤].

ولو أنك حسبت كم من الأفكار مرّت بك، ثم رحلت عنك كما مرّت . . . لو جدتها كثيرة جداً! يبتليكَ الله بالفكرة الصالحة وأنت تهملها، وتهمل أختها، وتذهب الواحدة تلو الأخرى،

حَتَّى يَقْبِضَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَعِنْدَكَ أَكْدَاسٌ مِنَ الْأَفْكَارِ
الَّتِي أَصْبَحْتَ حُجَجًا عَلَيْكَ . . . بَعْدَمَا كَانَتْ
مِنْنَا مِنَ اللَّهِ إِلَيْكَ . . . وَمُنْقِذَاتٍ مُرْسَلَةً
إِلَيْكَ . . . وَصِدْقَاتٍ تَجْرِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَحَسَنَاتٍ
حُسْنُهَا وَاصِلٌ إِلَيْكَ . !

فَإِنْ اسْتَمَرَّ بِكَ الْحَالُ عَلَى هَذَا الْإِهْمَالِ . . .
فَسْتَبْقَى أَنْتَ مُجَرَّدَ نُقْطَةٍ عُبُورٍ مُهْمَلَةٍ لِأَفْكَارِ الْخَيْرِ
الْمُرْسَلَةِ ! وَلَا أَظُنُّ مُسَلْسَلَ الْأَفْكَارِ النَّافِعَةِ سَيُوَاصِلُ
الْمُرُورَ بِكَ طَوِيلًا، فَلَرُبَّمَا حَلَّتْ مَحَلَّهُ أَفْكَارٌ مِنْ نَوْعِ
آخَرَ، وَمَنْ يَدْرِي فَلَعَلَّ طَرِيقَ الْخَيْرِ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى
غَيْرِكَ مِمَّنْ يُبْدَعُ فِي تَحْوِيلِهَا إِلَى صِدْقَاتٍ
جَارِيَةٍ . . . وَعِنْدَهَا سَتَكْتَفِي أَنْتَ بِالْجُلُوسِ وَالْمَتَابَعَةِ
مِنْ عَلَى مُدَرَّجَاتِ الْإِعْجَابِ الْفَارِغِ، إِنْ لَمْ تَتَهَاوَى
إِلَى دَرَكِ الضَّغِينَةِ، وَالْحَسَدِ الْقَاتِلِ !!

فَارْحَمْ نَفْسَكَ، وَارْفُقْ بِضَعْفِكَ، وَسُدَّ خَلَّتَكَ
يَوْمَ التَّغَابُنِ، وَقَدِّمُ لِلْمُسْلِمِينَ، بَلْ قَدِّمُ لِنَفْسِكَ
بِأَحْيَاءِ الْحَيَاةِ، بَغْرَسِ غِرَاسِ الْحَيَاةِ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

لا طريقَ الآنَ إلا أن تُخْلِصَ النِّيَّةَ، وتشدَّ المِئزَرَ، وتبدأ بتسجيلِ كلِّ فكرةٍ خيرٍ تمرُّ بك . . . ولا بدَّ أن تُثَوِّرَ الأفكارَ من كلِّ ما حَوْلَكَ، وكلِّ مَنْ حَوْلَكَ، ولنَّ تُحْرَمَ الأجرَ - بإذنِ اللَّهِ - وإنَّ حُرِّمْتَ التوفيقَ عندَ التطبيقِ.

إِنَّ ابتداءَ الخيرِ عادةٌ يَنْبِثُ بِفكرةٍ يَهْبُهَا اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ . . .

وقَد كَانَ ابتداءُ الوحيِ بِخَلْوَةِ التَّفَكُّرِ فِي الغارِ، نَعَمْ إِنَّ النبوَّةَ فَضْلُ اللَّهِ واصْطِفَاؤُهُ لا تأتي بِتَفَكُّرٍ ولا غيرِهِ، ولكنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الخَلْوَةَ والتَّفَكُّرَ أساساً فِي إعدادِ نبيِّهِ . . . ؟

وكانَ طريقُ الفُتوحِ الإسلاميَّةِ وخُطَّتُهُ الناجحةُ تبتدئُ بِفكرةٍ، وابتداءُ فتوحِ البحارِ كانَ فكرةً . . . ومن هذه الكوَّةِ الصغيرةِ فِي عالمِ الألبابِ تنطلقُ

أعظم الإنجازات وأكبر الصدقات الجاريات تطبيقاً في عالم الواقع، وتغييراً في مجرى التاريخ، وهو من ابتدائه إلى انتهائه فضلُ الله يُؤتاه من يشاء .

فكم وقف الجيش المسلم أمام حصون البلقان وغيرها عاجزاً عن اقتحام السُدود العالية حيث الشتاء القارس، والعدو الراصد، والمؤونة آخذة في التَفَادٍ . . فكان الفتح بفكرة .

فكرة انقذت في ذهن جنديٍّ مُجاهدٍ من عامّة الجيش، فطار بها إلى القائد قائلاً: سلّ أسيراً من الأسرى عن مدخل الحصن، فسأله فأجاب الأسير: إنّه مجرى الماء! فكان الدخول حين عَسَسَ الليل، وتنفّس الصّباح، فتحقّق الفتح العظيم، ودخل الإسلام أرض البلقان واستمرّ إلى اليوم . . . ويبقى - بإذن الله تعالى - إلى يوم القيامة . . . بفكرة .

ولو تَبَعَتْ سببَ هدايةٍ كثيراً من العظماء، وفتوحاتٍ عظيمةٍ لبلادٍ كثيرة، لوجدتّ أصلَ الفتحِ فكرةً .

إِنَّ تيسيرَ الفِكرَةِ من تيسيرِ الهدايةِ، وهذا التيسيرُ كُلُّهُ من اللّهِ تعالى، ولذلك فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يَطْلُبُهَا مِنَ اللّهِ تعالى، فعَن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَاَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَاْمَكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاَهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَاَنْصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاَهْدِ قَلْبِي، وَاَسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»^(١). فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا وَيَسِّرِ الْهُدَى لَنَا.

(١) رواه الترمذي (٣٥٥١) كتاب الدعوات، باب دعاء النبي ﷺ، وصححه الألباني.

تنبيه: - لا نذكر غالباً موضع تصحيح الشيخ الألباني للحديث ونكتفي بقولنا «صححه الألباني»، وذلك لأن الطبعة الجديدة لدار المعارف للسنن الأربعة مزيل عليها حكم الشيخ الألباني بنفس أرقامها وهو الرقم المذكور في التخريج نفسه في «الغراس».

أخي القارئ لعلك الآن تطلبُ قبساً تستضيءُ
به، أو فكرةً تُباشِرُ صياغَتَها، أو عملاً تبدأ تطبيقه
وتبليغه .

وإليك - في هذا الكتاب - هذه الثلاثة مُقَرَّبَةً،
مُيسَّرَةً معاً . . .

(القبسُ، والفكرةُ، والعملُ)

فهلْ تعجزُ عن القراءةِ ؟؟؟

* * *

ثانياً: الأيدي الحارثة... قبل الظلال الوارفة

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

هذه أيدي الكافرين تَنْطِقُ بما اكتسبت من
آثام... أفلا تجعل يدك ناطقةً لك غداً
بالخيرات؟ فإن هذه الأنامل مُسْتَنْطَقَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَوَاعَجَباً لِعُلَمَاءٍ وَدَعَاةٍ كِبَارٍ، وَطَلَبَةِ عِلْمٍ
مُجَدِّدِينَ، لَمْ يَكْتُبُوا كِتَاباً وَاحِداً، بَلْ لَمْ يَكْتُبُوا
نَشْرَةً أَوْ مَقَالاً فِيهِ دَعْوَةٌ لِلْخَيْرِ، أَوْ مُحَارَبَةٌ لِسُنَّةٍ
سَيِّئَةٍ، أَوْ رَذِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ كُفْرٌ بِوَاحٍ! لَدَيْهِمْ
الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ عَلَى الْكِتَابَةِ أَوْ عِنْدَهُمْ مَنْ يَكْتُبُ
عَنْهُمْ، فِي ظُرُوفٍ تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَهُمْ يَرَوْنَ غُرْبَةَ
الْإِسْلَامِ عُمُوماً، وَغُرْبَةَ الْعِلْمِ عَلَى وَجْهِ
الْخُصُوصِ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَهُ، وَيَرَوْنَ انْتِفَاشَ الْكُفْرِ

ولا يُحاربونه، وشيوع الرذيلة ثم لا يَنْهَوْنَ عنها!!
 لقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامة
رضي الله عنه أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى
 الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتَ
 لِيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١).

وعن عائشة **رضي الله عنها**، عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** أنه قال:
 «مُعَلِّمُ الْخَيْرِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي
 الْبَحْرِ»^(٢).

قال الشافعي **رحمه الله**: «طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ
 صَلَاةِ النَّافِلَةِ»، وقال: «مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَعَلَيْهِ
 بِالْعِلْمِ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالْعِلْمِ»، وقال:

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٥) كتاب العلم، باب فضل الفقه على
 العبادة، وصححه الألباني.

(٢) رواه البزار من حديث عائشة مختصراً، وقال الألباني:
 صحيح لغيره، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٢).

«ما تُقَرَّبَ إلى الله تعالى بشيءٍ بعدَ الفرائضِ أفضلَ
مِن طلبِ العلمِ»^(١).

والسؤالُ هنا: ماذا لو كانَ لدى هؤلاءِ مِنَ العلمِ
الكثيرِ لكنَّهم لم يُعلِّموا الناسَ الخيرَ... أَيْسْتَحِقُّونَ
هذهِ الصلواتِ الربانيَّةَ، والملائكيَّةَ، والكوْنِيَّةَ؟
الجوابُ: لا .

ومعَ هذا فإنَّ مُعلِّمي الناسِ الخيرِ درجاتٌ
ودَرَجاتٌ ...

فما أحسنَ العالمِ إنَّ جمَعَ بينَ تأسيسِ علماءٍ
شرعيِّينَ راسخينَ، وبينَ جيلٍ مِنَ طُلابِ العلمِ
المُتمكِّنينَ، معَ كُتُبٍ قيِّمةٍ فيها النافعُ الجديدُ، أو
التجديدُ النافعُ.

رُبَّما يُعذَّرُ البعضُ بتركيهم الكتابةِ والتأليفِ ...
لكنَّ أن يُعذَرَ كلُّ أحدٍ... فلا !!

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/٧٥) .

أَوْ أَنْ يُعْذَرَ الْمُتَمَكِّنُ فِي فَنِّهِ، الْمُجَدِّدُ فِيهِ . .

فلا !!

إِنَّ الْحُكْمَ يَصِلُ فِي حَقِّ بَعْضِ هَؤُلَاءِ إِلَى دَرَجَةِ
الْوَجُوبِ الْعَيْنِيِّ . . . وَالضَّابِطُ فِي كُلِّ ذَلِكَ هُوَ
الشَّرْعُ، لَا إِعْذَارُ النَّفْسِ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَلَا
الانْسِحَابُ الْمَبْرَرُ بَعْدَمِ الْقُدْرَةِ، وَدَعْوَى التَّوَاضِعِ
التَّمثِيلِيِّ، وَقَوْلُهُمْ: غَيْرِي خَيْرٌ مِنِّي وَنَحْوَ ذَلِكَ . . !

وَأَمْثَلُهُ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا عُذْرَ لَهُمْ فِي
انْسِحَابِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَيْدَانِ كَثِيرٌ فَمِنْهُمْ: - مَالِكِيُّ
تَبَحَّرَ فِي مَذْهَبِهِ تَحْصِيلاً وَدِرَاسَةً وَتَدْرِيساً، وَتَمَيَّزَ
عَنْ بَنِي مَذْهَبِهِ - فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ - بِتَرْجِيحَاتٍ
مَبْنِيَّةٍ عَلَى أَدَلَّةٍ قَوِيَّةٍ ظَاهِرَةٍ خَالَفَ الْمَذْهَبَ فِي
بَعْضِهَا - مِمَّا يَعْجِزُ عَنِ الْإِجَابَةِ عَلَى إِشْكَالَاتِهَا
أَبْنَاءُ الْمَذْهَبِ - ثُمَّ هُوَ لَا يَكْتُبُ تِلْكَ التَّرْجِيحَاتِ
كَحَاشِيَةٍ عَلَى كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِمْ، أَوْ يُؤَلِّفُ فِيهَا
كِتَاباً خَاصاً، وَيَتْرُكُ بَنِي مَذْهَبِهِ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ
مِنْ رَأْيٍ مَرْجُوحٍ مُخَالَفٍ لِنَصِّ صَرِيحٍ صَحِيحٍ فِي

العديد من المسائل... أنا لا أدعوه وأمثاله إلى نَسْفِ مذهبِهِ، وَلَكِنْ إلى حمايةِ أبناءِ مذهبِهِ مِنَ الإصرارِ على مُخالفةِ نَصِّ صحيحٍ لا يُمكن رُدُّه، كما أدعوه إلى إثراءِ المذهبِ وكُتُبِهِ بالأدلةِ المُخالفةِ والموافقةِ على حدِّ سواءٍ، وهذا مِنَ الحمايةِ لِلإمامِ وللمذهبِ ولأتباعِهِ، فالنقدُ - حِينَ يَأْتِي - مِنَ داخلِ المذهبِ خَيْرٌ مِنَ أَنْ يَأْتِي مِنَ خارِجِهِ، مَعَ إثباتِ رأيِ الإمامِ دونَ حَذْفِ أو تغييرِ، فَكَمْ مِنَ مسألةٍ لِلإمامِ فيها أَكثَرُ مِنَ قولِ، وَكَمْ مِنَ مسألةٍ لَمْ يفهَمَ بعضُ الشُّراحِ مَقْصودَ الإمامِ منها، فَصَحَّ لَهُمُ غيرُهُم، وهكذا.

لقد بلغ الانغلاقُ عندَ البعضِ حَدًّا مَقِيَّتًا، حتَّى إِنَّه لِيُخَيَّلُ لِأَكثَرِ أتباعِ ذلكِ المذهبِ - المعاصرينَ - مِنَ طُلابِ عِلْمٍ وعلماءٍ، أَنَّ الحقَّ محصورٌ فيه، وكلُّ ما خالفَهُ مِنَ المذاهبِ الأخرى مَرْدودٌ!

لا ينبغي أَنْ تَضيقَ آفاقنا العِلْمِيَّةُ عن ذلكِ،

فُصِّنَفَ مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ مِنْ قَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى هَدْمِ
المذاهبِ، وإشاعةِ الاجتهادِ المُطْلَقِ لِمَنْ لَا
يستحقُّ! فمتى كان الإصلاحُ الداخلي عيباً.؟!.

ومما يحزُّ في النفس أن تلقى أكابرَ علماءِ هذا
المذهبِ ممَّن لو سألتَهُ في مسألةٍ خارجِ مذهبه،
فكأنما هو سمكةٌ أخرجتها من البحرِ وألقيتها
على اليابسة.!.!

شافعيٌّ متمكِّنٌ في المذهبِ، وفي سائرِ العلومِ
الشَّرْعِيَّةِ، لا يزالُ يُدرِّسُ كُتُبَ المذهبِ لطلابِ
العِلْمِ، ويُملي على طلابه من التعليقاتِ الذهبيةِ
ما لا تكادُ تجدهُ في كتابٍ، كما يُملي عليهم
تحقيقاً لجميعِ أحاديثِ الأحكامِ التي يمرُّ عليها،
والأحاديثِ الأخرى التي لا تكادُ تجدها في
أغلبِ الكُتُبِ الفِقهيةِ مما تُنهي النزاعَ في مسائلَ
طالَ فيها الخلافُ، وله تعقيباتٌ قيِّمةٌ، ومُؤدِّبةٌ،
ومُنصِّفةٌ على جهابذةٍ من العلماءِ المعاصرينَ،
وهو آخذٌ في إتمامِ تدريسِ تلكَ الكُتُبِ كتاباً إثرَ

كتاب في المسجد وفي البيت .

ومع هذا، فهذا الشافعيُّ المُحَقِّقُ يَنْفُرُ مِنَ التَّأْلِيفِ نَفَرَتَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، وهو يتأكلُ في صِحَّتِهِ بسببِ مَرَضِ السُّكَّرِ الْمَتَمَكِّنِ مِنْهُ - أسألُ اللهَ له الشفاءَ -، ولكنَّه - بحمدِ اللهِ تعالى - ابتداءً التَّأْلِيفَ أخيراً، وسيرى أهلُ العِلْمِ من ذلك النفعَ الكثيرَ - إن شاء اللهُ تعالى - .

وفي المذهبِ الحَنَفِيِّ والحَنَبَلِيِّ وغيرِهِمَا من المذاهبِ كما في المذهبيِّين المالكيِّ والشافعيِّ مِنَ الحاجةِ .

شيخٌ متمكِّنٌ تلقى العِلْمَ عن العلماءِ مُتَدَرِّجاً، ودرَسَ أغلبَ العلومِ الشرعيَّةِ، وتوسَّعَ في أكثرِها، وأدَّى زكاةَ ما درَسَه حيثُ أخذَ يدرِّسُ ما درَسَه من قَبْلُ، والذي أعرَفُه أَنَّهُ إلى ما قَبْلَ كتابةِ هذه الكلماتِ عَنْهُ قَدْ أتمَّ تدرِيسَ (نيلِ الأوطارِ) كاملاً، ثُمَّ أعادَهُ مراراً كثيرةً، وقد أصبَحَتْ له عليه بعضُ الإيضاحاتِ القيِّمةِ، والملاحظاتِ

المُهَمَّةِ، والتَّحْقِيقَاتِ الرَّاجِحَةِ . . . ومع هذا لم يَنْشُرْ - حتى اللحظة - حَرْفًا واحدًا مِنْ تِلْكَ المَعْلُومَاتِ الَّتِي لَا يَسْتَعْنِي عَنْهَا قَارِئٌ لِهَذَا السَّفْرِ العَظِيمِ .

كيف والحاجة إليها أشدُّ، ذلك أن (نيل الأوطار) يكادُ يُمَثِّلُ مَنْهَجًا وتَوْجُهًا، فَإِنَّ الكَثِيرَ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ، بَلْ وَالْمُؤَلِّفِينَ المَشْهُورِينَ اليَوْمَ يأخذونَ تَرْجِيحَاتِ الشُّوكَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي هَذَا الكِتَابِ مَاخَذَ التَّسْلِيمَ فِي أَكْثَرِ مَا يَمِيلُ إِلَيْهِ الشُّوكَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى .

وهذا رَجُلٌ فُذٌّ فِي سَعْيِهِ عَلَى عَمَلِ الخَيْرِ، جَمْعًا لِلأَمْوَالِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَإِصَالَهَا إِلَى الفُقَرَاءِ، وَلَهُ فِي هَذَا البَابِ مَا لَا يُحْصَى مِنَ التَّجَارِبِ النَّاجِحَةِ العَجِيبَةِ، فَلَكُمْ اكْتِشَافٌ مِنْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ لِفُقَرَاءِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ! وَلَكُمْ قِصَى حَاجَاتِ مُعْسَرِينَ دَامَتْ عُسْرَتُهُمْ سَنِينَ، وَلَكُمْ أَسْكَنَ أَنَاسًا طُرِدُوا مِنْ بُيُوتِهِمْ لِيلاً حِينَ عَجَزُوا

عَنْ دَفَعِ أَجْوَرِ السَّكَنِ ، أَوْ شِدَّةِ الْمَطْرِ الَّتِي هَدَمَتْ
الْبَيْتَ أَوْ أَغْرَقَتْهُ . . . فَمَا أَدْرَكَهُمْ الصَّبَاحُ إِلَّا وَهُمْ
فِي بِيوتٍ أَحْسَنَ مِنْ بِيوتِهِمِ الْأُولَى !

إِنَّ مَعْرِفَةَ مَنْ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفِيفِ
تَخَصُّصٌ وَعِلْمٌ . . .

وَطَرَائِقُ جَمْعِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْمُقْتَدِرِينَ ، وَالِدُخُولِ
إِلَى قُلُوبِهِمْ عِلْمٌ وَفَنٌّ . . .

وَاسْتِقْطَابُ الرَّأْيِ حَوْلَ قَضِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ أَوْ بَلَدَةٍ
مَنْكُوبَةٍ عِلْمٌ وَفَنٌّ . . .

وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهَا الْحَقِيقِيِّينَ
كَذَلِكَ عِلْمٌ ، وَتَحْوِيلُ الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ الْعَفْوِيِّ إِلَى
عَمَلٍ مُؤَسَّسِيٍّ لَهُ فِرْعَوُهُ وَإِدَارَاتُهُ . . . عِلْمٌ وَفَنٌّ ،
وَهَكَذَا . . .

قُلْتُ لَهُ مَراراً: لِمَ لَا تَكْتُبُ هَذِهِ الْخَبَرَاتِ فَتُبْقِيهَا
بَاقِيَاتِ صَالِحَاتٍ؟ فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيَّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ: أَنَا
لَا أَحْسِنُ الْكِتَابَةَ ، أَنَا لَا أَحْسَنُ إِلَّا الْعَمَلَ!

وبمثل هذه المقولات تذهبُ القُدوةُ وأعمالُها
بموتِ صاحبِها، وبمثلِها ينقطعُ التواصلُ ما بينَ
أجيالِ الدُّعاةِ ومَن بعدهم!

عجباً! ألا تستطيعُ أن تَسرُدَ القِصَصَ العظيمةَ
والتَّجاربَ الغزيرةَ بلسانِكَ . . ؟

فلماذا لا تسرُدُها على مَن يُحوِّلُها بقلمِه إلى
مرجعٍ لأهلِها . . ؟

اكتُبْ تَجَارِبَكَ ولا تكتبْ اسمَكَ - إنَّ أبيتَ إلا
ذلك - .

اكتُبْ وانوِ بذلكِ إحياءَ سُنَنِ جاريةٍ، وإماتةَ سُنَنِ
سيئةٍ .

اكتبْ فقدْ كتبَ ربُّنا سبحانه وتعالى عن الذين
يُطعمونَ الطعامَ على حُبِّه، وعن الذين يُؤثرونَ
على أنفُسِهِم ولو كانَ بِهِم خِصاصةٌ، وعن
الصالحينَ وصالحاتهم، وجاءَ المفسِّرونَ يذكرونَ
أسبابَ النزولِ وفيها أسماؤُهُم .

اَكْتُبْ فَلَعَلَّكَ أَوَّلُ الْمُنتَفِعِينَ تَنْسِيْقًا،
وَتَضْحِيحًا، وانطلاقاً !!؟

وأخيراً فليس مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ،
وَأَهْلِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي هَذِهِ الظَّلَالِ الْوَارِفَةِ هُمْ
الْأَشْخَاصُ الْوَحِيدُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ... بَلْ
يَنْدَرِجُ تَحْتَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ حَشْدٌ هَائِلٌ مِنْ
أَمْثَالِهِمْ، وَرَبَّمَا مَنْ يَفُوقُهُمْ مِمَّنْ يَجْمَعُهُمْ قَاسِمٌ
وَاحِدٌ هُوَ أَنَّهُمْ «طَاقَاتٌ مُهْدَرَةٌ» أَوْ «جَهُودٌ مُبَعَثَرَةٌ
مُدْمَرَةٌ» أَوْ «صِدَقَاتٌ آئِيَّةٌ قَاصِرَةٌ»... وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ
عِلْمَاءٌ فِي مَخْتَلَفِ التَّخْصُّصَاتِ، شَرْعِيَّةٌ وَتِقْنِيَّةٌ،
عِلْمِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ، وَمِنْهُمْ قَادَةٌ فِي مَخْتَلَفِ
الْمَجَالَاتِ، سِيَاسِيَّةٌ وَاقْتِصَادِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ، وَمِنْهُمْ
أُمِّيُونَ لَكِنْهُمْ مُجَدِّدُونَ..

فهل سَيَكْتَشِفُ هَؤُلَاءِ - فِي هَذَا الْغِرَاسِ -
طَاقَاتِهِمْ، وَيُؤَدُّونَ دَوْرَهُمْ، وَيُخَيِّونَ حَيَاتَهُمْ،
وَحَيَاةَ أُمَّتِهِمْ قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ بَقِيَّةُ حَيَاتِهِمْ...؟!!

أَخِي الْقَارِي: سَتَرَى فِي هَذَا الْغِرَاسِ وَفِرَّةَ

المشاريع وكثرتها وتنوعها. . . وستحدثك نفسك
بأن غيرك سوف يقيم ذلك المشروع الذي
أعجبك هنا أو هناك!

وسوف تخرج في النهاية من كل هذه المشاريع
بلا مشروع. . . . ما دامت هذه منهجيتك في
التلقي!

تلقف المشروع كأنك الوحيد الذي أرسل إليه
هذا «الغراس». . . وقل لنفسك:

لو كان هذا الغراس لشخص واحد لطار
بمشاريعه كاتبه. . . !

أو كان لبلد واحد لما خرج عن حدود بلده
ومدينته وقريته. . . !

إنه السباق. . . وما دمت قد اخترت المشاركة
فليس لك القعود.



ثالثاً: العيونُ الساقيةُ ... قبلِ الرياضِ الباقيةِ

قد عَرَسَ «أبو حسين» - وَفَّقَهُ اللهُ - في هذه الرياضِ غِرَاساً... وذلك حينَ اقترحَ عليَّ بعدَما قرأ مُسَوِّدَةَ الكتابِ الابتدائيةِ قائلاً: لَيْتَكَ ذَكَرْتَ النصوصَ الشرعيةَ الواردةَ في كلِّ موضوعٍ من مواضعِ الكتابِ. فقلتُ له شاكرًا مُعتذراً: إنَّ أَعْلَبَ ما كُتِبَ من كُتُبٍ في موضوعِ الصدقاتِ الجاريةِ، إنما يذكرُ النصوصَ، ولا يكادُ يتجاوزُها إلا في حُدودِ تفسيرِ ألفاظِها أو شرحِها، ورُبَّما زادَ بِذِكْرِ رَوَائِعِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، وبعضِ الأمثلةِ الواقعيةِ، وهذه هي الطريقةُ المتبعةُ عندَ جُلِّ مَنْ كُتِبَ مِنْ قَبْلُ ... فجزاهم اللهُ خيراً، وانتهى الحديثُ عندَ هذا ..

لكنني بعدَ فِترَةٍ مِنَ التفكيرِ، عُدْتُ إلى نصيحةِ أخي عاملاً بها، جامعاً بينَ ما كَتَبْتُهُ وبينَ ما نَصَحَ

به ، واضعاً أمامَ بابِ كلِّ رَوْضَةٍ من الرياضِ القادمةِ ،
العَيْنَ الْمُتَفَجِّرَةَ التي تَسْقِي غِرَاسَ تلكَ الروضةِ ،
وَسَمَّيْنَا هذهَ النقطةَ : «عِيونَ الغِرَاسِ»^(١) . أليستَ
هذهِ الرياضُ غِرَاساً؟ إذاً فلا بُدَّ لتلكَ الرياضِ مِنْ
مياهٍ تُروِّيها ، وعيونٍ تَسْقِيها ، وما تلكَ العيونُ
المشارُ إليها هنا إلا نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ ، وما
الباقياتُ الصالحاتُ المذكورةُ هنا إلا عَمَلُ الرَّجَالِ
الصالحينَ بالكتابِ والسنةِ ، ففي البخاريِّ أَنَّ أُمَّ
العَلَاءِ زَوْجَةَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَأَتْهُ بَعْدَ
مَوْتِهِ ، قَالَتْ : وَرَأَيْتُ لِعُثْمَانَ فِي النُّومِ عَيْنًا تَجْرِي
فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : «ذَاكَ
عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ»^(٢) .

(١) المقصود بعيون الغراس هو الآيات والأحاديث أو هو التأصيل
الشرعي لفكرة المشروع المذكور قبل الابتداء بذكره لاحقاً ،
والمقصود بالغراس هو المشروع ذاته ، ثم يأتي هنا تخصيص
النخلة من بين الغراس لتخصيص النصوص الشرعية لها من
بين عموم الغراس وسيظهر ذلك جلياً بإذن الله .

(٢) رواه البخاري (٧٠٨١) كتاب التعبير ، باب العين الجارية في
المنام .

وقد جعلَ البخاريُّ هذا الحديثَ في بابِ مُستقلِّ قائلاً: (بابُ العينِ الجاريةِ في المنام)، حتَّى لو لم تكنَ عيناً مُتفَجِّرةً ولا جاريةً فإنَّ نَزَعَ الماءِ ولو بالجُهدِ والتعبِ خيرٌ يعمُّ، ورحمةٌ تنتشرُ، وعمَلُ جارٍ يعمُّ خيرُهُ ويبقى أثرُهُ، فقد قال الإمامُ البخاريُّ في صحيحه في كتابِ التعبيرِ: «بابُ نَزَعِ الماءِ مِنَ البئرِ حتى يروي الناسُ» وروى فيه حديثاً عن عبدِ اللهِ بنِ عمَرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «أُرِيتُ كأنِّي أَنزَعُ بَدَلُو بَكَرَةَ على قَلِيبٍ فجاءَ أبو بكرٍ فنَزَعَ ذُنُوباً أو ذُنُوبَيْنِ فنَزَعَ نَزْعاً ضعيفاً واللَّهُ تباركُ وتعالى يَغْفِرُ له، ثمَّ جاءَ عمَرُ فاستقى فاستحالتْ غَرْباً فلمَ أرَ عبقريةً مِنَ الناسِ يَفْرِي فريه حتَّى رَوَى الناسُ وضربوا بِعَطْنِ» (١).

(١) رواه البخاري (٣٦٨٢) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر، ومسلم (٢٣٩٣) كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه. واللفظ له.

فَسَتَمُرُّ أَيُّهَا الْقَارِئُ بِتِلْكَ الْعَيُونِ قَبْلَ الدَّخُولِ إِلَى
كُلِّ رَوْضَةٍ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضِ .

فَالْعَيُونُ هِيَ النُّصُوصُ ، وَالغِرَاسُ هِيَ فِكْرَةٌ
الصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ الْمَعْرُوضَةُ بَعْدَ الْعَيُونِ ، وَمَجْمُوعُ
ذَلِكَ كُلُّهُ هُوَ الرِّيَاضُ ، وَلِذَا فَسَيَجِدُ الْقَارِئُ آيَاتٍ
وَأَحَادِيثَ مُنْتَقَاةً لَهَا دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ رَبَّمَا لَا يُدْرِكُ مَعْرَى
اخْتِيَارِهَا عَابِرُ السَّبِيلِ ، وَسَيَجِدُهَا قَبْلَ كُلِّ رَوْضَةٍ مِنْ
الرِّيَاضِ الْمَعْرُوضَةِ ، وَلَعَلَّهُ إِذَا رَجَعَ إِلَى قِرَاءَةِ الْعَيُونِ
بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الرِّيَاضِ فَهَمَّ السَّرَّ فِي انْتِقَاءِ هَذِهِ
الْمَجْمُوعَةِ مِنَ النُّصُوصِ تَحْدِيداً . . !

فَكُلُّ فِكْرَةٍ لَا تَسْتَقِي مِنْ ذَلِكَ النَّبْعِ فِغْرَاسُهَا
غِرَاسُ سُوءٍ ، وَثَمَرُهَا فَاسِدَةٌ ، وَكُلُّ عَيْنٍ مَاءٍ فَإِنَّمَا
هِيَ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ ، فَمَا أَشْبَهَ
الْمَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَا أَشْبَهَ الْغِرَاسَ
بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَرِجَالِهِ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ
السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ

أَوْ مَتَعَ زَبْدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَطْلَ فَمَا الزَّبْدُ
فِيذْهَبُ جُفَاءً وَمَا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿ [الرعد: ١٧].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله
ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ
كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا نَقِيَّةٌ
قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ
مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ
فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ
أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ
كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا
بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ
بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ
بِهِ» (١).

(١) رواه البخاري (٧٩) كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم،
ومسلم (٢٢٨٢) كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بُعث به
النبي ﷺ.

وإننا إذا تَمَكَّنَّا مِنْ أَنْ نَجْعَلَ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ
تَجْرِي بِهَذَا الطَّرِيقِ فَإِنَّ الْحَيَاةَ لَا بَدَّ أَنْ تَتَحَوَّلَ إِلَى
رِيَاضٍ خَضْرَاءَ، وَعَمُودُ الْإِسْلَامِ لَا بَدَّ أَنْ يَعلَوْ فِي
تِلْكَ الرِّيَاضِ .

وما دامَ المَاءُ العَدْبُ مُتَفَجِّرًا، وَالتُّرْبَةُ الصَّالِحَةُ
خَضْبَةٌ فَلَا يُعَذَّرُ القَادِرُ عَلَى الغَرَاثِ بِتَرْكِ
الغَرَاثِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي
يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى
يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»^(١) .

فِيَا طَلَابَ الغَرَاثِ: تَأَمَّلُوا هَذَا الحَدِيثَ العَظِيمَ
وَمُنَاسِبَةً مَوْضُوعِنَا لَهُ، (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ): (إِنْ)
الشَّرْطِيَّةُ، وَهِيَ هُنَا تُفِيدُ المُنْفَاجَةَ، بِأَعظَمِ
حَدَثٍ، فِي أَضْيَقِ فُرْصَةٍ، وَمَعَ هَذَا فَيُنْبَغِي عَلَى
هَذَا المَتَفَاجِئِ أَنْ يَسْتَشْمَرَ هَذَا الوَقْتَ بِالغَرَاثِ .

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني، انظر
صحيح الأدب المفرد (٤٧٩).

(وفي يدِ أحدكم فَسَيْلَةً): إذا . . . فهي صغيرة، بحيثُ استطاعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْمِلَهَا بيدهِ لِقَوْلِهِ: (وفي يدِ أحدكم)، وَصِغَرُهَا يعني أَنَّ ثَمَرَهَا بعيدٌ جداً . . . فلو لَمْ تَكُنِ السَّاعَةُ قائِمةً لَرُبَّمَا لَمْ يُنْتَفَعْ بها، كيفَ والسَّاعَةُ قد قامَتْ؟

(فَلْيَغْرِسْهَا): الغراسُ هنا مقصودٌ لذاته، فكأنَّه غايةٌ، فَنَجَاحُ الرَّجُلِ فِي غَرْسِ فَسَيْلَتِهِ وَتَشْبِيَتِهَا كَنَجَاحِ الْمُنتَصِرِ بِغَرْسِ رَايَتِهِ وَإِعْلَانِهَا، مع أَنَّ انتِفَاعَ الرَّجُلِ بِغِرَاسِهِ ليس مضموناً، لكنَّ الرجلَ يبقى بين أمرين، إما أَنْ يُلقِيَ الفَسَيْلَةَ مِنْ يَدِهِ فتموتُ ويموتُ هو معها، وإما أَنْ يَغْرِسَهَا فِي الأَرْضِ وَيَتْرُكَهَا، فَمَا مِنْ غَارِسٍ يَغْرِسُ إِلَّا وَلَهُ تَعَلُّقٌ وَأَمَلٌ بِالإِنْتِاجِ وَالثَّمَرِ، أمَّا هَذَا الغرسُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حِصَادُهُ فِي الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ . . . لَكِنْ أَيُّ حِصَادٍ سَيَكُونُ لَهُ، لو أَنَّهُ ألقاها على الأَرْضِ؟؟

(فَلْيَغْرِسْهَا): كَمْ هو الزمَنُ الفارِقُ ما بين الغراسِ وَبَيْنَ الإِلْقَاءِ مِنَ اليَدِ؟ فالغراسُ يَحْتَاجُ

إِلَى حَفْرٍ، وَوَضْعٍ، وَدَفْنٍ، وَسَقْيٍ، وَلَعَلَّهٗ إِنْ تَمَكَّنَ مِنَ الْغَرَسِ فَلَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ السَّقْيِ، وَإِنْ تَمَكَّنَ مِنَ السَّقْيِ فَلَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الرَّعَايَةِ حَتَّى النِّهَايَةِ، وَمَعَ هَذَا فَالْأَمْرُ النَّبَوِيُّ صَرِيحٌ فِي قَوْلِهِ: (فَلْيَغْرِسْهَا)، وَمَنْ يَدْرِي فَلَعَلَّ سَاقِيًا آخَرَ غَيْرَ الْغَارِسِ يُوَاصِلُ الْمَجْهُودَ فَيَسْقِيهَا أَوْ يُحَدِّثُ اللَّهَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا . . .

(فَلْيَغْرِسْهَا): فَلَوْ أَنَّ عَمَلًا أَفْضَلَ مِنَ الْغَارِسِ فِي حَقِّ هَذَا الرَّجُلِ لَبَيَّنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَالْمَتَوَقَّعُ - مِنْ قَبْلِنَا - فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنْ عُمْرِهِ بَلْ مِنْ عُمْرِ الدُّنْيَا كُلِّهَا أَنْ يُلْقِي فَسِيلَتَهُ، وَيَنْفُضَ يَدَهُ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ، وَيَقُومَ إِلَى الْمَاءِ وَيَتَوَضَّأَ وَيَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ مُصَلِّيًا دَاعِيًا، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: (فَلْيَغْرِسْهَا)، فَالصَّلَاةُ وَالِدُعَاءُ لَهُ وَحَدَهُ، وَالْغَارِسُ لَهُ وَلِغَيْرِهِ . . . وَالصَّلَاةُ وَالِدُعَاءُ وَالْأَذْكَارُ كُلُّهَا سَتَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ، وَأَمَّا الْغَارِسُ فَسَيَبْقَى أَجْرُهُ وَنَفْعُهُ بِبَقَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ . . . وَالْغَارِسُ هُوَ وَاجِبٌ تِلْكَ اللَّحْظَةِ، وَلَيْسَ الْوَضُوءُ

والصلاةُ والدعاءُ . . . ولو تركَ الغراسَ في تلكَ اللحظةِ ولجأً للصلاةِ لربَّما ظهرَ له عمَلٌ ثالثٌ فتركَ ما شغَلَ به وهُرِعَ إليه . . . وهكذا .

فهذا هو سرُّ هذا الترتيبِ في تقديمِ العيونِ على الغراسِ في هذه الرياضِ، ومِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا كذلكَ في هذا الحديثِ أن يكونَ نوعُ هذا الغراسِ (الفَسيلةُ)، فإنَّه لا يخفى ما لهذه الشجرةِ الكريمةِ من استشهادٍ محمودٍ في النصوصِ الشرعيةِ . . . وما لها مِن دَلالةٍ على الحياةِ والإحياءِ، وشبَّهَ بالمؤمنينَ خاصَّةً، ولها فوائدٌ بجميعِ جُزئياتِها . . .

إنها الشجرةُ التي قالَ عنها النبيُّ ﷺ: «إنها شجرةُ المؤمنِ» كما في حديثِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما المتفقُ عليه .

الشجرةُ التي رجا النبيُّ ﷺ أن يكونَ غرسُ شِقْمِي جَرِيدَتِهَا الخضرَاءِ على القَبْرَيْنِ سَبباً لتخفيفِ العذابِ عنهما .

الشجرةُ التي اختارَ اللهُ ثمرتها لتكونَ أولَ ما

تَطْعَمُ مِنْهَا مَرِيْمٌ بَعْدَمَا وَضَعَتْ عَيْسَى
 ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَيْرًا
 ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ
 أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
 الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٥ - ٢٦].

الشجرة التي اختار الله ثمرتها لتكون أول طعام
 يُحَنِّكَ به الوليد في استقباله الحياة من طعام الدنيا،
 واختارها أول طعام يفتق فم الصائم ومعدته، وأول
 طعام يأكله الخارج لعيد الفطر.

الشجرة التي إن أحرقت فأصبحت رماداً أصبح
 رمادها دواءً كما داوت فاطمة رضي الله عنها نَزَفَ أبيها
 بإحراقها صلى الله عليه وسلم الحصير.

وهكذا كانت الأرض المباركة... المدينة
 المنورة «أرضاً ذات نخلة»، تلك التي رآها النبي
صلى الله عليه وسلم قبل هجرته.. فعن أبي بردة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت في المنام أنني أهاجر من مكة
 إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها

اليَمَامَةَ أَوْ هَجَرَ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَاِنْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ^(١)، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ^(٢).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَحْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ»^(٣).

فَنَعَمَ الْأَرْضُ تَلِكَ الْأَرْضُ . . .

(١) (وَاللَّهُ خَيْرٌ): أَي: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ فِي الرُّؤْيَا، ثُمَّ فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: (وَإِذَا الْخَيْرُ . . .)، وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ (وَاللَّهُ خَيْرًا): وَهِيَ أَوْضَحُ، فَالْوَاوُ لِلْقِسْمِ، انظُرْ فَتْحَ الْبَارِيِّ (٧/٢٧٧).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٢٢) كِتَابُ الْمَنَاقِبِ. بَابُ عِلَامَةِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمُسْلِمٌ (٢٢٧٢) كِتَابُ الرُّؤْيَا، بَابُ رُؤْيَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - مَعْلَقًا بِصِيغَةِ الْجَزْمِ - كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابُ هِجْرَةِ الْحَبِشَةِ.

ونعم الصِّفَةُ تلك الصِّفَةُ . . .

وهل مِنْ أرضٍ في هذه الأرضِ أَثْمَرَتْ كَثَمِرِ
المدينةِ المنورةِ . . ؟!

واللَّهِ أسألُ أن يبارِكَ في هذه الرياضِ ، وفي
غراسِها ، وفي قارئِها ، وما يَغْرُسُ .

وقد آن لنا دخول بوابة الغرس الأول بعدما
حُرثت أرض الرياض بالمقدمات المؤصلة ،
وفجرت بالعيون الساقية ، وغرست بالفسائل
المباركة ، وما كانت تلك المقدمات المؤصلات
إلا خدمة لما سيأتي من غراس فالغاية أمامك .

وما هي إلا اثنان وعشرون غراسا ، كل غراس
روضةً بأكملها ، دانٍ جناها للقاطفين مقربة
فسائلها للغارسين . . .

الغراسُ الأوَّلُ

غِرَاسُ الأَحَاسِيسِ الحَارِثَةِ

العيونُ الساقيةُ ... لغراسِ الأحاسيسِ الحارثة

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۗ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

عن أم سلمة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبَارِكَ لِي فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي، وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ آمِينَ». أخرجه الحاكم في المستدرک رقم (١٩١١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

غراس الأحاسيس الحارثة

حدثني أخي في الله (عبدُ الله) قال: دخلتُ
البارحةً محلًّا لبيع الأزهارِ وأشجارِ الزينة،
وتجولتُ في نواحيه، ونظرتُ في أزهاره
ووروده، ثمَّ هممتُ بالخروج ..

وبينما أنا عند البابِ قال لي الشابُّ الفلبينيُّ
العاملُ في المحلِّ: لو سَمَحْتَ، أريدُ أن تُعرِّفني
شيئاً عن الإسلام!

فوقفتُ أحدثه نصفَ ساعةٍ تقريباً ثم قال لي: أنا
مُقتنعٌ تماماً بالإسلام.

فقلتُ له: ولمَ لا تسلِّم، فلربِّما أدركك الموتُ
وأنتَ غيرُ مسلمٍ؟

فقال: ليس الآن!

عندها أحسنتُ أنَّ ثمةَ عائقاً يَنْتَظِرُ ذلكَ الشابُّ
زواله! فالتفتُ فإذا والدُه ينظرُ إليَّ بحنقٍ شديدٍ،

فقلتُ لوالدِه: كَمْ عمركَ الآن؟ قال: سبعونَ . . .
وزادَ تقطُّبُ جبينِه!؟

فقلتُ له: ماذا أعطاكَ دينكَ الذي أنتَ عليه
خلالَ السبعينَ سنَّة؟

هل أعطاكَ السعادةَ . . ؟!

هل حصلتَ على القناعةِ العقليةِ . . ؟!

هل أجابَ على مُعضلاتِكَ العيبيَّة؟

هل تعرفُ شيئاً مُقنعاً عن الدارِ التي أنتَ سائرٌ
إليها بعدما بلغتَ السبعينَ . . ؟!

قال: لا شيء!

قلتُ: فلمَ لا تنظرُ فيما تبقى من عمركَ في
الإسلامِ!؟

وحدَّثته قليلاً، فزالَ تقطُّبُ جبينِه وانبسطتْ
أساريُّه، وظهرَ عليه الانسراحُ . . . ثمَّ أوصلتُهما
إلى منزلِهما واتفقنا على التَّزاورِ والتَّحاورِ، وأنا
مُتفائلٌ بدخولِهما الإسلامَ قريباً بإذنِ اللهِ .

ثُمَّ قَالَ لِي صَاحِبِي بَعْدَ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مُسْتَبْشِرًا:
مَاذَا تَرَى؟

قُلْتُ لَهُ: يَا أَخِي عَبْدَ اللَّهِ: أَقُولُ لَكَ كَمَا يَقُولُ
الْعُلَمَاءُ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سُنَنًا كَوْنِيَّةً قَدْرِيَّةً يُؤَدَّبُ بِهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا أَنَّ لِلَّهِ سُنَنًا شَرْعِيَّةً . . .
وَلَعَلَّ هَذَا الْمَوْقِفَ كَانَ تَأْدِيًّا لَكَ بِالسُّنَنِ الْقَدْرِيَّةِ!
قال: وكيف؟

قُلْتُ: أَنْتَ دَخَلْتَ الْمَحَلَّ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مِنْ هَمِّ
إِلَّا الْأَزْهَارُ! تُفَكِّرُ فِي الْأَزْهَارِ الزَّاهِيَةِ وَالذَّائِيَةِ،
وَلَا تُفَكِّرُ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَالْجِنَانِ الْبَاقِيَةِ!

حَتَّى إِذَا انْتَهَيْتَ وَأَوْشَكَتَ عَلَى الْخُرُوجِ، ذَكَرَكَ
اللَّهُ بِنَفْسِهِ بَعْدَمَا نَسِيْتَهُ! فَعِنْدَ بَابِ الْخُرُوجِ نَادَاكَ
الْكُفْرُ بِنَفْسِهِ يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَعْرِضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ!
هَكَذَا حِينَ تَتَحَوَّلُ حَرَكَةُ الْقَلْبِ وَالنَّظَرِ نَحْوَ اللَّهِ
وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، تَتَحَوَّلُ الْحَيَاةُ عَلَى إِثْرِهَا تَحَوُّلًا
جَذْرِيًّا إِلَى دَعْوَةٍ وَدِينٍ وَعِبَادَةٍ فِي هَذَا

الاتجاه... فمع أنّ العينَ هي العينُ، وأنّها لن تتوقّف عن طبيعتها، إلا أنّ حركتها ستتحول حركة دعوةٍ وغراسٍ...

إنّ حواسّ الداعيةِ الهُمَامِ الحارثِ تتلقّى الأخبارَ والوقائعَ والمناظرَ كما تتلقّاها حواسُّ سائرِ الناسِ، وترى فيها من الجمالِ ما تراه الحواسُّ الأخرى، لكنّ تميّزها بتلقّيها تلكَ المناظرَ وتحويلها إلى سبيلِ دعوةٍ ونُصرةٍ دينٍ، فما الفارقُ بينَ عَيْنِ الخليلِ الناضرةِ إلى المُلكِ والملَكوتِ وبينَ عيونِ قومهِ الناضرةِ إلى الأشياءِ نفسها ﴿وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، لقد توقّف القومُ عند حاجزِ النّجمِ والقمرِ والشمسِ، وتعدّى إبراهيمُ إلى اليقينِ، إلى الوحدانيةِ إلى اللهِ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]، وهذا التحولُ هو أكبرُ أهدافِ هذا الغراسِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨].

إذاً: فقضية نزول السكينة عليك، وفتح الله القلوب والدروب على يدك . . . متعلقة أساساً - بعد فضل الله تعالى - بما في قلبك من همّة حرث، ونية غرس، وغيره على هذا الدين.

وهذا الذي في قلبك لا يعرفه إلا ربك سبحانه . . . فلا تشغلنك عنه زهرة محل بل ولا الحياة الدنيا وزهرتها، ولا يغلبن هم الإسلام في قلبك همومك الخاصة، ومشاغل ومشاكل دنياك ولا أفراحها .

فإذا كان الأمر كذلك فأبشر بالسكينة، وأبشر بفتح الله على يدك حتى لو كان علمك قليلاً، وقلّمك ضعيفاً، ولسانك معقوداً.

إن حادثة «عبد الله» في محلّ الزهور حادثة صغيرة، في محلّ صغير، لكنها في حقيقتها تُبين نتيجة حمل الهم الكبير إذا خالط الهموم فعلاً!

إنها حادثةٌ صغيرةٌ، لكنّها بالنسبةِ لواقعِ الدعاةِ
وطلّابِ العِلْمِ وممارستِهِم لأعمالِ الحياةِ تُعدُّ
وظيفةً عظيمةً!

إنّه مثلٌ صغيرٌ لكنّه إذا سيطَرَ هو والأمثالُ
الصغيرةُ الأخرى على جوانبِ نفسِ الداعيةِ
ملكَتْ عليه نفسه، فملكنا الحياةَ بإذنِ اللهِ تعالى .

إنّه مثلٌ صغيرٌ تمثّل فيه إهمالُ جهازٍ واحدٍ من
أجهزةِ الإنسانِ، وهو النظرُ، فكيفَ إذا صحّت
عدسةُ العينِ وزالتْ غشاوتُها عنْ نظرَتِها، وأفادتِ
الأذنُ عندَ تلقّيها للأخبارِ وصحّتْ تفسيراتُها،
وتعافتِ اليدُ والرجلُ والشعرُ والبشرُ والعظمُ
والعصبُ والمُخُّ وبقيةُ الأحاسيسِ الإنسانيةِ . . ؟
عندها يتحوّلُ الداعيةُ حقيقةً إلى «صِبْغَةِ اللَّهِ»
وتتحوّلُ أحاسيسُهُ بحقٍّ إلى أحاسيسِ حارثيةٍ . . .
فمتى نُغيّرُ هذه العدساتِ، وقواعدَ انطلاقِها
واستقبالِها، لِيَتَحَقَّقَ في العبدِ وَيُحَقِّقَ ما قالَ اللهُ
تعالى في الحديثِ القدسي: «كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي

يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ
بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا؟^(١).

وهنا أقول: إذا كان هذا هو صنْعُ الأحاسيسِ
الحارثةِ في محلِّ أزهارٍ فماذا تراها صانعةً مع
كلماتِ الله وكلماتِ رسوله؟ وَهِيَ تَتَلَقَّاهَا بِالْفَهْمِ
الْجَدِيدِ، بَلْ مَاذَا تَصْنَعُ تِلْكَ الْكَلِمَاتُ الْعَظِيمَةَ فِي
تِلْكَ الْأَحَاسِيسِ؟ إِنَّ الْأَمْرَ فِي غَايَةِ الْعَظْمَةِ،
وَلِأَضْرِبَ لِمَا تَصْنَعُ الْآيَاتُ فِي الْأَحَاسِيسِ
الْحَارِثَةِ مِثْلًا . . .

إِنَّ الْمَرْءَ وَهُوَ يَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ
إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] يعودُ إلى الوراثة،
ليَتَصَوَّرَ وِلادَةَ مَا لَا يُحْصَى فِي أَعْمَاقِ الْعَقْلِ مِنْ
الْأَفْكَارِ قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَ الْفَاطَا، لِئِتْبَاعِ انْتِقَالِهَا مِنْ
هِنَاكَ، مِنْ مَصْدَرِهَا عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي مَهَّدَهُ اللَّهُ
لِهَا كَيْ تَنْتَقِلَ مِنْهُ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللِّسَانِ، إِلَى
بَابِ الْفَمِ، لِتَخْرُجَ الْفَاطَا . . . هُنَا يَتَدَخَّلُ

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، باب التواضع.

«إحساسُ الإيمانِ الأخيرِ» أو «إحساسُ الرِّقَابَةِ الأخيرِ» لِيُوقَفَ مِنَ الكَلِمَاتِ الْمُخَالَفَةِ مَا اسْتَطَاعَ مِمَّا قُدِّرَ لَهُ فَالْمَلَكَانَ يَنْتَظِرَانِ الْأَلْفَاظَ الْخَارِجَةَ. . !

فإذا ما قَوِيَ هَذَا الْإِحْسَاسُ الضَّابِطُ لِأَلْفَاظِ الْقَمِّ، مَنَعَ كُلَّ مَا فِيهِ هَلَاكُ صَاحِبِهِ، فَإِذَا ازْدَادَ هَذَا الْإِحْسَاسُ قُوَّةً - بِكَثْرَةِ التَّدْرِيبِ عَلَى رَدِّ الْأَلْفَاظِ الْآثِمَةِ - انْتَقَلَ إِلَى عَدَمِ إِخْرَاجِ الْأَلْفَاظِ الْمُبَاحَةِ الَّتِي لَا خَيْرَ فِيهَا، وَاقْتَصَرَ عَلَى الْأَلْفَاظِ النَّافِعَةِ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِذَا قَوِيَ أَكْثَرَ انْتَقَلَ تَأْثِيرُهُ الْإِيمَانِيَّ إِلَى الدَّخْلِ أَكْثَرَ، إِلَى مَسَالِكِ الْأَلْفَاظِ قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ الْأَلْفَاظُ، إِلَى أَنْ يَصِلَ أَثْرُهُ إِلَى أَعْمَاقِ الْعَقْلِ، إِلَى مَصْنَعِهَا. . . فَيَبْدَأُ يَتَحَكَّمُ فِي مَرْكَزِ التَّحَكُّمِ، ثُمَّ يَتَحَكَّمُ فِي الْوَارِدِ الَّذِي يَرِدُ إِلَيْهِ. . .

هذه صورةٌ حَقِيقِيَّةٌ يمارسُها المرءُ كُلَّ لَحْظَةٍ، كُلَّ يَوْمٍ، كُلَّ سَاعَةٍ، عِنْدَ كُلِّ لَفْظٍ، وَهُوَ يَهُمُّ أَنْ يَقُولَ أَيَّ كَلِمَةٍ. . .

صورة حقيقية وإن لم تستطع مصورات الأفلام
تصويرها، أو لم تستطع أذهان الناس رصدها...
فإذا استطعنا بإذن الله التحكم في تحويل «مصنع
الأحاسيس الداخلي» للكلمات من خلال قوله:
﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]،
فإن ذلك يُنبئ عن التحول الأعظم تحول أكبر من
مجرد مراقبة كلمات وألفاظ، وإنما هو تحول في
تحويل الأفكار لتصبح أفكاراً حارثة..

إننا حين نبتدئ بالحرث في الأحاسيس كما في
هذا الغراس، إنما نبتدئ بالمصدر الذي فيه
الاستقبال ومنه المنطلق.

وهكذا إذا استطلعنا مجاري الأحاسيس عند
الغضب، فسرى صورة واضحة عند قوله
تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فلك أن تتأمل الترقّي في الحسّ الإيماني عند
الغضب من انطلاق الغيظ من مكمنه مدفوعاً بحبّ

الانتقام من الخصم، حتى إذا بلغ مُنتَهَاهُ أَوْقَفَهُ الحسُّ الإيمانيُّ وَكَظَمَهُ وهو على مشارف التنفيذ، وعندما يقوى ذلك الحس الإيماني ينتقل أثره مترقياً إلى درجة أعلى فيصل إلى حس العفو، فإذا قوي أكثر وصل إلى مكنن القرار وتحول إلى الذروة ألا وهو الإحسان . . . أعد قراءة الآية متأملاً .

وهكذا الحال إذ قرأت قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١) [الأعراف: ٢٠١].

القضية هنا أكبر من قضية لفظ يقوله الرجل، أوفاحشة يقع فيها، وأكبر من إحساس شعوري نريد التربية عليه . . إنه وضع الإصبع على «سر الزر» أو «زر السر» وكفى . . .

* * *

(١) القضايا الثلاث التي مثلنا بها سابقاً يتساقط أمامها الناس عادةً، ولا يقدرّون على التحكم فيها، فالأولى: قضية مراقبة الكلام، والثانية: الغضب، والثالثة الشهوة.

الغراسُ الثاني

غِرَاسُ الْهِمَمِ الْحَارِثَةِ

العيونُ الساقيةُ ... لغراسِ الهمِّ الحارثةِ

قال تعالى: ﴿أَمْ لِلإِنسَنِ مَا تَمَنَّى﴾ [النجم: ٢٤].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢].

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسَكَ عَلَيَّ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم:
«ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي عليّ ثالثةً، وعندي
منه دينارٌ، إلا دينارٌ أرصدهُ لدينِ عليّ». [رواه مسلم
.(٩٩١)].

غراسٌ في أصغرِ مكانٍ ... وأقصرِ زمانٍ

بينما أنا في أصغرِ مكانٍ وأقصرِ زمانٍ تقريباً . . .
 إذ حَرَكْتُ فِكْرَتِي لِإِنشَاءِ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، فَاصطَدَمْتُ
 هِمَّتِي بِالْجِدْرَانِ السَّتَةِ الْمُحِيطَةِ بِي، فَبَشْتُ فِكْرَتِي
 إِلَى مُرَافِقِي - أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - «يَاسِر» بِصِيغَةِ
 سَوَالٍ، وَالْمَصْعَدُ الصَّغِيرُ يُقَلِّنَا مِنَ الطَّبَقِ الْأَوَّلِ
 فِي بَنكِ دُبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الطَّبَقِ الْخَامِسِ . . .
 فَقُلْتُ: كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُنْشِئَ صَدَقَةً جَارِيَةً فِي
 هَذَا الْمَصْعَدِ الصَّغِيرِ؟

صَوَّبَ النَّظَرَ إِلَى أَرْضِيَّةِ الْمَصْعَدِ إِلَى
 الْقَدَمَيْنِ . . . حَدَّدَ نَظْرَهُ، ثُمَّ صَعَّدَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ
 وَقَالَ: فِي هَذَا الْمَصْعَدِ؟! فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ . . .؟!
 مُسْتَحِيلٌ!

قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا لَا أَحْمِلُ آيَةَ فِكْرَةٍ لَصَدَقَةٍ جَارِيَةٍ
 فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ - : وَلَكِنْ لَا تَيَأَسُ أَبَدًا فَإِذَا
 صَدَقْتَ نَيْتَكَ، وَعَلَتْ هِمَّتُكَ، وَأَحْسَنْتَ التَّوَكَّلَ

على الله، والثقة به هداك الله لفكرة، ولو كنت
واقفاً وَسَطَ صخرة!

أوليس من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار؟ ألم
تنبجس اثنتا عشرة عيناً لاثني عشر فريقاً من بني
إسرائيل من صخرة بضربة؟

استعن بالله ولا تعجز...

ألا يُمكنك أن تكُتب أدعيةً على جذران
المصعد..؟

ألا يُمكنك أن تُصحح أخطاءً يكثر وقوع العامة
فيها؟ ألا يمكن أن تُثير هذه الفكرة مع إدارة
العلاقات العامة في البنك الإسلامي لتتفق مع
مكتب دعاية وإعلان فينظم هذه العملية
بمُلصقات مرئية؟

ألا يُمكن عمل شريط فيه عبارات قصيرة ونافذة
ونافذة تُثبت في المصعد؟

ألا يُمكن أن تُعلق لوحة إلكترونية فيها أزرار

تشيرُ إلى خياراتٍ نافعةٍ وإشاراتٍ هادفةٍ بضغطةٍ
زِرٍّ...؟!

نزلنا من المصعدِ ...

وسكتَ صاحبي طويلاً مع شعوري أَنَّهُ يتقلَّى في
دَاخِلِهِ وَيَغْلِي ... فكانَ بينَ الفينةِ والأخرى يذكرُ
فكرةً قصيرةً، وأنا أحفظُها ثُمَّ أرُدُّها قاصداً التحفيزَ
إلى أحسنَ منها، حتى إذا وُضِعَ الغداءُ وهَمَمْنَا
بالأكلِ قالَ لي: وَجَدْتُهَا! توقَّفْنَا قليلاً عن
الأكلِ، قلتُ: قُلْهَا.

قالَ: جُدرانُ المصعدِ، إنها أقربُ لوائحِ إعلانيةٍ
تجاريةٍ... إنَّ فترةَ مُكثِ الراكبِ في المصعدِ
كافيةٌ لأنَّ يقرأَ الإعلانَ جيِّداً ويدقِّقَ في الصورةِ
أكثرَ من لوائحِ الشوارعِ وإعلاناتِها... المصعدُ
يحتملُ إعلاناتٍ ثلاثٍ على الأقلِّ، فعلى كلِّ
جدارٍ إعلانٌ واحدٌ، ولكنْ لنضعَ إعلاناً واحداً
فقط في المصعدِ كلِّه من أجلِ زيادةِ التركيزِ.

فإذا عَلِمْنَا أَنَّ لبيتِ التمويلِ الكويتيِّ - مثلاً - في الكويتِ أكثرَ من خمسينَ مَبْنَى تجارياً، وفي أكثرِ هذه المباني مَصْعَدانِ وزيادةٌ . . . عَلِمْنَا مقدارَ الاستثمارِ المرجوِّ لوَّ أَنَا حَوَّلْنَا هذهِ الفكرةَ إلى لَجْنَةٍ أو شَرِكَةٍ مَهَمَّتْهَا استثمارُ هذا النوعِ مِنَ المصاعدِ بهذا النوعِ مِنَ الاستثمارِ بحيثُ تَعْرِضُ على بيتِ التمويلِ الكويتيِّ فِكْرَتَهَا وأنها سوفَ تستخدمُ المصاعدَ هذا الاستخدامَ في مقابلِ تحمُّلِ صيانتِها نيابةً عن البنكِ طوالَ السَّنَةِ، ثُمَّ تذهبُ هذهِ الشركةُ إلى مشاهيرِ الشركاتِ وخصوصاً تلكَ التي تُعلنُ كثيراً في الشوارعِ وغيرها فتعرضُ عليها فكرةً تحت شعارِ يقولُ مثلاً: (أقربُ إعلانٍ من عَيْنَيْكَ، أو من قلبِكَ)، وهذهِ الإعلاناتُ إنما تكونُ في المصاعدِ العامَّةِ في المباني التجاريةِّ، وليسَ في المباني الخاصةِ السكنيةِ، وتكونُ تكلفةُ الإعلانِ دينارينِ فقط لكلِّ يومٍ، وهذا يعني أنَّ سِعْرَ الإعلانِ في الشهرِ سِتُّونَ ديناراً فقط وفي الإماراتِ نَحْوُ من ثمانمائةِ دِرْهَمٍ .

فإذا كان عندك خمسون مبنًى، في كلِّ مبنًى مثلاً
مصعدانٍ فقط فإنَّ ذلكَ يعني أنَّ دخلك السنويَّ
سيكونُ اثنينِ وسبعينَ ألفَ دينارٍ كويتيٍّ . . .
فكمَ تستطيعُ أنْ تُنشئَ مِنَ الصَّدقاتِ الجاريةِ
بتمويلِ اثنينِ وسبعينَ ألفَ دينارٍ كويتيٍّ . . . أي
ما يُقاربُ مليونَ درهمٍ إماراتيٍّ سنويًّا؟! .

هذا في مؤسسةٍ واحدةٍ . . ! نعمَ واحدة!

وأخيراً تذكّرُ أخي القارئ: أنَّ موقعَ هذا
المشروعِ هو أقصرُ زمانٍ . . . في أصغرِ
مكانٍ . . . مِنْ هُنَاكَ نَبَتَ فِكْرَتُهُ، وَفِيهِ تُقَطَفُ
ثَمَرَتُهُ - بإذنِ الله - .

أيها الحارثُ الهمامُ: لا تدعُ عينيكَ تنظرُ في
الموجوداتِ نَظَرَ الذَّاهِلِينَ أو الوَالِهِينَ أو
اللاهينَ . . . ولا يُعْجِزَنَّ مخلوقٌ مِنَ المخلوقاتِ
هِمَّتَكَ في إنشاءِ صدقةٍ جاريةٍ فيه . . .

وبناءً على ذلكَ :

فَلنُنْتَقِلِ الآنَ نَقْلَةً نوعيَّةً كُبْرَى، حيثُ نُنْتَقِلُ مِنْ

أصغر مكانٍ إلى أعظم مكانٍ . . .

أرجو أن تتصوّر نفسك تُطلُّ على أعظم مكانٍ،
وأنتَ عازمٌ على إقامة مشاريعٍ جاريةٍ عليه بأوسع ما
يُمْكِنُ .

إنك واقفٌ الآن وأمامك الكرة الأرضيةُ
البلاستيكيةُ الدائريةُ . . . ! فكّر فيها جيداً والتجىء
صادقاً إلى الله تعالى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه: ٦] .

فلعلّه يهديك إلى فكرةٍ تكون بمستوى العالم،
فَتَسْقِي بها العالمينَ مِنْ مَنبَعٍ مَنْ يَتَّبِعُ مَنْ قَالَ اللَّهُ
فيه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
[الأنبياء: ١٠٧] .

إنني مُتأكدٌ أنّ الكثيرَ في هذا الزمانِ سيظنون أنها
فكرةٌ مَيِّتَةٌ، محمولةٌ على الأعناقِ مِنْ عالمِ الخيالِ،
إلى مغاسلِ الحِجْرِ، وأكفانِ الأوراقِ، ومقابرِ
السطورِ . . .

ولتَقْرِبِ التأثيرِ العظيمِ لِلْمُؤْمِنِ الصَادِقِ الهمامِ

في هذا العالم كله أقول:

إنَّ كلَّ موجودٍ له تأثيرٌ في هذا الوجودِ . . .
مقدارُ هذا التأثيرِ بمقدارِ حَجْمِهِ وتوسُّعَاتِهِ، لكنَّ
الأصلَ هو أنَّ الخيرَ الذي يُحَقِّقُهُ - بإذنِ الله -
أحدنا في هذا العالمِ ليسَ مُنفصلاً عن هذا
العالمِ، بل هو مُرتبَطٌ بما حوله، وما حوله
مرتبطٌ بما بعده، وهكذا حتى تصل الامتداداتُ
إلى آخرِ نُقْطَةٍ في هذه الأرضِ.

فلو كانت عندك كأس من الماء، فوضعت عصا
في الكأس فإن تأثير هذه العصا هو أن تزيح الماء
عن موضعها في الكأس، فإذا ما رفعتها نزل الماء
ثانية . . . وعندها تؤمن أن أثر العصا لم يكن
مقتصرًا على ما حولها من الماء، وهكذا يزداد
التأثير كلما اتسعت الكأس أو كبرت العصا . .
فالعالم من حولنا هو: كهذه الكأس، والماء من
حولنا هو: كهذا الفضاء، فأين عصاك؟ بل ألق
عصاك.

هذا هو المنطق الطبيعي، أما المنطق الإيماني فإن تأثيره في هذا العالم أعظم وأبعد من حدود هذا العالم بكثير، وأكبر تأثيراً من هذه العصا في كأس الماء . . .

إن تأثير المؤمن يسري في الوجود تماماً كما يسري النور في الظلام، أولم يصف الله تعالى رسوله ﷺ بأنه السراج المنير لكونه البشير النذير: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴿[الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

ألا ترى امتداد تأثير رسول الله ﷺ على العوالم؟ أنت سراج من ذلك السراج العظيم: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿[الأنعام: ١٢٢].

ألا ترى تأثير الخلفاء الراشدين . . . !؟

ألا ترى تأثيرَ أبي حنيفة، ومالك، والشافعي،
وأحمد، وكيف أنه امتدَّ في زمانهم، وبقيَ إلى
زماننا، وسيبقى بإذن الله إلى يومِ القيامة . . ؟!
تذكرُ تأثيرَ المُجدِّدين لهذا الدِّينِ عَبْرَ العُصورِ
الطويلة . . ؟!

فَمَنْ نَظَرَ إِلَى التَّأثيرِ بِحدودِ الجَسَدِ المادِيِّ كانَ
مِن حَقِّهِ أَنْ يَحْتَجَّ بِما يَحْتَجُّ بِهِ، وَلَهُ أَنْ يَقْعُدَ!
وَمَنْ رَبَطَ نَفْسَهُ بِاللَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ ناصِيَةُ كُلِّ شَيْءٍ،
وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ نورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، وَأَنَّ القُلُوبَ
كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّ الرَّحْمَنَ
قادرٌ عَلَى أَنْ يُوصِلَ تأثيرَهُ إِلَى كُلِّ القُلُوبِ، عَلِمَ أَنَّ
الأمرَ سَهْلٌ بِتَسْهِيلِ اللَّهِ لَهُ، وشواهدُ ذلكِ كما ذَكَرنا
فِي تاريخِ العالَمِ والعَوالِمِ كَثيرةٌ جَدًّا . . .

لذا كَرِيتُكَ الحَقُّ أَنْ تَسْتَحْضِرَ مَنْ تَشَاءُ مِنْ
النَّاسِ، مِنْ الَّذِينَ وُجِدُوا عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ
وَرَحَلُوا عَنْهَا، وَلِعَقْلِكَ الحَقُّ أَنْ يَحْتَجَّ بِكُلِّ هَذِهِ
الجُمُوعِ الَّتِي خَرَجَتْ ثُمَّ رَحَلَتْ كما جَاءَتْ . . !

نَعَمَ: إنها جاءت وما اهتزَّ لها العالمُ طرباً،
ورحلت وما بكأها العالمُ أسفاً، ونُسيت وما
ذكرها العالمُ كتباً ولا خطباً..!

وأقول: إِنَّكَ إِنْ تَذَكَّرْتَ هَوْلَاءِ فَتَذَكَّرَ أضعافَ
أضعافِهِمْ مِنَ العَجَمَاوَاتِ!

وإِنَّكَ إِنْ تَذَكَّرْتَ هَوْلَاءِ فَمَا تَذَكَّرْتَهُمْ إِلَّا لِتَحْتَجَّ
بِهِمْ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ عَلَى تَبْرِيرِ انْحِسَارِ تَأْثِيرِكَ
وَانزَوَائِهِ إِلَى هِمَّتِكَ الْمُقْعَدَةِ..!

إِنَّهُ الفِكْرُ المُسَيِّطِرُ عَلَى هِمَمِ أبنَاءِ الزمانِ...
ولابدَّ للهمامِ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حَبْسِ خِيُوطِ
العنكبوتِ، وَشَرَانِقِ الأوهامِ، وَسَوْفَ يَرَى
الشهادةَ يقيناً عَلَى الواقعِ: أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا أَمْضَاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ
اسْتَوْدَعَ فِي الإنسانِ مِنَ الأسرارِ مَا لَا يَعْلَمُهُ
الإنسانُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ...

وتحسبُ أَنَّكَ جَرْمٌ صَغِيرٌ
وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

ولعلك - أخي القارئ - سوف تجدُ جوابًا على هذا الطموح في بعضِ كلماتِ هذا الكتابِ، لكن لن يكونَ هو الجوابُ كُلُّهُ.

إنَّ عقلَ المؤمنِ قادرٌ على أن يحرثَ بهمةَ الحاثِّ، وفكره الحارثِ مُتجاوزًا كلَّ العوائقِ الوهميَّةِ، مُخترقًا كلَّ الصعابِ، وُصُولًا إلى هدفه العظيمِ بإذنِ اللهِ تعالى.

فَكَمْ مرَّةً ركبَ أحدنا المصعدَ... لكن كم مرَّةً فكرَ أحدنا بأنَّ يَسْتَخْرِجَ مِنْ هذا الموقعِ صدقةً جاريةً، وليسَ الأمرُ مُقتصرًا على المصعدِ، فثمَّة أشياء ومواقع هي أكبرُ وأوسعُ، والبقاءُ فيها أطولُ، ومع هذا فإننا نَغْفُلُ أن نُفَجِّرَ منها صدقاتٍ جاريةً، ونتصورُ أنَّ بيننا وبينَ ذلك المُحالِ...

إنَّ مَنْ يَرى كيفَ أذهبَ اللهُ مِنْ هذه الأرضِ مَمَالِكَ، وكيفَ أحيأُ أخرى... كيفَ جَعَلَ بلدةً صغيرةً قبلةً للعالمِ، وجاذبةً الوُجوهِ والوَجاهةِ،

والمال والأعمال، وجعل القلوب نافيةً من بلادٍ
كبيرةٍ أخرى.. عَلِمَ يقينًا أن الوصولَ إلى أبعَدِ
نقطةٍ في العالمِ ليسَ أمرًا مستحيلًا؟!!

كيفَ واللَّهِ تعالى يُوصِلُ الليلَ والنهارَ لكلِّ
خلقه..؟

عندها فليتذكَّرْ أنَّ دينه أكرمَ عنده سبحانه من
الشمسِ والقمرِ، ومن الليلِ والنهارِ، وأبعدَ
تأثيرًا، وأبقى أثرًا، وأعظمَ بركةً.

كيفَ ونحنُ على مواعيدَ من التجديدِ لا تنقطعُ
إلى يومِ القيامةِ..؟

مواعيدَ تجديدٍ على رأسِ كلِّ مائةِ عامٍ، ومواعيدَ
تجديدٍ لكلِّ بلدٍ من البلادِ، ومواعيدَ تجديدٍ لكلِّ
حالةٍ من الحالاتِ، ومواعيدَ تجديدٍ مُطلقةٍ،
مواعيدَ تجديدِ عظمى تعمُّ الأرضَ كلَّها، ولكلِّ
موعدٍ من هذه المواعيدِ أكثرُ من شاهدٍ صحيحٍ
من الوحيِّ، فعن تميم الداري رضي الله عنه قال:
سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيُلغَنَنَّ هذا الأمرَ

ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ اللهُ بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ
إلا أدخله اللهُ هذا الدينَ بعزٍّ عزيزٍ أو بذلٍّ ذليلٍ، عزٌّ
يعزُّ الإسلامَ وذُلًّا يُذلُّ اللهُ به الكفرَ»^(١).

وأخيرا يبقى السؤال - الموجه إليك - ومنتظرُ
جوابه منك هو: ما غراسُك - في حياتك - من
غراسِ المجددين... لك ولبلدتك ولأممتك..
لمحيائك ومماتك!؟



(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده
صحيح على شرط مسلم.

الغراسُ الثالثُ

غِرَاسُ شَجَرَةِ الْمُؤْمِنِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ شجرةِ المؤمنِ

قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ تَسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥].

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرَى أُمَّتِكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سَبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ». [رواه الترمذي (٣٤٦٢) وحسنه الألباني].

غراسُ شجرةِ المؤمنِ

لقد عَجِبْتُ لَطُولِ غَفْلَتِي عَنِ الصَّدَقَاتِ
 الجاريةِ . . . حيثُ إِنِّي أَنْطَلِقُ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَارِعِ
 طَوِيلٍ مِنْ بَيْتِي فِي مَنْطِقَةِ جَمِيرَا^(١) إِلَى مَكْتَبِي فِي
 مَنْطِقَةِ دِيرَةِ^(٢) وَبَيْنَ خُطَى الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ قَدْ
 اصْطَفَّتْ بِاسِقَاتُ^(٣) النَخْلِ . . . وَأَنَا لَا أَزَالُ فِي
 غَفْلَتِي هَذِهِ إِلَى أَنْ فَاتَحَنِي «أَبُو مُحَمَّد» جَاسِمُ
 أَحَدِ الْفُقَرَاءِ الْمُتَعَفِّفِينَ بِفِكْرَةِ عَمَلِ مَصْنَعِ لِمَاءِ
 اللَّقَاحِ .

فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَمْ مِنْ مَشْرُوعٍ جَارٍ فِي هَذِهِ
 الْبَاسِقَاتِ السَّائِبَاتِ، وَنَحْنُ نَمُرُّ عَلَيْهَا كُلَّ يَوْمٍ
 مُصْبِحِينَ وَمُمْسِينَ وَلَا نَأْبَهُ لَهَا؟ إِنَّ أَعْدَادَ النَخِيلِ
 فِي بِلَدِنَا رُبَّمَا تَجَاوَزَ الْأَرْبَعِينَ مِليُونًا، وَإِنَّ أَعْدَادَ

(١) (٢) اسم منطقتين في إمارة دبي .

(٣) طوال النخل، لسان العرب ج ١، ص ٤٢١، دار الحديث .

النخيل المثمر في الشوارع فقط أكثر من مليون نخلة تتكفل الدولة برعايتها رعاية كاملة، حتى إذا أثمرت ترك ثمرها للمارة يأخذون منه ما يشاؤون ويبقى الثمر على النخلة كأن لم يؤخذ منها شيء... ويبقى ثمرها عليها حتى ينشف، فيقطع، ويلقى في المحرقة... وهكذا هو الحال في كل عام!

عندها... بدأت أفكر وأحاور البعض وهو لا يدرك حقيقة مقصدي، وكلما مررت في هذا الشارع حاولت استخراج صدقة جارية من ذلك الحشف اليابس...

وأخيراً خرجت بمجموعة من المصانع الاستثمارية من هذه الباسقات السامقات، أسأل الله تعالى أن يهيئ لها من يحولها إلى صدقات جارية.

● أولاً : مصنعُ ماءِ اللقاح :

وهذا المصنعُ لا يكلّفُ إلا وعائِنِ كَبِيرينِ جدًّا
أو مجموعةً مِنَ الأوعيةِ . . . أحدهما تحته نارٌ
والآخرُ مُبرِّدٌ، ومغسّلةٌ يُغسلُ فيها طلعُ النخيلِ
جيداً، ومكانٌ لتقطيعه كي يُوضَعَ بعدها في الإناءِ
الساخنِ، حتى إذا غلى به الماءُ وتبخَّرَ بخارُ الطلعِ
تكثَّفَ في الإناءِ الآخرِ فكانَ ماءُ اللقاحِ . . . ثمَّ
يُعلَبُ بعد ذلكَ بالزجاجاتِ المعروفةِ .

هذه كلُّ الفكرةِ، وكلما كَبُرَتْ كميَّةُ الطلعِ ازدادَ
الإنتاجُ حتى يُمكنَ إنتاجُ مئاتٍ، وربما آلافٍ من
الزجاجاتِ المليئةِ بماءِ اللقاحِ في اليومِ الواحدِ،
فإذا عَلِمْنَا أَنَّ الزجاجةَ الواحدةَ تُباعُ بما يزيدُ على
العشرينَ درهماً إماراتياً عَلِمْنَا كَمْ سيكونُ الدَّخْلُ
كبيراً . . فلو أنتجنا كلَّ يومٍ ألفَ زجاجةٍ فقط
لكانَ مدخولُ اليومِ الواحدِ عشرينَ ألفَ درهمٍ .

فإذا أضفنا إلى هذا النخيلِ المُشاعِ نخيلَ كلِّ مَنْ

يُرِيدُ التَّبْرَعُ بِقَشْرِ طَلْعِهِ لِلصَّدَقَاتِ مِنَ التِّي تُرْمَى فِي الْعَادَةِ، عَلِمْنَا أَنَّ الْكَمِيَّةَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَحْتَوِيهَا مَخْزَنٌ وَاحِدٌ... وَعِنْدَهَا نَقُولُ لِأَبَدٍ مِنْ مَخْزَنِ تَبْرِيدِ ضَخْمٍ وَأَجْهَازَةٍ تَعْلِيْبٍ... ذَلِكَ أَنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا مَلَايِينَ النَخِيلِ عَلَى طَوْلِ الْبِلَادِ وَعَرَضِهَا .

أَلَيْسَتْ هَذِهِ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ لِمَدْخُولِ عَالٍ جَدًّا،
بِرَأْسِ مَالٍ مُنْخَفِضٍ جَدًّا، مِنْ مَالٍ مَهْدُورٍ؟!

● ثانياً: مصنع التمور:

عِنْدَ الْعِنَايَةِ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ قَلِيلاً وَخُصُوصاً فِي تَلْقِيحِهَا فَإِنَّ نِتَاجَهَا سَيَكُونُ مُمَيَّزاً وَكَبِيراً وَوَفِيراً، فَلَوْ حَمَلَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ كَحَدِّ وَسَطِ عَشْرَةِ عُدُوقٍ، فِي كُلِّ عِذْقٍ عَشْرَةُ كِيلُو غَرَامَاتٍ، وَهُوَ نِصْفُ كَمِيَّةِ حَمْلِ النَخْلَةِ الْمُعْتَادِ، فَإِنَّ أَقْلَ كَمِيَّةٍ مِنَ التَّمْرِ مِنْ نَخِيلِ الشُّوَارِعِ سَتَكُونُ مِائَةَ مِليُونِ كِيلُو غَرَامٍ... كَيْفَ إِذَا كَانَتْ كَمِيَّةُ النَخْلِ أَكْثَرَ وَكَانَتْ كَمِيَّةُ الْحَمْلِ أَكْبَرَ؟!

فَإِذَا عُلِّبَتْ هَذِهِ التَّمُورُ فِي أَكْيَاسٍ خَاصَّةٍ، مِنْهَا مَا يَكُونُ لِلْبَيْعِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ لِلصَّدَقَاتِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، أَوْ إِفْطَارِ الصَّائِمِينَ، فَإِنَّ مَلَائِينَ الْفُقَرَاءِ سَوْفَ تَشْبَعُ، وَمَلَائِينَ الصَّائِمِينَ سَوْفَ تُفْطِرُ مِنْهَا، ثُمَّ كَمْ سَنِيْعٌ مِنْهَا لِنِسْتِثْمَرِهِ فِي إِنْشَاءِ أَوْقَافِ اسْتِثْمَارِيَّةٍ! وَبِمِثْلِ هَذَا تَظْهَرُ بَرَكََةُ النَّخْلَةِ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ .

وَيُعَلِّمُ عِنْدَهَا أَنَّ هَذِهِ النَّخْلَةَ وَوَلَادَةَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ . . .

وَمَا أَكْثَرَ أَصْحَابَ الْمَزَارِعِ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِلْمِشَارَكَةِ بِجُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ تَمُورِهِمْ لِاسْتِثْمَارَاتِ الْآخِرَةِ، بَلْ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرِغِبُ بِإِخْرَاجِ جَمِيعِ تَمُورِهِ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَّا مَا يَأْخُذُ لَهُ وَوَأَصْحَابِهِ فَحَسْبُ . . .

وَتَبْقَى الْحَقِيقَةُ الْمُؤَلِّمَةُ شَاهِدَةً بِأَنَّ إِهْدَارَ هَذِهِ الثَّرْوَةِ مَا يَزَالُ فِي اسْتِمْرَارٍ كُلِّ عَامٍ، وَالْكَفْرُ بِهَذِهِ

النعمة في إصرارٍ، ومسغبةُ الجائعين في أقطارِ
العالم الإسلامي في ازديادٍ.

● ثالثاً: مصنعُ الدُّبْسِ^(١):

لا أزالُ أحتفظُ جيِّداً في ذاكرتي بخيرِ الدُّبْسِ
في الليلِ وهو يَشْخُبُ من ميزابِ مخزنِ التمرِ
في بيتنا بقوةٍ مُندفعاً إلى وعائه، وبعضُ الأهلِ
في ترقُبٍ شديدٍ... فما أن تمتلئ الصَّفِيحَةُ
بالدُّبْسِ حتى تُوضَعَ الأخرى، وهكذا طوالَ الليلِ
ثم النهارِ، وربما استمرَّ جريانُ الدُّبْسِ أياماً...
حتى يبدأ يَخْفُ الصَّبُّ شيئاً فشيئاً، إلى أن
ينقطعَ، وإذا بعشراتِ الصفائحِ قد امتلأت
ونُحِيتْ جانباً.

ولربَّما كان الرِّبْحُ في بيعِها كالربحِ في بيعِ التمرِ
كلِّه، هذا ومخزنُ التمرِ الذي نملكُه مخزنٌ واحدٌ
فقط وحجمُه بحدودِ خمسةِ أمتارٍ طوْلاً وثلاثةِ

(١) الدبس: هو عسل التمر.

عَرَضاً، أما الارتفاعُ فهو مترانِ فقط، فكيف بدبسِ
تمورِ الشوارعِ الذي هو أضعافُ ذلك بكثيرٍ . . .

إنه دبسُ مليونِ نخلةٍ . . . وكفى !

● رابعاً: مصنعُ الأثاثِ :

إنها شجرةُ المؤمنِ التي لَنْ يَنْضَبَ خَيْرُهَا وَلَنْ
تَنْقَطَعَ بَرَكَتُهَا، فَمِنَ المصانعِ التي يمكنُ إنشاؤها
منها صناعةُ الحِبالِ البحريةِ وذلكَ من أليافِها،
وصناعةُ الحُصُرِ من حُوصِها، وما يُسَمَّى
بـ (الحظرة) البحريةِ لصيدِ الأسماكِ .

ومن حَواصِّها يُمكنُ أن نُنشِئَ مصانعَ للأثاثِ
كالسَّلاتِ والأسرَّةِ والمقاعدِ، والعوازلِ، ونحوِ
ذلكِ مما كُنَّا نَصْنَعُهُ مِنْ قَبْلُ . . .

● خامساً: صناعةُ البيوتِ :

بإمكاننا أن نصنعَ من هذه النخلةِ المباركةِ بيوتاً
كاملةً كبيوتنا يومَ أن لَمْ يَكُنْ عندنا بيوتُ

الطُوبِ، والإسمنتِ والحديدِ المُسَلَّحِ . . .

فَمِنْ خُوصِ النخلةِ وجَريدها وليفها يُمكنُ أن
نصنعَ بيوتاً لأناسٍ لا بيوتَ لهم، وهي على كلِّ
حالٍ أحسنُ من خيامِ القُماشِ المعروفةِ، وأسْتَرُّ
وأدْفأُ في الشتاءِ، وأبردُ في الصيفِ، وآمنُ من
المطرِ، وأثْبُتُ في الرياحِ وأطولُ عُمرًا . . .

نعمُ يُمكنُ أنْ نصنعَ من كلِّ عَشْرِ نَخَلاتٍ -
على الأكثرِ - بيتاً منْ عُرفَتينِ . . . وليكنْ من كلِّ
خمسِينَ نخلةً على وجهِ المبالغةِ . . . أليسَ ذلكَ
خييراً من أنْ يُلقَى هذا الخيرُ في المزابلِ
والمحارقِ . . .

فكيفَ إذا كانَ العددُ أكثرَ من أربعينَ مليونَ نخلةٍ
في بلدٍ واحدٍ . . . ؟

فَكَمْ سَتُجِرُّ البواخِرُ بمساكنَ تُكنُّ الفقراءَ
والمشردينَ من المسلمينَ، وتُؤوي أُسراً حديثةَ
عهدِ بزواجِ، في بلادِ إسلاميةٍ شاسعةٍ، لديها
الأراضي الواسعةُ والصحارى الكبيرةُ، وليسَ فيها

المأوى للملايين من البشر... اللهم إلا بعض
الخرق والبطنانيات وقطع الخيام أو قطع الأغطية
ينصبونها تحت الجسور وعلى حافات الشوارع
العامة، وفي الغابات أو في الصحارى، بل ثمة
أناس يسكنون المقابر...؟!!

وصناعة هذه البيوت ليست مُقتصرة على سنة
واحدة، بل هي مُمتدة ما امتدت بركة هذه
الشجرة المباركة... إلى يوم القيامة .

كما يُمكن أن تُطوّر هذه الصناعة قليلاً حتى
تُصبح أكثر إحكاماً وأطول عُمرًا، وأقلَّ استهلاكاً
من المادّة الخام، وأكثر أماناً من الحرائق
والأمطار، وأكثر قبُولاً لتمديدات الكهرباء،
والماء، والصرف الصحيّ...

ويُمكن أن تكون تلك البيوت قُرَى ومُدناً في
صحارى فيها الماء وليس فيها المأوى من خلال
حفر بعض الآبار، وعمل خزانات المياه.

● سادساً: مصنعُ الخَلِّ:

ليس ثَمَّةَ أَيْسَرٍ مِنْ صِنَاعَةِ الخَلِّ مِنْ بَقَايَا التَّمْرِ،
حَتَّى مِنَ الأنواعِ الرَدِيئَةِ مِنْهُ، إِنَّهُ اسْتِثْمَارٌ تِجَارِيٌّ،
وَمَدْخُولٌ مَيْسُورٌ . . .

والاستطرادُ لِإِحْصَاءِ بَرَكَةِ النَخْلَةِ أَمْرٌ يَطُولُ،
فَمِنْ بَرَكَتِهَا: إِنْشَاءُ مَصَانِعَ أُخْرَى غَيْرِ التِّي
ذَكَرْنَا، كَمَصَانِعِ عَلْفٍ مِنْ نَوَى التَّمُورِ، وَمَصَانِعِ
وَرَقٍ . . .

إنها الشجرةُ المباركةُ وكفى!

إِذْ كَمَ مِنْ خَيْرٍ يَنْبَعُثُ مِنْ شَجَرَةِ الْمُؤْمِنِ
الْبَاسِقَةِ، لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُنظَّمَ هَذَا الْعَمَلُ لِيَعْمَّ
نَفْعُهُ أَكْثَرَ وَيَبْقَى أَطُولَ .

فَلَوْ قَامَتْ شَرِكَةٌ أَوْ هَيْئَةٌ أَوْ مُؤَسَّسَةٌ تُسَمِّي نَفْسَهَا
بِاسْمِ «شَجَرَةِ الْمُؤْمِنِ» أَوْ «مُؤَسَّسَةِ الْبَاسِقَاتِ» أَوْ
نَحْوِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ . . . ثُمَّ تَقُومُ بِدِرَاسَةٍ مِيدَانِيَّةٍ،
وَأَقِيعِيَّةٍ، وَعِلْمِيَّةٍ دَقِيقَةٍ، وَيُوضَّحُ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ

بَيَانٌ مَا سَتَوْفَّرُهُ هَذِهِ الْمَوْسِسَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ ، مِمَّا يُوجَدُ الْقِنَاعَةَ الْكَافِيَةَ عِنْدَ صَاحِبِ الْقَرَارِ لِلْمُوَافَقَةِ عَلَيْهِ لِكَانٍ فِي ذَلِكَ فَوَائِدٌ عَظِيمَةٌ ، وَمِنْ هَذِهِ الْفَوَائِدِ :

أولاً : حِفْظُ نِعْمَةِ اللَّهِ مِنَ الزَّوَالِ ، فَإِنَّ الْإِسْرَافَ وَالتَّبذِيرَ كَفِيلٌ بِإِزَالَتِهَا ، فَمَا بِالْكَ بَاهِمَالِهَا وَإِقَائِهَا فِي الْمِزَابِلِ . . ؟!

ثانياً : حُصُولُ الْبَرَكَةِ فِي الرِّزْقِ ، وَنَزُولُ الْمَطْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَا يُدْرِيكُمْ لَعَلَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ انْقِطَاعِ الْمَطْرِ هُوَ هَذَا الْجَحُودُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ ، وَهَذَا الْهَدْرُ لِهَذَا الْخَيْرِ؟ .

ثالثاً : الْعِنَايَةُ الْخَاصَّةُ بِالنَّخْلَةِ ، وَهَذَا مَا يُعْطِيهَا نِظَافَةً وَجَمَالًا وَإِنْتِاجًا أَكْبَرَ .

رابعاً : تَوْفِيرُ أَيْدٍ عَامِلَةٍ عَلَى الدَّوْلَةِ ، حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الْمَوْسِسَةَ تَتَكَفَّلُ بِالْأَيْدِي الْعَامِلَةِ الَّتِي تُنْظَفُ وَتَقْطَفُ وَتُتَابَعُ وَلَا يَبْقَى عَلَى الدَّوْلَةِ سِوَى السَّقْيِ وَالتَّسْمِيدِ وَالتَّزْرُعِ لِلْأَمَاكِنِ الَّتِي تَرِيدُ زِرَاعَتَهَا ، وَهَذَا هُوَ بَعْضُ مَا تَقُومُ بِهِ الدَّوْلَةُ الْآنَ .

خامساً: تشغيلُ الفلاحين ذوي الحاجة من أهل المهنة ممن لديهم الخبرة، وسيكفل كل فرد منهم بعمله هنا عوائل محتاجة في بلاده، وفي هذا نُصرة لهم، وتخفيفُ لطائلة الفقر وويلاته.

هذا بالإضافة إلى ما سيكون لهذا المشروع من ادخارٍ لأموالٍ يمكن استثمارها بمشاريع أخرى: كالمشاريع الزراعية الناجحة في بلاد إسلامية شتّى، أو مناحل العسل الطبيعي، أو بالمساهمة بها في شركاتٍ زراعية استثمارية مشروعة، ومن هذه، ومن غيرها، يُمكن كفالة الكثير من الأسر الفقيرة في المناطق الفلاحية في بلاد المسلمين .

وأخيراً فإنني أقول:

إن كان «أبو محمد» جاسم قد انطلق بفكرته من فقره... فإننا لو فكرنا أساساً بأحاسيس الفقراء لما أحوجناهم للسؤال، وإذا كان «أبو محمد» جاسم قد انطلق بفكرته من فقره فكيف لا نطلق بما لا يُخصى من المشاريع والهيئات والمؤسسات من

كلماتِ اللّهِ القرآنيّةِ وكلماتِ رسوله ﷺ الكاملةِ العظيمةِ...؟ وهي مشاريعُ جاهزةٌ كاملةٌ... لكنّ مَنْ يَتَنَبَّهُ لها، ويُوَفِّقُ لِتَحْقِيقِهَا؟!!

وقد ابتدأنا هنا بالباسقاتِ - سيدة الأشجار - ليكونَ التغيُّرُ فيها عنوانَ التغيُّرِ المُنْهَجِيِّ الصَّحِيحِ في بلادنا وبلادِ المسلمين... .

إنها ثروةٌ تعيشُ عليها بلادٌ عالميةٌ بأكملها... . ثروةٌ تكفينا للاستغناءِ عن المتربصين بنا عندَ الحاجةِ أو الحِصَارِ... . ثروةٌ هي عُنوانُ لثرواتٍ، فالثروةُ الزراعيّةُ هي عنوانُ الثروةِ الحيوانيةِ، وصناعاتها، وعنوانُ الثروةِ المائيّةِ... .

ينبغي أن يَحْدُثَ تَحْوُلٌ مَّنْهَجِيٌّ أساسه التحوُّلُ الداخليُّ في أنفسنا، في تلقينا للنصوصِ في أفكارنا، في مَناهجِ أعمالنا، وتخطيطنا... ذلكَ التحوُّلُ يَتَّجِهْ إلى التحوُّلِ إلى «المَنهجِ الزراعيِّ الإنتاجيِّ» لا «مَنهجِ الزينةِ الزراعيِّ»... .

نعم لا بدَّ من الزينةِ أحياناً... لكن أن تُصَبِحَ الزينةُ

هي المنهج وهي الأساس، وهي المستهلكة، فإن ذلك لا يبشر بخير، إنما هو مؤشر تبذيرٍ خطيرٍ، وإسرافٍ مستطيرٍ! .

إن هيئة أمينةً متخصصة، همامة ، حارثة هادفة . . يقودها رجلٌ من طرازٍ خاصٍ يُمكنُ أن تحوّل التبذيرَ إلى استثمارٍ، وتحوّل الصرفَ إلى إنتاجٍ، وتحوّل الصحراءَ إلى رياضٍ مباركةٍ خضراءٍ، وتحوّل الثمرَ المهدورَ إلى خيرٍ موفورٍ، وتحوّل المواتَ إلى حياةٍ بإذن الله تعالى .



الغراسُ الرابعُ

غِراسُ داعيةِ إمام

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ داعيةِ إمام

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ». [رواه البخاري (٧٢٢)، ومسلم رقم (٤١٤)].

غراسُ داعيةِ إمام

● إمامٌ . . . لا يعرفه المأمومون!

طَاطَأْتُ هَامَةً هِمَّتِي وَأَنَا جَالِسٌ إِلَى جَوَارِهِ
أَسْتَمِعُ إِلَى حَدِيثِهِ الصَّادِقِ الْوَاتِقِ الَّذِي يُخْفِي مِنْ
أَمَالِ الْخَيْرِ أَضْعَافَ أَضْعَافَ مَا يُعْلِنُ، ذَلِكَ حِينَ
يَكُونُ الْحَدِيثُ عَنِ نَفْسِهِ!

فَلَقَدْ فَكَّرْتُ فِي مَشَارِيعَ ظَنَنْتُ أَنَّي سَبَقْتُ لَهَا
حِينَ كُنْتُ ابْنَ الْعَقْدِ الثَّالِثِ، وَإِذَا بِصَاحِبِنَا قَدْ فَكَّرَ
فِيهَا يَوْمَ أَنْ كَانَ ابْنَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ، فَقَدْ كَانَ
يُمْسِكُ الْقَلَمَ فِي الْفَصْلِ الدِّرَاسِيِّ وَيُخَطِّطُ بِقَلَمِهِ
تَصْمِيمًا لِمَدْرَسَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَلِدَارِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ، وَلِنَادِ شَبَابِي تَرْبَوِيٍّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَعَلَّ
اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ صِدْقَ ذَلِكَ الرَّجُلِ فَوْقَهُ تَوْفِيقَ
الْأَثَمَةِ، لِيَعْتَلِيَ فِي هَذَا الزَّمَانِ مَرْتَبَةَ الْإِمَامَةِ،
وَيُحَقِّقَ مَا خَطَّطَ لَهُ مِنْ قَبْلُ، وَإِنِّي - وَاللَّهِ -

لَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِمَامٌ بِحَقٍّ، وَلَا أُرَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا .
 أَرَأَيْتَ أَخِي الْقَارِيَّ بِلدًا عَرَبِيًّا سَبَقَ الْكُوَيْتَ فِي
 الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ الْمَوْسِسِيِّ؟

إنه البلدُ السابقُ للعملِ الخيريِّ المؤسسيِّ في
 الْخَلِيجِ بَلِّ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، فَمَنْ بَعْدِ
 الْكُوَيْتِ تَتَابَعَ النَّاسُ وَتَتَابَعَتِ الْبِلَادُ وَلَا يَعْلَمُ إِلَّا
 اللَّهُ مَنْ سَنَّ تِلْكَ السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ فِي هَذِهِ الْبِلْدَانِ
 وَفِي هَذَا الزَّمَانِ .

فَهَلْ تَعْلَمُ أَنَّ لَجْنَةَ «الْفَحِيحِيلِ» كَانَتْ مِنَ اللَّجَانِ
 الرَّائِدَةِ، وَقَدْ كَانَتْ أُولَى اللَّجَانِ الْخَيْرِيَّةِ فِي الْمَنْطِقَةِ
 «الْعَاشِرَةِ» فِي الْكُوَيْتِ؟، لَكِنَّ الْغَرِيبَ حَقًّا أَنَّ الَّذِي
 فَكَّرَ فِيهَا وَأَقَامَهَا هُوَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْكُوَيْتِ
 الْآنَ .!

إنَّهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ عَلَى الْكُوَيْتِ - هُوَ
 صَاحِبُنَا هَذَا - فَهُوَ إِذَنْ مِنْ أَكْبَرِ مَنَابِعِ الصَّدَقَاتِ
 الْجَارِيَةِ الْمَوْسِسِيَّةِ، وَلَوْلَا تَحَرُّجُهُ وَتَوَرُّعُهُ لَذَكَرْتُ
 اسْمَهُ الَّذِي لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ الْآنَ .

يقولُ: لَقَدْ زُرْتُ اللَّجْنَةَ بعدما تركتُ الكويتَ
لسنينَ طويلةٍ، لأعيدَ بعضَ الذكرياتِ، ذَهَبْتُ
إلى «الفحيحيل»، ودخلتُ مَقَرَّ اللَّجْنَةِ، فوجدتُ
العملَ والحركةَ دَائِبَتَيْنِ، فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى
وَسُرِرْتُ بها أَيَّما سُرورٍ، وبينما أنا غارقٌ في
التفكيرِ في زاويةٍ من زوايا اللجنتِ وَحْدِي إِذْ
جاءني أحدُ العاملينَ باللجنتِ فقالَ لي: هلْ لك
حاجةٌ نساعدُك على قضائها، أو تريدُ أن ننظرَ
في حالتِكَ؟ فقلتُ له: لا، وجزاك اللهُ خيراً، ثم
انصرفتُ! فأذركَني سريعاً بعضُ مَنْ أسَّسَ معي
العملَ آنذاك وصاحَ بي مِنْ بعيدٍ: يا أبا عبدِ اللهِ،
فرجعتُ وتذاكرنا أيامَ التأسيسِ الجميلةَ وَحَمَدْنَا
اللَّهَ على هذه الثمارِ.

هكذا أحمَلِ اللهُ ذِكرَه..؟!!

دَرَسَ الشَّيْخُ في المدينة المنورة، وأرادَ بعد
التخرُّجِ منها العودَةَ إلى بلده ذي الديانةِ
الباطنيَّةِ... داعيةٌ مُبتَغَتاً على نَفَقَةِ الهيئَةِ العامَّةِ

للبحوث العلمية والإفتاء، لكن طلبه لم يلق قبولاً لظروف الجفاء بين البلدين، فاختر بلداً خليجياً آخر، وما أن حطَّ رجله في البلد الجديد حتى بدأ غراسه المبارك بشابٍ واحدٍ، ثم بمسجدٍ واحدٍ، وتكاثر الشباب في المسجد حتى أصبحوا بالعشرات، ثم أنشأ الشيخ مدرسةً ابتدائيةً فتكاثر الطلاب ثم أصبحت إعداديةً ثانويةً وهكذا .

وللعلم فإنها المدرسة الخاصة الوحيدة في هذه الدولة الخليجية التي تتكفل برسوم الطالب كاملةً! وجلُّ طلابها من الفقراء واليتامى ومن لا يستطيعون الدراسة في المدارس الحكومية، أو المدارس الخاصة .

وقد أتمَّ الشيخ الآن مبنى الكلية وهي على وشك الافتتاح، كما أصبح الشيخ يُسيِّر رحلةً سنويةً للحجِّ، ورحلاتٍ للعمرة في حافلاته المستقلة، وكلُّ ما ذكرْتُ من الأعمال إنما هي أعمالٌ تطوعيةٌ لا يدخلُ في جيبِ الشيخ منها

دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، اللَّهُمَّ إِلَّا كَمَا يَأْخُذُ نَاضِرُ الْوَقْفِ
مِنْ وَقْفِهِ، أَوْ وَلِيُّ الْأَيْتَامِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

وَمِنْ أَجْلِ اسْتِمْرَارِيَّةِ الْعَمَلِ وَتَصَاعُدِهِ فَإِنَّ الشَّيْخَ
لَمْ يَجْعَلِ الْعَامِلِينَ فِي الْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ مُتَطَوِّعِينَ، بَلْ
مُوظَّفِينَ تَجْرِي لَهُمُ الْمُرْتَبَاتُ فِي أَوْقَاتِهَا الْمَحْدَدَةِ.

لَكِنَّ السُّؤَالَ كَيْفَ اسْتَطَاعَ الشَّيْخُ أَنْ يُجْرِيَ
لَهُؤُلَاءِ الْعَامِلِينَ الْمُرْتَبَاتِ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ
الْبَلَدِ، كَمَا أَنَّهُ حِينَ جَاءَ كَانَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ثَوْبَهُ
وَنَعْلَيْهِ وَشَهَادَةً بِيَدَيْهِ !؟؟!

وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُسِيرَ رِحَالَاتِ الْحَجِّ وَالْعَمْرَةَ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْحَجَّاجِ وَالْعَمَّارِ دِرْهَمًا
وَاحِدًا؟ وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَأْتِيَ بِمِائَاتِ الْحَجَّاجِ
مِنْ جُمْهُورِيَّاتِ رُوسِيَا وَإِيرَانَ وَالْهِنْدِ وَغَيْرِهَا
وَيَذْهَبَ بِهِمْ كُلَّ عَامٍ إِلَى الْحَجِّ؟

وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ الشَّيْخَ حِينَ كَانَ يَبْنِي
الْمَشَارِيعَ الْعِلْمِيَّةَ الْخَيْرِيَّةَ وَالْمَسَاجِدَ وَالْمَرَكَزَ
الدَّعْوِيَّةَ كَانَ يَبْنِيهَا - كَمَا نَحْسَبُ - عَلَى تَقْوَى

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، وَكَانَ يُفَكِّرُ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ بِنَاءِ
وَقْفٍ لَتِلْكَ الْمَشَارِيعِ . . . فَهُوَ يُوشِكُ الْآنَ عَلَى
اسْتِلَامِ الْبِنَايَةِ الْوَقْفِيَّةِ الْاسْتِثْمَارِيَّةِ الْثَالِثَةِ وَقَدْ حَفَرَ
أَسَاسَ الْبِنَايَةِ الرَّابِعَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَلِمَدْرَسَةِ هَذَا الْأَخِ الشَّيْخِ الشَّابِّ فِرْعَانَ
أَخْرَانٍ، وَهُوَ يَرِيدُ افْتِتَاحَ الثَّالِثِ قَرِيبًا - إِنْ شَاءَ
اللَّهُ - وَلِكُلِّ فِرْعِ فِرْعَانَ، فِرْعٌ لِلذَّكُورِ وَأَخْرٌ
لِلْإِنَاثِ، كَمَا أَنَّ لَهُ مَبْنَى فِي مَكَّةَ وَأَخْرَ فِي
الْمَدِينَةِ تَسْكُنُهُ قَوَافِلُهُ مِنْ حَجِيجِ بَيْتِ اللَّهِ وَعُمَّارِهِ
يَوْمَ أَنْ تَصِلَ هُنَاكَ .

كَمَا حَرَصَ الشَّيْخُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ مَسَاحَاتٍ
وَاسِعَةً فَارِغَةً مِنَ الْأَرْضِي تَتْبَعُ مَدْرَسَتَهُ وَمَسَاحَتُهَا
تَصِلُ إِلَى مِلْيُونٍ وَسِتْمِائَةِ أَلْفِ قَدَمٍ مُرَبَّعٍ .

وَقَدْ تَمَكَّنَ الشَّيْخُ - بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى - مِنْ بِنَاءِ
عَشْرَةِ مَسَاجِدَ فِي بَلَدِ إِقَامَتِهِ الْخَلِيجِيِّ، وَقَدْ عَيَّنَ
عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ إِمَامًا مِنْ طُلَّابِهِ، حَيْثُ يُوفَّرُ لَهُ
مَكَانًا لِلْإِقَامَةِ وَمُرْتَبًا كَافِيًا، كَمَا تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِ

بأن جعله سبباً في بناءِ نحو من ألفِ مسجدٍ في بلادِ المسلمين، وهو لا يكتفي بمُجرّدِ البناءِ بل لا بدَّ من تسليمه لطالبِ علمٍ وداعيةٍ موثوقٍ حتى يُصبحَ مَسجِدُهُ مَرَكزَ عِلْمٍ وَدَعْوَةٍ، فَكَمَ أَحيا اللهُ بِهِ مِنْ قُرَى، وَبِلادٍ، وَرِجالٍ؟

يَبْنِي الرِّجالَ وَغَيرَهُ يَبْنِي القُرَى

شَتانَ بَينَ بِنائِ قُرَى وَرِجالِ

أما كفاءة الدعاةِ بواسطةِ فحدّث ولا حَرَجَ . . .

أذُكُرُ هَذا المِثالَ العالِيَّ في هَذا الزمانِ لِأُضَعِّ بَينَ يَدي أَهلِ العِلْمِ وَطِلابِهِ هَذهِ الأَسئَلَةَ :

الأولُ : هَلْ مِنْ فَاصِلٍ عازِلٍ بَينَ العِلْمِ وَالدَعْوَةِ؟

الثاني : هَلْ كانَ الطَريقُ الَّذي اخْتَطَّهُ الشَیْخُ مُذَلِّلاً لَه - كما لَوْ كانَ مُوظَّفاً - أم أَنه لاقى فِيه ما أَطار نَومَه، وَأَلهَبَ مَضجَعَه، وَأذَلَّ نَفْسَه؟

الثالث : هَلِ الفَقْرُ المادِيُّ الذاتِيُّ حَاجزٌ يَمنعُ الفُقراءَ مِنَ الوَصولِ لِلغاياتِ العُظمى؟

الرابع : هَلِ الغَربَةُ عَنِ البَلدِ، وَالإِقامَةُ فِي بَلدٍ

غيرِ بلدِكِ عذرٌ في التذللِ، والتَّصَاغُرِ، وكتِّمانِ الحقِّ، وعدمِ العَرَسِ؟

الخامس: هل يُمكنُ للعملِ الخيريِّ أَنْ يتواصلَ إذا استسلمَ أصحابُه لعواصِفِ التجفيفِ والتضييقِ، أو كانَ اعتمادهُ الكلِّيُّ على المعوناتِ الخارجِيةِ؟

السادس: هل تحقيقُ الغاياتِ العظيمةِ مستحيلٌ إذا كانَ اللهُ تعالى ثانيكَ أو ثالثكُما أو رابعكُم . . .؟

سيرحلُ حَمَلَةُ العِلْمِ بعِلْمِهِمْ وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ عِلْمُهُمْ
الذي تَعَلَّمُوهُ إلا بالقَدْرِ الذي عَلَّمُوهُ، ونفعوا به من
بعدِ ما اعتقدُوهُ .

لَنْ يَسْأَلَ اللهُ العَليْمُ الخَبيرُ أَهلَ العِلْمِ يَوْمَ
القيامةِ: ما حُكْمُ المسأَلَةِ الفقهيةِ الفلانيةِ؟ ما
الفتوى في كذا؟ ما تفسيرُ كذا؟ ما صحَّةُ كذا؟

ولكن سَيَسْأَلُ الصادقينَ عَن صِدْقِهِمْ، ويسألُ
الرُّسُلَ وأتباعَهُم عن البلاغِ، ويسألُ العامةَ عن
الإبلاغِ، وهو القائلُ:

﴿لَيْسَ لَ الصِّدِّيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ

عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ [الأحزاب: ٨].

كَمْ مِنْ رَمُوزٍ سَتَّهَوَى عِنْدَ الْحِسَابِ، وَكَمْ مِنْ شَارَاتٍ سَتَّسَاقَطُ، وَكَمْ مِنْ عَظِيمٍ سَمِينٍ مَرْمُوقٍ يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَكَمْ مِنْ خَامِلِي الذِّكْرِ سِيرَفُ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ وَيُقَرَّبُهُمْ وَيُذْنِبُهُمْ مِنْهُ سَبْحَانَهُ، فَإِذَا مَقَامَاتُهُمْ رَفِيعَةٌ، وَإِذَا مَوَازِينُهُمْ ثَقِيلَةٌ، وَإِذَا وُجُوهُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهَةٌ... فَهُمْ مِمَّنْ يَصْدُقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كِرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١).

لَمْ تَظْهَرْ صُورَةٌ لِهَذَا الْإِمَامِ فِي إِعْلَامٍ وَلَا صَحَافَةٍ فِيمَا أَعْلَمُ، وَلَكِنْ تَعْدَمُ الْأُمَّةُ أَنْ تُقَدِّمَ أَمْثَالَهُ الْيَوْمَ وَإِنْ نَدَرُوا .

(١) رواه مسلم (١٨٩)، كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة.

نحنُ لا نطمحُ هنا إلى عمَلِ هذا الإمامِ التقيِّ
 الخَفِيِّ فَحَسْبُ، ولكن نريدُ أبعدَ من ذلك...
 إننا نريدُ مَنْ يغرُسُ الأئمةَ في أجيالِ الأُمَّةِ مِنْ
 أمثالِ هذا الرَّجُلِ حتى يكشفوا غُربةَ الإسلامِ،
 وَيَنْتَصِرُوا لِلَّهِ... فلربَّما هدى اللهُ تعالى مُوقَفًا
 إلى أن يجعلَ في صحيفتهِ صحائفَ أئمةٍ في العِلْمِ
 والهُدَى؟، حينَ يشرعُ في إنشائهم بفكرة...
 إنها فكرةٌ تَخطرُ، ثم تُمطرُ، ثم تُغرَسُ، ثم تُثمرُ،
 ومن ذلك الثمرِ تبذرُ، ثم تزايدُ فتُثمرُ ثانيةً ثم
 تبذرُ..

وهكذا يتزايدُ ثمرُها وتتسعُ رُفعتُها، ويفيضُ
 خيرُها: فإذا بذرها غراسٌ، وإذا غراسُها جنانٌ،
 وإذا الحبةُ عندَ اللهِ أضعافٌ لا يعلمُها إلا هو
 سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ
 حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

هذه سُنْبَلَةٌ وَبِذْرَةٌ حَقِيقِيَّةٌ ذَكَرْنَاهَا عَنْ إِمَامٍ فِي
 هَذَا الزَّمَانِ، فَكَيْفَ بَمَنْ كَانَ بِذْرُهُ أَعْلَامَ الْهُدَى،
 وَمَصَابِيحَ الدُّجَى، وَبَاعِثِي الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ!

فَقَدْ كَانَ إِنْشَاءُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْرَارِ عَظَمَةِ
 النَّبِيِّ ﷺ فِي تَرْبِيَّتِهِ . . .

فَالرِّجَالُ الَّذِينَ تَرَكَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَكُونُوا أُمَّةً
 فَحَسَبُ، بَلْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِلْمُتَقِينَ إِمَامًا،
 لَقَدْ عَلَّمَهُمْ ﷺ صِنَاعَةَ الْأُمَّةِ .

فَلَمْ تَكُنْ تَرْبِيَّتُهُ لَهُمْ تَرْبِيَّةَ إِصْلَاحِ لَذَوَاتِهِمْ
 فَحَسَبُ، بَلْ تَرْبِيَّةَ أُمَّةٍ لِلْمُرَبِّينَ، فَغِرَاسُهُمْ
 التَّابِعُونَ، وَهُمْ خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى ذَلِكَ . . .

إِنَّ غِرَاسَ الْأُمَّةِ مَهْمَةٌ الْأَنْبِيَاءِ أَسَاسًا، كَمَا قَالَ
 تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ
 مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا
 مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا
 بِعَابَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٣ - ٢٤].

وهو شَرَفٌ يَهَبُهُ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ
فِي الْإِمَامَةِ .

لَنْ أَعْرِضَ فِي خَتَامِ هَذَا الْغَرَّاسِ مُقْتَرِحَاتٍ
لِصَدَقَاتٍ جَارِيَةٍ، تَارِكاً تَفَاعَلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي
الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ، لِتَصُوعِ طُمُوحِهَا فِي مَشَارِيَعِ
شَرَعِيَّةٍ مُتَمَثِّلَةٍ فِي حَضَائِنِ لِلْحَافِظِينَ، أَوْ مَدَارِسَ
لِإِعْدَادِ الْمُجَدِّدِينَ، أَوْ مَعَاهِدَ وَكَلِيَّاتٍ
لِلرَّاسِخِينَ . . . مَشَارِيَعِ يُحْيِي اللَّهُ بِهَا الْقُلُوبَ
وَالْبِلَادَ، وَيَعُمُّ خَيْرُهَا الْجِيلَ الْحَاضِرَ وَالْأَجْيَالَ
الْمُتَلَحِّقَةَ، وَيَشْمَلُ بِلَدَ إِقَامَةِ الدَّاعِيَةِ بَلْ وَيَتَعَدَّى
مَحَلَّ إِقَامَتِهِ إِلَى جَمِيعِ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ بَرَّهَا
وَبَحْرَهَا وَجَوَّهَا . . .

فَمَنْ يَدْرِي . . . فَلَرُبَّمَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَالِبٍ مِنْ
هَؤُلَاءِ الطَّلَابِ فَكَانَ أَعْظَمَ بَرَكَتَةً مِنْ بَرَكَتَةِ شَيْخِهِ
الْغَرَّاسِ . . . وَلرَبَّمَا كَانَ مِنْهُمْ مُجَدِّدُونَ لِهَذَا
الدِّينِ، وَهَذَا لَيْسَ تَمَنِيًّا، بَلْ هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْ
مِبَارَكَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صالحاً، ولمنْ غَدَا مِنْ بَيْتِهِ وَرَاحَ، لِيُنْشِئَ عَمَلًا
صَالِحًا كَلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ .



الغراسُ الخامسُ

غِرَاسٌ فِي مَسْجِدِ الشَّيْطَانِ! (*)

(*) روى الطبراني من حديث أبي أمامة موقوفا ومرفوعا إلى النبي ﷺ قال: «لما أهبط إبليس قال: يا رب لعنتني فما عملي، قال: السحر، قال: فما قرآني؟ قال: الشعر، قال: فما كتابي؟ قال: الوشم، قال: فما طعامي؟ قال: كل ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه، قال فما شرابي؟ قال كل مسكر، قال فأين مسكني؟ قال الأسواق. قال فما صوتي؟ قال: المزامير. قال: فما مصايدي؟ قال: النساء».

قال ابن القيم: «والمعروف في هذا وقفه، وشواهد هذا الأثر كثيرة، فكل جملة منه لها شواهد من السنة أو من القرآن «إغاثة اللّهفان» (١/ ٢٥٢).

وقد ورد تسمية السوق بمسجد الشيطان من حديث ابن عباس عند الطبراني (١١١٨١) وفيه: (ومسجدك الأسواق) وحكم عليه الألباني بالنعارة، انظر السلسلة الضعيفة (١٥٦٤).

العيونُ الساقيةُ... لغراسٍ في مسجدِ الشيطانِ

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ
فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ٧].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَّ
عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ
بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟!» قَالَ:
أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ
فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ
مِنِّي». [رواه مسلم برقم (١٠٢)].

غراسٌ في مسجدِ الشيطان

في ضحَى الثامنِ مِن ذي الحِجَّةِ - المباركِ -
 كنتُ أسيرُ مع ولدي عبدِالله في السوقِ لنشتري
 بعضَ الملابسِ لِيَوْمِ العيدِ... فدخلنا أحدَ
 المعارضِ... وقد فتحَ صاحبُ المَعْرِضِ الراديو
 بسماعاتِ المَعْرِضِ الضَّخْمَةِ... على الغناءِ
 والموسيقى، المنقولِ مِنَ الإذاعةِ المحليَّةِ .

وفجأةً قالَ لي ولدي: هل أقولُ له أغلِقِ
 الراديو؟

قلتُ له: نعم... باركَ اللهُ فيكَ .

فتقدَّمَ نحوَه خَطوَةً ثُمَّ توقَّفَ وكأنَّه رجَعَ إلى
 نَفْسِهِ، ونظَرَ إلى عُمُرِهِ الذي لا يتجاوزُ السابعةَ،
 ثم نظَرَ إلى صاحبِ المحلِّ الأفغانيِّ، ورأى
 ضالَّةً نَفْسِهِ بجوارِ ذلكَ الرُّجُلِ الضخمِ، فتهيَّبَ
 الصغيرُ - وهو المعروفُ بإقدامه -! ثمَّ رجَعَ إليَّ

فقلتُ له: اذهبِ واطلبِ مِنْهُ .

قال: يا أبتِ: اطلبِ مِنْهُ أَنْتَ .

فقلتُ للرجلِ: أومًا تعرفُ أَنَّ هذه أيامُ حُرْمٍ،
وَأَنَّ هذا الغناءُ حرامٌ في كلِّ وقتٍ وهو في هذه
الأيامِ أشدُّ؟

فقال: هذا راديو البلدِ!

قلتُ: أوكلُّ ما هو مُرَخَّصٌ في البلدِ حلالٌ؟

قال: لا .

قلتُ: ثمَّ هذا الحرامُ في مَعْرِضِكَ أَنْتَ . . . فما
دَخَلَ البلدِ، وما دخلُ وليِّ الأمرِ؟! هلْ هو أَمْرَكَ
بِفَتْحِهِ . . .؟ أمْ أَنَّهُ سَيُعاقِبُكَ لوَ لَمْ تَفْتَحْهُ . . .؟!
ولماذا يوجدُ الكثيرُ من أصحابِ المعارِضِ ممَّن
يجعلُ الراديو مفتوحًا على إذاعةِ القرآنِ الكريمِ
طوالِ اليومِ، كما يوجدُ آخرونَ لا يفتَحونَ شيئًا؟
قالَ: كلُّ الناسِ قد فَتَحُوا الراديو على الغِناءِ!

قلتُ: إذا ضلَّ الناسُ، فهلْ تَضِلُّ مَعَهُمْ؟

قال - بِيَجِحِ -: نَعَمْ!

فأدركتُ أنه لا يريدُ الحقَّ، وأنَّ مثلَ هذا يُؤْتَى
مِن قِبَلِ العاطفةِ لا مِن قِبَلِ العَقْلِ، وبناءً عليه
قلْتُ له: اسْمَعْ يا هذا.. هما اثنانِ، أمَّا أحدهما
فَخَلَفَهُ الكثيرُ الكثيرُ مِنَ الناسِ يسيرونَ، وأمَّا
الآخرُ فَخَلَفَهُ القليلُ القليلُ بالنسبةِ إلى الأوَّلِ،
فهلُ تسيِّرُ معَ الأوَّلِ أم معَ الثاني؟

قال: بلُ معَ الأوَّلِ .

قلْتُ: فالأوَّلُ هو إبليسُ ويسيرُ بأصحابه إلى
النارِ، وأمَّا الثاني فهو محمدٌ ﷺ ويقودُ أصحابه
إلى الجَنَّةِ!

عندَ ذلكَ أدركَ خطورةَ كلامِهِ فقالَ: أستغفرُ
اللَّهَ، ثُمَّ ذَهَبَ وَأَسكَتَ الغِنَاءَ. ففرِحَ الولدُ كثيراً!!
أخي طالبُ العِلْمِ: ذكرتُ لك هذا الحوارَ
بأحرفه تقريباً لكثرةَ تكررِ هذا الموقفِ معَ كلِّ
الدعاةِ إلى اللهِ تعالى، فأحببتُ أنْ أجعلَ بين

يديك شيئاً من الزادِ والعتادِ، وعندك خيرٌ كثيرٌ.

أخي المسلم المُتَسَوِّقُ: هل تستطيعُ ألا تشتريَ
من محلٍّ حتى تُفكِّرَ فيما تُعْرِسُ في هذا المحلِّ من
خيرٍ، أو تُنهيَ عن شرٍّ؟

أم أنك تتحرَّجُ من ذلك الإنكارِ؟

نعم: إنَّ جُلَّ الشبابِ يتحرَّجونَ؟

ولكن: كيف يتحرَّجونَ واللَّهُ تعالى يقولُ:

﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِنُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٢].

كيف تتحرَّجُ وهو لم يتحرَّج من مُنكره؟

هل ترضى أن تكون قُدوةً للدعاة في حرجك

هذا؟

وكيف يُمكنُ إزالةُ المُنكراتِ بهذا الحرجِ؟

ثم إذا كنت تتحرَّجُ من بائعٍ.. فكيف يمكنُ أن

تنكِرَ على مُديرٍ؟

بل كم بينك وبين كلمة العدلِ عند سلطانٍ جائرٍ؟

مُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَنْ تَنْدَمَ، وَأَنْكِرُ كُلَّ مُنْكَرٍ ظَاهِرٍ
فِي السُّوقِ بِالْحِكْمَةِ وَلَنْ تَنْدَمَ، فَإِنْ كَثُرَ مُخَالَفُوكَ
فَاسْتَحْضِرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي
مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

أَوَّلَا تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مُطْفِئًا لِنَارِ الشَّيْطَانِ مُخْرِسًا
لِمَزْمَارِهِ، كَاسْحًا لِلْمُنْكَرَاتِ حَيْثُمَا حَلَلَتْ، وَأَيًّا
كَانَتْ تِلْكَ الْمُنْكَرَاتُ؟! . . . إِذَا فِينَعَمَّا الْمُصْلِحُ
أَنْتَ إِنْ فَعَلْتَ، وَنَعِمَّا نَصِيرُ اللَّهِ أَنْتَ، وَنَعِمَّا
مُصَاحِبُ الْمَلَائِكَةِ أَنْتَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ
دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ ضَيَّقْتَ عَلَى الشَّيْطَانِ
فِي أَحَبِّ الْأَمَاكِنِ إِلَيْهِ وَهِيَ الْأَسْوَاقُ، وَغَرَسْتَ
مَعْرُوفًا فِي الْقُلُوبِ، وَفِي الدَّرُوبِ، وَفِي كُلِّ
مَكَانٍ .

وَمِنْ أَجْلِ أَنْ نُكْمِلَ مِشْوَارَ زِرَاعَةِ الْمَعْرُوفِ،
وَأِنْشَاءَ الصَّدَقَاتِ الْجَارِيَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ . . .

استمع إلى هذه القصة التكميلية لما مررت لتعلم أن إنشاء صدقة جارية، أمرٌ ميسرٌ بتيسير الله له... وإذا كان إنشاء الصدقات الجارية في أبغض الأماكن إلى الله ميسوراً، فكيف به فيما هو خيرٌ منها؟ .

أخي القارئ: اختلى صاحبنا بصاحب محل بيع أشرطة الغناء والأفلام ونحو ذلك فوجده مسلماً مُصلياً.. فقال له: أنت صاحب هذا المحل؟ قال: نعم .

قلت: هل تعلم أن الذي تفعله حرام؟

قال: نعم! ولكنّه رزقي ورزق عيالي .

قلت: هل تؤمن بأن الله مُحاسبك، وسائلك؟ وهل تعلم بأن كل من يشتري منك شريط غناء فأنت شريكه في الإثم؟ بل عليك إثم كامل كإثمه، فبمقدار ما تبيع من الأشرطة بمقدار ما تكسب من الآثام؟

فإن بعث ألف شريط في الشهر، فعليك إثم

ألفِ آثمٍ ، فهلِ تَتَحَمَّلُ كلَّ ذلكَ ؟
 فإذا استمعَ إليه في السيَّارةِ خمسةٌ فعليكِ إثمٌ
 خمسةٌ آلافِ آثمٍ . !

وإذا انحرفَ أحدٌ بسببِ شريطِكَ . . فعليكِ
 تَبَعَاتُ انحرافِهِ !

وإذا تهادَى المُشْتَرُونَ أشرطتَكَ - على عادتِهِمْ - ،
 فَإِنَّ عَلَيْكَ آثامُ التهادي وتَبَعَاتِهِ !

هل تعلمُ يا أخي أنك ساعي بريدِ الشيطانِ ؟
 وساعي بريدِ الزَّنا (لَأَنَّ العِناءَ بريدُ الزَّنا) كما
 جاءَ في الأثرِ ، وهكذا تَتَوَسَّعُ دائرةُ آثامِكَ وأنتَ لا
 تدري ؟

فأيُّ تجارةٍ اخترتَ ؟؟

إنكَ يومَ أن يكونَ رَبُّحُكَ أكثرَ تكونُ - في
 الحقيقةِ - خسارتُكَ أكثرَ ، ويومَ أن تكونَ ناجحاً
 في تجارتِكَ تكونُ أقربَ إلى النارِ !

ستموتُ ولنَ تموتَ آثامُكَ ، ولنَ تُغَلَقَ صحيفةُ

سَيِّئَاتِكَ الْجَارِيَةِ حَتَّى يَفْنَى بَذْرُ السُّوءِ الَّذِي غَرَسْتَهُ
 مَا لَمْ تَتُبْ مِنْ ذُنُوبِكَ ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ
 مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

فَتَحَوَّلَ قَلْبُ بَائِعِ الْأَشْرَطَةِ بِفَضْلِ اللَّهِ . . . وَتَحَوَّلَ
 الْمَحَلُّ إِلَى أَشْرَطَةِ دَعْوَةٍ إِلَى اللَّهِ . . .

أخي القارئ: وبينما صاحبنا يدورُ في السوقِ
 استكمالاً لباقي حاجياته إذ وَجَدَ مُرَاقِبَ الْبَلَدِيَّةِ
 يدورُ على المحلاتِ . . . فَقَالَ لِنَفْسِهِ: إِنَّهَا
 فُرْصَتُكَ لِتُنشِئَ مَعَهُ صَدَقَاتٍ جَارِيَاتٍ، وَتَقْضِيَ
 عَلَى سَيِّئَاتِ جَارِيَاتٍ كَذَلِكَ.

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا رَأَيْكَ بِهَذِهِ الصُّورِ
 الْفَاضِحَةِ الْمَعْلُوقَةِ عَلَى أَبْوَابِ وَجُدْرَانِ مَحَلَّاتِ
 التَّصْوِيرِ وَمَحَلَّاتِ الْخِيَاطَةِ، وَمَحَلَّاتِ الْفِيدْيُو،
 وَمَحَلَّاتِ كَيِّ الْمَلَابِسِ؟

قال: هذه من طبيعة مهنتهم .

فقال له : وهل تراه لو حذفها واستبدل بها دعاياتٍ كتابيةً مثلاً، أو صوراً مستورةً في الألبوم يكونُ قد خالف القانونَ والمِهنةَ؟؟

قال : لا .

قال له : إذا فهل تعليقُ هذه الصورِ الفاضحةِ شرعاً حلالٌ أم حرامٌ ؟ وهل فيها إخلالٌ بالآدابِ وقَدْحٌ في الحياءِ، بحيثُ تنفُرُ من أن تنظرَ لها ابنتك الشابةُ؟

قال : بل حرامٌ .

قال له : هل تستطيعُ أن تقولَ لهم أنزلوها وذلك لما اجتمعَ فيها من الحُرمةِ ومخالفةِ القانونِ؟

قال : نعم .

قال له : فما الذي يمنعك؟؟ أولاً يكفي أنه حرامٌ ومنكرٌ ومخالفٌ لأمرِ الله، أم لابد أن يكونَ إنزالها مخالفاً لأمرِ البلدية .

تجاوبَ المراقبُ وقال : جزاك الله خيراً، والدالُّ

على الخيرِ كفاعله ، وهذه بطاقةُ عُنواني وهاتفي ،
وسنكونُ على اتصالٍ دائمٍ - بإذنِ اللهِ تعالى - .

قال له : والمرجوُّ منك أكثرُ من ذلك .

قال : وما هو؟

قال : أن تُشيعَ هذا الأمرَ بينَ عامَّةِ مُراقبي البلدية .

قال : هذا الذي سوفَ أعملُه بإذنِ اللهِ .

قال له : والمرجوُّ أكثرُ من ذلك .

قال : وما هو؟

قال له : أن تُحاولوا بطريقةً حكيمةً ، وصياغةً
رصينةً ، استصدارَ قرارٍ بهذا الأمرِ .

قال : سنسعى إن شاء اللهُ متى حانتِ الفرصةُ .

أخي القارئ : وهنا حانَ وقتُ صلاةِ المغربِ . .

فدخلَ صاحبنا المسجدَ ودخلتُ زوجته مُصلًى
النساءِ . . . لكنَّه وجدَ أنَّ الصفوفَ قد امتدَّتْ إلى
الساحةِ التي خَلَفَ المسجدِ ، ونظرَ وإذا بالإمامِ

قد وضعَ سجادته خلفَ المحرابِ بصفّينِ لحرارةِ الجوِّ داخلَ المحرابِ . . فذهبَ صاحبنا بعدَ الصلاةِ، وأتى بمِرْوَحَةٍ مِنْ مكانٍ قريبٍ مِنَ المسجدِ لتُعلّقَ داخلَ المحرابِ، وبذلكَ وقَّرَ على المصلينِ صفينِ أو ثلاثةً . . .

ثم سألَ عن باني المسجدِ، فأخبرَ باسمه كَي يذهبَ إليه لِيَعْمَلَ تَوْسِعَةً للمسجدِ. ويضيفُ بعضَ الحمّاماتِ . ومع هذا فقد اتصلَ بالأوقافِ وأخبرَهُم بضرورةِ التوسعةِ، وضرورةِ زيادةِ الحمّاماتِ فوعده خيراً.

أما زوجته فوجدتِ الجهلَ عندَ النساءِ حيثُ الكلامُ مُرتفعٌ، واختلافُ الصفوفِ . . فأخبرتِ زوجها فأخبرَ الإمامَ ليعمَلَ اللازمَ مِنْ بيانِ حُكْمِ اللّهِ بصوتٍ مسموعٍ في مُكَبِّرِ الصوتِ وكذا التنبيهِ - على ذلكَ - عندَ كلِّ صلاةٍ، كما أبلغَهُ استعدادَه لتعليقِ مُلصقاتٍ بهذه الأحكامِ .

أخي القارئ: بعد الصلاةِ . . . مشى صاحبنا في

السوقِ لِيُتَمَمَ شِرَاءَ حَاجِيَّاتِهِ .

أَحَسَّ أَبْنَاؤُهُ بِالْجُوعِ وَثَارَتْ شَهِيَّتُهُمْ نَحْوَ
الدجاجِ الْمُتَلَالِيِّ الْمُتَقَلِّبِ فِي شَوَايَةِ الْمَطْعَمِ
فَقَالَ: خَيْرًا... ثُمَّ سَأَلَ صَاحِبَ الْمَطْعَمِ: مَنْ
أَيْنَ دَجَاجِكُمْ؟

قال: مِنَ الْبِرَازِيلِ . قَالَ: أَيْمَكِنُ أَنْ أَرَى غِلَافَ
الدجاجةِ أَوْ الْكَرْتُونَ؟

فَأَحْضَرَهُ صَاحِبُ الْمَحَلِّ .

قال له: كَمْ سِعْرُ هَذِهِ الدجاجةِ؟

قال: سِعْرُ الْكِيلُو خَمْسَةٌ دِرَاهِمَ وَخَمْسَةٌ
وَعِشْرُونَ فِلْسًا .

قال له: يَا أَخِي... أَنْتَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ،
وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ تَأْكَلَ الْحَلَالَ، وَتُطْعِمَ النَّاسَ
الْحَلَالَ، وَهَذَا الدجاجُ وَإِنْ كُتِبَ عَلَيْهِ حَلَالٌ،
فَمَا هَذَا إِلَّا تَرْوِيحٌ لِلْبُضَاعَةِ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ،
وَالْقَضِيَّةُ لَا تُكَلِّفُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَصْنَعُوا خْتَمًا

يخْتَمُونَ به كَلَّ كَيْسٍ ، فلا يَغْرَنُكَ خَتْمُهُمْ ولا
دجاجُهُمْ فَكُلُّهُ مصعوقٌ بالكهرباءِ !

وأنا عندي بحوثٌ علميةٌ تُثَبِّتُ هذه الحقيقةَ بالصورِ
والأرقامِ ، كما أنَّ عندي شريطاً مُصَوِّراً بهذا .

قال : ما الحلُّ؟

قال له : هل لَكَ إلى دجاجِ مذبوحِ على الطريقةِ
الإسلاميةِ ، وذبأحوه مسلمونٌ مُصَلِّونٌ ، وسعْرُهُ مثلُ
هذا أو أقلُّ بخمسةِ فلوسٍ . . . قال : نَعَمْ .

قال له : دَجَاجُ كذا . . . البرازيلي ، ودجاجُ
كذا . . .

ثمَّ ماذا لو كانَ هذا الدجاجُ أغلى بِدِرْهِمٍ مثلاً ؟
أولاً يستحقُّ الحلالُ ذلكَ ؟

قال : بلى واللهِ .

فوعدهُ بشراءِ الدجاجِ الحلالِ ابتداءً من هذه
اللحظةِ .

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ .

أخي القارئ... أختي القارئة...

هل مِنَّا مِنْ أَحَدٍ لَا يَذْهَبُ إِلَى الْأَسْوَاقِ؟

أَوَلَيْسَ فِي الْأَسْوَاقِ مُنْكَرَاتٌ؟

أَوَلَيْسَ فِي الْأَسْوَاقِ إِمْكَانٌ لِلْحَرْثِ وَالزَّرْعِ

وَالنَّمَاءِ الْجَارِي؟

فَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْنَا أَيْنَمَا

كُنَّا؟

فيا طلاب أسواق الجنة: قدّموا لها، واستمتعوا

بتسوقٍ لا نظيرَ له...

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

يا طلاب العلم: هذه هي الحسنَةُ الحقيقية التي

لو قامَ بها كلُّ واحدٍ مِنَّا لَكُنَّا أَكْبَرَ هَيْئَةٍ أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ

فِي كُلِّ بَلَدٍ مُسْلِمٍ، وَفَرَضْنَا عَلَى الْفُسُقِ غُرْبَةً،

وَفَرَضْنَا عَلَى الْوَأَقِعِ الطَّهَارَةَ وَالقُرْبَةَ .

لو قُمْنَا بها: لأورثنا الأجيالَ شجاعةً في الحقِّ

وقوّةً .

لو قُمنَّا بها : لأحيينا ضمائرَ ألفتِ المنكرَ وماتتِ وهي لا تدري .

لو قُمنَّا بها : لكُنَّا سبباً في وقايةِ الناسِ عذابِ اللهِ بإذنِ اللهِ .

أخي القارئ : هُنا جاءتِ لصاحبنا فكرةٌ عظيمةٌ بعدَ هذهِ التجربةِ وهي : أنْ يُوجِّهَ كتاباً من صَفْحَةٍ واحدةٍ لأصحابِ هذهِ المحلاتِ وأمثالها ويُترجمهُ إلى لغاتٍ مُتعددةٍ ليخاطبَ بهِ باعةَ السوقِ المسلمينَ ، كما يوزعُ على العربِ منهم شريطاً بعنوان : السيئةُ الجاريةُ .

إن القضيةَ يمكنُ أنْ تأخذَ أبعاداً أكبرَ في علمِ الصدقاتِ الجاريةِ حينَ نُفكِّرُ بإنشاءِ أسواقِ طاهرةٍ ، أو أسواقِ للطاهرينَ ، أو تحويلِ أسواقنا شيئاً فشيئاً إلى ذلك ، ليعلو فيها الصدقُ ، والأمانةُ ، والتزامُ الأحكامِ الشرعيَّةِ ، والباعَةُ المتعلِّمونَ حُكْمَ اللهِ ، فيها النظامُ الإسلاميُّ ، فيها هيئةُ الآدابِ الشرعيةِ والعُرْفِيَّةِ ، فيها السُّتْرُ

والعَفَافُ، فيها كُلُّ ما يَطْلُبُهُ الوالدُ لولدهِ في عِلْمِ التَّربِيَةِ الصَّالِحَةِ من وسائلِ حَدِيثَةٍ، فيها السِّينِما النُّظِيفَةُ، وفيها أَمَاكُنُ التَّرْفِيهِ المَحْتَشِمَةُ، وفيها النِّقَاحَةُ والمَصَحَّاتُ الرَّاقِيَةُ الطَّاهِرَةُ، فيها الفَنَدَقَةُ الزَّاكِيَةُ، وفيها العِلْمُ بِصُورَةٍ تَرْفِيهِ، وفيها التَّرْفِيَةُ الهَادِفُ . . .

فيها ما تَخْتارُهُ البَنْتُ المَسْلَمَةُ وَالْأُمُّ المَسْلَمَةُ، فيها اللِّحْمُ الحَلالُ، وَالذَّبْحُ الحَلالُ، وَالْمَطْعَمُ النُّظِيفُ الحَلالُ، فيها إِخْرَاجُ زَكَاةِ عُرُوضِ التِّجَارَةِ، وفيها صِنَادِيقُ الصَّدَقَاتِ . . . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِثَارَةٍ لِلْعَدُوِّ، أَوْ صَخَبٍ مَتَّصِعِدٍ يُثِيرُ الحَاسِدِينَ .

إِنَّ القَضِيَّةَ كَبِيرَةً كَبِيرَةً . . . لَا يَصْلِحُ لَهَا إِلَّا أَصْحَابُ الهِمَمِ الكَبِيرَةِ .

فَاللَّهُمَّ أَفْتَحْ قُلُوبَ القَادِرِينَ مِنْ عِبَادِكَ لِتَحْقِيقِ هَذَا الغَرَّاسِ .



الغراسُ السادسُ

غِرَاسُ الْوَفْدِ الطُّلَّابِيِّ

العيون الساقية... لغراس الوفد الطلابي

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» [رواه البخاري [٨]، ومسلم [١٦] في صحيحيهما].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». [رواه البخاري [١٨١٩]، ومسلم [١٣٥٠] واللفظ له].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». [رواه أحمد [٨٤١٧]، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد].

غراسُ الوَفْدِ الطُّلابِيِّ

مُحتوى الفِكرة :

عَمَلُ حَمَلاتِ حَجِّ وَعُمَرَةَ خَاصَّةً بِطِلابِ
المدارسِ والمعاهدِ والكلِياتِ .

● هَدَفُ الفِكرةِ وَأَهْمِيَّتُها :

أولاً : افتقارُ وجودِ هذا النوعِ مِنْ حَمَلاتِ الحَجِّ خصوصاً مِنْ خارِجِ الممِلكَةِ، أمَّا الحَمَلاتُ المِختلِطَةُ فإنَّه يَغلِبُ على رِوَادِها كِبارُ السِنِّ مِنْ الرِجالِ والنِساءِ، وأمَّا الحَمَلاتُ المِتخِصِصَةُ بالشِبابِ ذِكوراً وإِناثاً فإنَّها مِفقودَةٌ رَغمَ أَهمِيتها .

ثانياً : أداءُ فِريضةِ اللَّهِ لِأَناسٍ وَجَبَ عليهمُ الحَجُّ شِرعاً، لَكنَّهم لِمِتهائِونِ في التَلَقِّي عَنِ اللَّهِ، ولِلتسويِفِ المُعتادِ مِنَ العامَّةِ، ولاستِصغارِ أعمارِ

مَنْ افترضَ اللهُ عليهم مِنَ البالغينَ القادرينَ على الحجِّ، ولظنُّ سائِدِ أُنَّ الزواجَ لا بدَّ أن يكونَ قبلَ الحجِّ، وأنَّ الدراسةَ قَبْلَ الحجِّ... فإنَّ الغريبَ هُوَ مَنْ يَحُجُّ وهو طالبٌ في المدرسةِ أو في المعهدِ أو قبلَ الزواجِ...!

فالأصلُ عندَ عُمومِ الناسِ تأخيرُهُ، وكأنَّ هذا الركنَ ليسَ مُرتبطاً بالبلوغِ والاستِطاعةِ...!

ولو لم يكنِ من ثمارِ هذا النوعِ مِنَ الحملاتِ إلا إسقاطُ فريضةِ اللهِ عَن أناسٍ وَجَبَتْ عليهم الفريضةُ لكفى... .

ثالثاً: تقويةُ الجانبِ الإيمانيِّ... لقد جَرَّبْنَا - وَمَنْ جَرَّبَ عَرَفَ - عَظِيمَ الوَقعِ الإيمانيِّ على قلوبِ الطلابِ في الحجِّ حينَ يجدونَ توجيهاً يَسيراً، وتذكيراً مُؤثراً حَكيماً، وتعليماً مُناسباً، وكيفَ أُنَّ منسوبَ الإيمانِ في القلوبِ يرتفعُ حتى يفيضَ على الجوارحِ، وتفيضَ به العيونُ رَغماً عن الجُفونِ... .

فلقد ذهبنا في رحلة حجّ مع خمسة عشر طالباً من طلاب المدارس الثانوية، فرأينا من هؤلاء الشباب الأثر البالغ لهذه الرحلة على إيمانيتهم، حتى إنّ بعضهم كان يبكي بصوت عالٍ حال التلبية عند ابتداء الإحرام، وآخرون ذكرونا بأصحاب رسول الله ﷺ حين بحث أصواتهم بالتلبية استجابة لطلب جبريل من النبي ﷺ، أما التسابق إلى الصلاة، والاعتكاف على الأذكار، والصبر على طاعة الله... فإننا قد رأينا منهم ما احتقرنا أنفسنا معه...

أما حين جاء يوم عرفة فقد رأينا من هؤلاء شيئاً آخر، فبعدما وضعنا أمتعتنا وصلينا الظهر والعصر جمع تقديم، ابتداء أكثرهم بالدعاء رافعاً يديه داعياً منذ زوال شمس يوم عرفة - ولم يضعها - حتى غربت الشمس! اللهم إلا لطعام أو تجديد وضوء أو نحو ذلك. مع بكاء ودموع، وضراعة شديدة بخشوع، اتباعاً لسنة النبي ﷺ، كما ثبت عنه في دعائه بعرفة من الزوال إلى الغروب.

وهذا الفيضُ الإيمانيُّ الكبيرُ كان هو السمةُ الكُبرى لهذه الرحلةِ ولكلِّ رحلةٍ مماثلةٍ بإذنِ اللهِ تعالى، وكفى هذا المكسبُ سبباً لإقامةِ هذه الحملةِ العظيمةِ .

رابعاً: إحياءُ الأخلاقِ الإسلاميةِ :

مِنَ المعتادِ في حملاتِ الحجِّ الأخرى أَنَّ الحاجَّ يقومُ على خِدْمَتِهِ مُوظَّفونَ مُتَخَصِّصونَ لهذا الأمرِ، ولذلكُ فَإِنَّكَ كثيراً ما تجدُ التذمُّرَ من الخِدْمَةِ ومن الطعامِ والمنامِ ونحوِ ذلكِ مما هو مُعتادٌ في كثيرٍ من حملاتِ الحجِّ، كما تجدُ الخلافَ ما بينَ الحجاجِ وأصحابِ الحملاتِ هو الصِبْغَةُ العامةُ، وكذا الاختلافُ ما بينَ الحجاجِ بعضهم معَ بعضٍ .

أما في هذا النوعِ مِنَ الحملاتِ فإننا قد وجدنا أَنَّ كلَّ مَنْ في الحملةِ يتقَرَّبُ إلى اللهِ تعالى بِخِدْمَةِ الحجاجِ الآخرينَ، فالعبادةُ لَمْ تَقْتَصِرْ عندَ هؤلاءِ على المناسكِ وحدها، ولا على الصلاةِ والأذكارِ وقراءةِ القرآنِ، بل تعدَّتْ لِتشمَلَ حياتَهُم كلاًها .

وهذا لا يمنع من أن تُخصَّصَ مجموعةٌ أو مجاميعٌ للتناوبِ على الخدمةِ مع وجودِ متخصصينَ كطباخٍ متخصصٍ، وسائقٍ متخصصٍ ونحو ذلك .

وهذا الذي ذكرتُ من تنافسٍ على الأخلاقِ الإسلاميةِ ليس بخاصٍّ في التسابقِ إلى الخيراتِ، بل هو أمرٌ يشملُ تركَ الجدْلِ، وتركَ الفضولِ: فضولِ الكلامِ، وفضولِ النظرِ، وفضولِ السمعِ، وفضولِ الأعمالِ .

خامساً: بناءً وتوثيقُ الأخوةِ: كثيراً ما يجتمعُ الشبابُ في أماكنَ مُتنوعةٍ، ولكن قلَّما تقومُ تلكَ التجمعاتُ بينهم على الأخوةِ الإسلاميةِ الحقَّةِ، فتجدُّهم يزدادونَ خلافاً في اجتماعاتهمِ تلكَ، ويزدادونَ إسقاطاً للآدابِ، وفِعْلَ ما يُنافي مقتضياتِ الأخوةِ، أمَّا في الحجِّ فإنَّ الجوّ العامَّ في الحجِّ هو جوُّ الأخوةِ الإسلاميةِ الكُبرى، جوُّ التواضعِ للمسلمينَ، جوُّ معايشةِ أحوالِ المسلمينَ، ورؤيةِ مآسيهم على أرضِ الواقعِ . . .

فإذا استُفيدَ مِنَ الجَوِّ العامِّ صِيغَتِ الحياةُ هناكَ
صياغةً أُخرى، وإلا ازدادتِ القلوبُ قسوةً
والألسنةُ سُخريةً، والآدابُ سوءاً...

وجوُّ الحجِّ الإيماني الأخلاقي هذا في هذا
الزمانِ أحسنُ علاجٍ لأمراضِ هذا الزمانِ، لأنَّه
جوُّ صحِّيٌّ طاهرٌ مُطَهَّرٌ في زمنِ الاغترارِ .

ونسيانُ المسلمِ لأخيه المسلمِ أمرٌ مِنَ الخطورةِ
بمكانٍ، ذلكَ أنَّ كلَّ ما في الدنيا هذه الأيامِ يُوَزُّ
الإنسانَ أزاَّ نَحْوَ ذِكْرِ النفسِ ونسيانِ الآخرينِ،
هذا مِنْ حيثُ الجَوِّ العامِّ، فكيفَ إذا استُثمِرَ هذا
الجوُّ في ترسيخِ معاني الإخاءِ وإنشائها، وبنائها
على أُسسٍ صحيحةٍ، ثُمَّ ترسيخها مِنْ خلالِ
التعريفِ بها في أولِ الرحلةِ، والتأكيدِ عليها في
أثناءها، ومتابعةِ ممارستها طوَالَ أيامِ الحجِّ العظيمِ .

إنه سَفَرٌ، والسَّفَرُ يُسْفِرُ عن معادنِ الرجالِ، كما
أنه سَفَرٌ إلى أفضلِ البقاعِ في الأرضِ، وهنا يُمكنُ
أن تُعالجَ كلُّ السلبياتِ التي تَظْهَرُ في أثناءِ الممارسةِ

الأخويَّةِ مما يحسبُه الشابُّ تحبُّباً وتفكُّهاً، بينما هو مخالفةٌ شرعيَّةٌ وإساءةٌ للأخ .

إنَّ أخوَّةً وُلِدَتْ في هذه الأيام المباركةِ حريٌّ بها أن تكونَ مباركةً طوالَ العامِ وتمتدُّ طوالَ العُمُرِ . . . ولقد بقي أصحابُها يتذكرونها بأحسنِ الذكرِ طوالَ حياتهم، وخصوصاً في كلِّ موسمٍ حينما يأتي الحجُّ، حيثُ تهبُّ عليهم رياحُ ألدِّ وأجملٍ وأبركٍ حَجَّةٍ حَجَّوها في أعمارهم .

ويمكنُ أن يوسَّعَ هذا المشروعُ ليشمَلَ العُمرةَ، عُمرةً في رمضانَ، وعُمرةً في إجازةِ الربيعِ، وعُمرةً في الإجازةِ الصيفيَّةِ . . . وينبغي أن يوسَّعَ لإنشاءِ حملةٍ ثابتةٍ لهذا الغرضِ الكريمِ .

ولكن ينبغي أن تُراعى ظروفُ الطلابِ الماديَّةُ فلا تُستغلُّ رغبةُ الطلابِ في الحجِّ وإقبالهم عليه بمزيدٍ من التكاليفِ الماديَّةِ .

سادساً: الحجُّ الصحيحُ: مَنْ ذهبَ إلى الحجِّ مع وليِّ أمره العامِّيِّ وهو صغيرٌ، نقلَ أخطاءَ وليِّ

أمره إلى ولده من بعده . . . فتراه يُكرّر تلك الأخطاء طوال عُمره، ويُدافع عنها وهو لا يدري، وهذا يحدث كثيراً، أما حين يحجّ هذا الطالب مع علماء مُتقنين للمناسك وأحكامها، يُجسّدون له معاني الإمام القدوة، فإنّ رؤيته لهذه العبادة العظيمة ستختلف حيث سيرها حجة كحجة رسول الله ﷺ، ثمّ يستمع لما يدور من أسئلة وإجابات كثيرة، فإنّ هذا كفيلاً بأنّ يُعلّمه أحكام الحجّ ويُسجّلها في ذاكرته، بحيث لا تزول من ذاكرته - بإذن الله تعالى - لأنّه قد اجتمع فيها جميع وسائل الحفظ وأسبابه: السماع، والرؤية، والممارسة، والقراءة، والمتابعة، والمذاكرة، ورؤية الصواب، والتنبيه على خطأ القول، وخطأ الفعل، كلّ هذا يحدث مع التكرار ثمّ الحوار.

ملاحظة:

إنّ مما ينبغي التنبيه عليه والتأكيد عليه هو أنّ

هذا النوع من الحملات لن يوتي ثماره بمجرد قيام صورة حملة حج طلابية... لا .

فالثمرة تتعلق أساساً بعد فضل الله تعالى بالرجل أو الرجال المشرفين على الحملة. ومنهج الحملة ووسائلها .

وإن أي بلد يستطيع أن يسير حملات حج عن طريق المدرسين الثقات، والأئمة الموثوقين من خلال رسوم رمزية، ولجنة مشرفة متخصصة لهذه الحملات، ومنهج مستقيم. كما يمكن أن تؤسس حملات أسرية إذ تشمل الحملة مجموعة من الأسر... فالطالب يذهب بأسرته أو والديه فيها... بالإضافة لكل ما فيها من خير، فإن فيها توثيقاً للترابط الاجتماعي الذي تصدع في هذا الزمان.



الغِراسُ السابِعُ

غِراسُ عقليةِ اصطناعِ البدائلِ النافعةِ

العيونُ الساقيةُ

لغراسِ عقليةِ اصطناعِ البدائلِ النَّافعةِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهٗ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال تعالى: ﴿رَكَضْ بِرِحْلِكَ هَذَا مُعْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢].

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «يا معشرَ الشبابِ! مَنْ استطاعَ الباءةَ فَلْيْتزَوَّجْ، فَإِنَّه أَعْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ - فَإِنَّه لَهُ وَجَاءٌ». [رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له].

غراسُ عقليةِ اصطناعِ البدائلِ النافعةِ

تحوُّلٌ صغيرٌ في عقليةِ المسلمِ كفيلاً بتحويلِ
مَجْرَى حَيَاتِهِ، بل مَجْرَى موازينِ التحكُّمِ
والقوى.. ذلك التحوُّلُ هو الإحسانُ في
[اصطناعِ البدائلِ النَّافِعَةِ]...

إنَّه الاستعدادُ الذَّهْنِيُّ الذي يجعلُ مِنْ صاحِبِهِ
لُغْزاً مُحَيِّراً لأعدائِهِ، ومَلْجأً لِقَوْمِهِ فِي المُلِمَّاتِ
العامةِ والخاصَّةِ، فما مِنْ مُصِيبَةٍ تَفْجُؤُهُ، وما مِنْ
جَائِحَةٍ تَجْتاحُهُ عن آخِرِهِ، والأعظمُ مِنْ ذلكَ أَنَّهُ
بهذه الخاصِّيَّةِ يَسْتَخْرِجُ مِنْ هذه المصائبِ مَصائِدَ
لأعدائِهِ، وإنجازاتٍ لدينِهِ، ولأُمَّتِهِ، لِدُنْيَاهِ
وَلآخِرَتِهِ...

تُقْبِلُ المصِيبَةُ مُظْلِمَةً مُدْهَمَّةً، عاصِفَةً قاصِفَةً،
مُرْعِدَةً مُرْعِبَةً، بارِقَةً حارِقَةً... فيصبرُ لها عندَ
الصدمةِ الأولى، فلا يَرْفَعُ لها رَأْساً، ولا يُظْهِرُ

في وَجْهها أَسَى وَلَا بِأَسَأ... .

يَسْكُنُ وَيَسْكُتُ، وَقَلْبُهُ مَعْلَقٌ بِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ
وَالنَّهْيُ، وَعَقْلُهُ يَغْوِضُ فِي الْأَعْمَاقِ هُنَا وَهَنَاكَ،
لِيَسْتَخْرِجَ الْبَدِيلَ الْعَظِيمَ، مِنْ خِلَالِ التَّحَوُّلِ
الذَّهْنِيِّ الصَّغِيرِ الَّذِي يُحَوِّلُ هَذِهِ النِّقْمَةَ إِلَى نِعْمَةٍ
كُبْرَى.

إنه يدركُ أَنَّ تحوِيلَ هذه المصيبةِ إلى نعمةٍ
يبتدئُ بتحوُّلٍ صغِيرٍ في العقلِ، فإذا به تحوَّلُ
عظيمٌ، ونقْلَةٌ كبرى في الواقعِ... . إنه كمَّوجاتِ
الإذاعاتِ، فالحرَكَةُ الصَّغِيرَةُ في المَوْجَةِ على
خُطوطِ المذياعِ الذي بَيْنَ يَدَيْكَ تُحْدِثُ نَقْلَةً من
بلادٍ إلى بلادٍ، والأمرُ عندَ اللَّهِ أَيْسَرُ من ذلكِ... .

كم يتكرَّرُ مع أَحَدِنَا العَجَبُ من نَفْسِهِ... ؟!
حقاً، يعجَبُ أَحَدُنَا من نَفْسِهِ كَيْفَ أَذْهَلَتْهُ
المصيبةُ أولَ مرَّةٍ حتى أَطَارَتْ عَقْلَهُ، وَأَظْلَمَتْ
المستقبلَ في وَجْهِهِ؟ فلما مرَّتِ الأيامُ تحوَّلَ

الأمر إلى مجراه بطبيعته، وانكشف بإذن الله عن حكمته، وإذا بها تُخبئ خلفها الخير الكثير، والرزق الوفير.

وهل من مصيبة أعظم من التُّهمة في العَرَضِ؟! إنها تعظم بقدر طهارة العَرَضِ، وبُعده عن موارد الشبهات، ومع هذا فقد قال الله تعالى لأظهر عَرَضٍ في قِصَّةِ الْإِفْكِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

في كلِّ مرَّةٍ يقول أحدنا هذه آخِرُ مرَّةٍ أفاجأُ بها وأنزلُ! وهكذا نعودُ ثم نعودُ ونعودُ...!

هذه حياةُ النبي ﷺ فلننظر إليها من هنا بعينٍ تطلُّ من كُوَّةِ اصطناعِ البدائلِ النافعة، وسنجدُ لكلِّ مصيبةٍ تقعُ لنا اليومَ نظيراً مماثلاً أظهرَ منها في حياته؟، ثم نجدُ كيفَ اصطنعَ النبي ﷺ لتلك

المصيبة مخرجاً وحوّلها إلى نعمة، بعد أن كانت
مصيبة!

أليس الإيذاء والتعذيب هو أقسى ما يمرُّ على
المرء في عُمره، فلربّما كان فيه نهاية عمره؟!
ولكن من هذا المأزق أعطى النبي ﷺ لأصحابه
مخرجاً ليس له نظير، حين أمرهم بالتوجّه إلى
الحبشة لأنّ فيها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، فكانت
تلك الهجرة هي الفتح الأول التي أبقت الغراس
الذي ما زال حتى هذه اللحظة يُثمر التوحيد،
ويُشيعه في تلك الأصقاع وما جاورها، ويتوارثه
الناس إلى يوم القيامة، بالإضافة لسلامة
الأصحاب.

أليس الإخراج من البلاد مصيبة تُضاهي إخراج
الروح من الجسد؟

ولكن من هذه المصيبة أوجد النبي ﷺ لأصحابه
مأوىً ومُنطلقاً إلى العالم كله وإلى يوم القيامة...
إنها المدينة.

نعم، إن المدينة اختيار الله، والأمر كله لله،
 لكن الله هداه لها، بعدما بقي يبحث عن بديل
 فكانت هي نتيجة عرض النبي ﷺ نفسه على
 القبائل في المواسم... وبذلك كان اختيار الله
 خيراً من اختيار المسلمين لأنفسهم...

وكل نبي نهى قومه عن منكر كُفري وشرك أكبر
 قدّم لهم البديل المناسب، وهذا القرآن يشهد
 بذلك.

فَنُوحٌ يَقُولُ لَوْلَدِهِ: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا﴾
 [هود: ٤٢] كبديل له عن العرق مع القوم الكافرين.

وَلُوطٌ يَقُولُ لِقَوْمِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ
 لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] كبديل طاهر عن الفاحشة.

ويوسف يُخْرِجُ مِصْرَ بِأَكْمَلِهَا مِنْ فَنَاءِ مُسْتَأْصِلٍ،
 بقوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾
 [يوسف: ٤٧] وهكذا...

أيها القارئُ: تذكّر من المصائب ما تشاء،
افترض منها ما تشاء، وهاتِ أصعب المشاكلِ
والمصائبِ والأشياءِ، ستجد لها مخرجاً،
والمخرجُ في بديلٍ صغيرٍ، وستجد أن القرآنَ
الكريمَ يعرضُ للعبادِ أعظمَ المصائبِ التي تتحوّلُ
إلى منافعٍ بأصغرِ البدائلِ، فهذه النفخةُ قد رُدَّ بها
أعظمُ خطرٍ هدّدَ البشريةَ آنذاك وسيبقى يُهدّدها
حتى خروجه - خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ - حينَ
طلبَ ذو القرنينِ من القومِ المشاركةَ، وأوقدها
بقوله «انفخوا..»

هذا الصخرُ يخرجُ منه الماءُ بضربةِ عصا، أو
بالخشيةِ من الله .

هذه النارُ يخرجُ من شررها مطرٌ مُعمّرٌ لهذه
الأرضِ..!

هذه الصواعقُ المُحرقةُ جعلَ الله فيها سرّاً
خُصوبةً هذه الأرضِ..!

هذه العواصفُ يعملُ منها الناسُ طواحينَ الهواءِ
لإنتاجِ طاقةٍ كهَرَبائيةٍ . . !

هذه السيولُ الجارِفةُ تُصنعُ لها سُدودٌ فَتُثمِرُ حياةً
لحياةٍ طويلةٍ . . !

هذه ليستُ حادثةً طارئةً، إنه منهُجٌ قرآنيٌّ أحسنَ
النبيِّ ﷺ تطبيقهَ إحساناً فريداً، وهو منهُجٌ معروضٌ
للعقولِ البشريةِ عامَّةً، والمسلمةِ خاصَّةً .

نعم إنَّ خَلقَ الكونِ أعظمُ مِنْ خَلقِ الناسِ، وفيه
مِنَ القُوَى ما هو فوقَ التصوُّرِ البشريِّ فَضلاً عَن
القُدرةِ البشريةِ، ولكنَّ حينَ نَنظُرُ إليه بما فيه مِنْ
قُوَّةٍ وَعَظْمَةٍ فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نزيدَ ذلكَ شيئاً واحداً
فحسبُ، نعمَ شيءٍ واحدٍ، ليتحوَّلَ كلُّ شيءٍ
لِصالحِنا . . . وهو أن نبنِي عِلْمَنَا وَعَمَلَنَا على
أساسِ أَنَّ قُوَّتَهُ وَعَظْمَتَهُ وما فيه إِنَّمَا هو مُسَخَّرٌ
لنا . . . فهو ليسَ عدواً لنا . . .

إنَّ صناعةَ البدائلِ كفيلاً بإذنِ اللهِ تعالى أن تُحوَّلَ
- وبكلِّ يُسرٍ وسُهولةٍ - اليدَ المُرتفعةَ لِتضربَ إلى

يدٍ ممدودةٍ لِتُصَافِحَ . . . وتُحوَّلَ الصرخةُ المرتفعةً
 مِنَ الفزعِ إِلَى صَرْخَةٍ ضروريةٍ للاستنقاذِ، وتحوَّلَ
 العداوةُ المُستَحْكِمَةَ إِلَى أُخُوَّةٍ فِي اللَّهِ خالصةٍ،
 وقد بيَّنَ اللَّهُ ذلكَ، وَبيَّنَ وسيلتهُ وحضُّ عليه،
 وقالَ بعدَ ذلكَ: ﴿وَمَا يُلْقَنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا
 يُلْقَنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]، ألمَ
 يُعَلِّمَ النبيُّ ﷺ تلكَ المرأةَ وهي في عُمقِ
 مُصِيبَتِهَا. . . «اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي
 خَيْرًا مِنْهَا»^(١).

كَمْ مِنْ مُصِيبَةٍ أَصَابَتْ يَعْقُوبَ بِفَقْدِ الصَّدِيقِ
 يوسُفَ ، فَهَلْ أَقْنَطَتُهُ المصِيبَةُ . . . !؟

لقد تحوَّلَ منظرُ الدِّمِّ على قميصِ يوسُفَ مِنْ
 دليلٍ على مَوْتِهِ إِلَى دليلٍ على حَيَاتِهِ، وتحوَّلَ
 سِجْنُ يوسُفَ مِنْ أَسْرٍ وَحَبْسٍ إِلَى انطلاقةٍ
 دَعْوَةٍ، وتحوَّلَ المسجونونَ معه إِلَى مَدْعُوينَ،

(١) رواه مسلم (٩١٨)، كتاب الجنائز، باب: ما يقال عند
 المصيبة.

وتحوّل السجن من مَصْنَعِ مُجْرِمِينَ إِلَى مَحْطَّةِ عُبُورٍ إِلَى قِيَادَةِ لِلْبِلَادِ، وَتَحَوَّلَتْ رِوَايَةُ الْيَأْسِ الْكَامِلِ عِنْدَ أَبْنَاءِ يَعْقُوبَ بِفِقْدَانِ الْأَخِ الثَّانِي إِلَى أَمَلٍ جَدِيدٍ عِنْدَ الْأَبِ، فَبِعَدَمَا تَضَاعَفَتِ الْمَصِيبَةُ بِذَهَابِ وَلَدِهِ الثَّانِي قَالَ يَعْقُوبُ عِنْدَهَا: ﴿يَبْنَئِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

أخيراً... تحولت الرؤيا الأولى - رؤيا يوسف - إلى حقيقة كبرى على أرض الواقع... ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠].

وَمِنْ قَعْرِ الْخَنْدَقِ وَبِرُودِيَةِ وَظُلْمَتِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَقُولَتَهُ حِينَ رَأَى الشَّرَارَةَ تَنْطَلِقُ إِثْرَ احْتِكَاكِ مِعْوَلِهِ بِالصَّخْرَةِ الَّتِي وَقَفَتْ لِلصَّحَابَةِ فِي طَرِيقِ الْحَفْرِ: «ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الْأُولَى فَبَرِقَ الَّذِي رَأَيْتُمْ، فَأَضَاءَ لِي مِنْهَا قِصُورُ الْحَيْرَةِ وَمَدَائِنُ

كَسْرَى كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ
 أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ
 فَبَرِقَ لِي الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَ لِي قُصُورُ الْحُمْرِ مِنْ
 أَرْضِ الرُّومِ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ، وَأَخْبَرَنِي
 جَبْرِيلُ أَنَّ أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي
 الثَّلَاثَةَ فَبَرِقَ لِي الَّذِي رَأَيْتُمْ، أَضَاءَ لِي مَعَهَا قُصُورُ
 صِنْعَاءَ كَأَنَّهَا أَنْيَابُ الْكِلَابِ؛ وَأَخْبَرَنِي جَبْرِيلُ أَنَّ
 أُمَّتِي ظَاهِرَةٌ عَلَيْهَا يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرَ فَأَبْشِرُوا» (١) .

وبعد الخندقِ أعلنَ النبيُّ ﷺ التحوَّلَ الكاملَ
 بقوله: «الآنَ نَعْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا» (٢) .

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٦٩/١٠) والبيهقي في الدلائل (٤١٨/٣) من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني به وإسناده ضعيف، لضعف كثير (تقريب التهذيب: ١٣٢/٢ - رقم: ١٧)، انظر: المسند (٣٠٣/٤). وقال الحافظ ابن حجر: إن إسناده حسن إلى البراء بن عازب، الفتح (٧/٣٩٧)، وانظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم ضياء العمري (٤٢٣/٢).

(٢) رواه البخاري (٤١١٠)، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب.

إِنَّهُ مَنْهَجٌ عَظِيمٌ ، عَظِيمٌ حِينَ يَتَفَجَّرُ نَوْرُهُ فِي لُبِّ الداعيةِ ، فينفجرُ نورُهُ في الظلماتِ الداهيةِ ، وَيُجْنِي خَيْرُهُ فِي وَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ فَتُوحاً حَقِيقَةً آتِيَةً .

وَعِنْدَهَا يَكُونُ عِظْمُ الْإِنْجَازِ بِعِظْمِ الْمَصِيبَةِ وَالصَّبْرِ ، وَيَكُونُ طَوْلُ الْمَصَابِ يُسَاوِي امْتِدَادَ الثَّمْرِ .

إِنَّ بِإِمْكَانِ الْقَارِئِ الْبَاحِثِ فِي الدَّرَاسَاتِ الْعُلْيَا وَغَيْرِهَا أَنْ يُعْطِيَ هَذَا الْمَوْضُوعَ حَقَّهُ ، فَيَبْحَثُهُ بَحْثاً عِلْمِيّاً عَمَلِيّاً يَرْجُو مِنْ خِلَالِهِ أَنْ يَقْدَمَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً وَلِلدَّاعَةِ خَاصَّةً بَحْثاً تَغْيِيرِيّاً فِي أَذْهَانِهِمْ وَفِي وَاقِعِهِمْ ، وَذَلِكَ حِينَ يَصُوغُ الْعُقُولَ - مِنْ خِلَالِ بَحْثِهِ - صِيَاغَةً جَدِيدَةً تُعِدُّهَا لِلْحَيَاةِ ، تُعِدُّهَا لِلْأَعْدَاءِ ، تُعِدُّهَا لِلْمَوْقِفِ ، تُوَاجِهُهُ الطَّوَامَ ، وَتَسْتَخْلِفُ الْمَصَابَ خَلْفَ خَيْرٍ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .-

وَأَمَّا الْبَاحِثُ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى يَزْخَرُ بِصِنَاعَةِ الْبَدَائِلِ ، وَكَذَا سُنَّةُ الْمُسْتَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَمِنْ بَابِ

الإعانة لا الحصرِ أسوقُ بعضَ الأمثلةِ للبدائلِ في القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ، للقارئِ قبلَ الباحثِ، مُوَكِّلاً حُسْنَ استنباطِ فهمِها له، مُكْتَفِياً بإشاراتٍ معدوداتٍ:

المثلُ الأولُ:

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

فالنملة قَدَمَتِ البديلَ قبلَ أن تذكِرَ الخطَرَ المحدِقَ مُباشرةً...

المثلُ الثاني:

قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ

حَتَّى يَبْلُغَ الْكِنْبُ أَجَلَهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾
 [البقرة: ٢٣٥].

فذكر الله النهي عن خطبة المعتدة في وفاة
 زوجها، وأعطى البديل وهو التعريضُ.

المثلُ الثالثُ :

قال تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ
 أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ فَمَا
 اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ [النساء: ٢٤].

فَلِلْمَسْبِيَةِ فِي الْجِهَادِ مِنْ نِسَاءِ الْكَافِرِينَ ثَلَاثَ
 أَحْتِمَالَاتٍ، إِمَّا إِرْجَاعُهَا لِلْكَافِرِينَ وَفِي هَذَا تَقْوِيَةٌ
 لَهُمْ، وَإِمَّا مَعَامَلَتُهَا كَالْحَرَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَهَذَا تَكْرِيمٌ
 لِلْكَافِرَةِ وَلِقَوْمِهَا وَإِهَانَةٌ لِلْمُسْلِمَاتِ، وَإِمَّا أَنْ

تكون أمةً ولها أحكامها المعروفة التي تنتهي بها عادةً إلى الحرية... فكان هذا هو أحسن بديل لأصعب مشكلةٍ لم تجد لها البشرية حلاً حتى لحظة نزول الآية.

المثل الرابع :

قال تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّآ وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهٗ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤٤] هكذا يُمكن أن يبرّ النبي ^(١) ﷺ بيمينه من غير أن يعاقب زوجته الوفيّة... .

المثل الخامس :

قال تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ

(١) هو نبي الله أيوب .

أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ
كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

[المائدة: ٨٩].

فماذا يُمكنُ أن يُعطى مَنْ أقسمَ باللهِ أن لا يفعلَ
الخيرَ بديلاً أحسنَ من هذا البديلِ ، الذي يجمعُ بين
الخيرينِ : التَّحَلُّلِ مِنْ يَمِينِهِ بِقُرْبَةٍ ، والعودةِ إلى فعلِ
الخيرِ بتوبته؟

المثلُ السادسُ :

قال تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠] فبديلُ كلِّ ظلمٍ
عَفْوٌ . . .

المثلُ السابعُ :

قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا
الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا
جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى

أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ
النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

[النساء: ٤٣].

المثلُ الثامنُ :

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتَ قَلْبَكَ حَفِظْتَ لِلْغَيْبِ بِمَا
حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْ نَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ
فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ
سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤].

المثلُ التاسعُ :

دراسة حياة بني إسرائيل تدلُّ بجلاءٍ على أنهم
أسوأ الناس اصطناعاً للبدائل لاختيارهم الأسوأ
دائماً، أو ضجرتهم من كلِّ مُصيبة، قال تعالى:
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامِهِ وَاجِدْ فَادْعُ لَنَا

رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنبتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
 وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
 أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا
 سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ
 مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿البقرة: ٦١﴾.

المثلُ العاشرُ:

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ
 وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا
 شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
 [البقرة: ٢١٦].

المثلُ الحادي عشرُ:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ
 وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا
 تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ

مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا
إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿البقرة: ٢٢١﴾ .

المثلُ الثاني عشر :

قال تعالى : ﴿قُلْ أُونَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ
اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥] .

المثلُ الثالث عشر :

قال تعالى : ﴿وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ
بُئْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
[التوبة: ٣] .

المثلُ الرابعَ عشرَ :

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أوفى الكَيْلَ وَأنا خيرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف : ٥٩].

المثلُ الخامسَ عشرَ :

قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة : ٩].

المثلُ السادسَ عشرَ :

قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : ١١٠].

المثل السابع عشر:

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰعَلِمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٠].

المثل الثامن عشر:

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتَبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۗ وَءَاتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَّتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ۗ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّنَبْغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣].

المثل التاسع عشر:

قال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١].

أما شواهد اصطناع البدائل من أحاديث النبي ﷺ، فإنها أكثر من أن تُحصَرَ، وهذه أمثلة عظيمة عليها:

* عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله إنني أذنبت ذنباً كبيراً فهل لي توبة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «ألك والدان؟» قال: لا، قال «فلك خالة؟» قال نعم: فقال رسول الله ﷺ: فبرها إذا»^(١).

* عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نام عن وتره أو نسيه فليصله إذا ذكره»^(٢).

* عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «استأذنت النبي ﷺ في الجهاد فقال: جهادكن الحج»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٤٦٢٤). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه أبو داود (١٤٣١) كتاب الصلاة، باب: في الدعاء بعد الوتر. وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٢٨٧٥). كتاب الجهاد والسير، باب: جهاد النساء.

* عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سِنَانٍ : « مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونِي حَجَبْتِ مَعَنَا؟ » قَالَتْ : نَاضِحَانِ كَانَا لِأَبِي فَلَانٍ - زَوْجَهَا - حَجَّ هُوَ وَابْنُهُ عَلَى أَحَدِهِمَا وَكَانَ الْآخَرُ يَسْقِي غَلَامَنَا قَالَ : « فَعُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجَّةً ، أَوْ حَجَّةً مَعِي » ^(١) .

* عن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسُهَا ، وَأَطْنُهَا لَوْ تَكَلَّمْتَ تَصَدَّقْتُ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ : (نَعَمْ) ^(٢) .

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ نَاسٌ مِنَ الْأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ ، قَالَ : فَجَاءَ غَلَامٌ يَوْمًا يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ : ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي . قَالَ :

(١) رواه مسلم (١٢٥٦)، كتاب الحج، باب: العمرة في رمضان.

(٢) رواه البخاري (١٣٨٨)، كتاب الجنائز، باب: موت الفجأة.

الخبِيثُ ، يَطْلُبُ بِذَحْلِ (١) بَدْرًا ! وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ
أَبْدًا (٢) .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم : «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا
فَلْيَأْتِهَا وَلْيُكْفِرْ عَن يَمِينِهِ» (٣) .

* عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ :
«كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ
وَحَاجَّتِهِ ، فَقَالَ لِي : «سَلْ» فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ
مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ : «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ» ؟ قُلْتُ :
هُوَ ذَاكَ قَالَ : «فَاعْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ
السُّجُودِ» (٤) .

(١) بِذَحْلِ : أَي بَثَّار .

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمَسْنَدِ (٢٢١٦) . قَالَ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ
إِسْنَادَهُ حَسَنٌ .

(٣) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١٦٥٠) ، كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ : نَدَبُ مَنْ حَلَفَ
يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا .

(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤٨٩) كِتَابُ الصَّلَاةِ ، بَابُ : فَضْلُ السُّجُودِ
وَالْحَثُّ عَلَيْهِ .

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِذَا شَكَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ ، فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ» ^(١) .

* عن الحسن رضي الله عنه قال : بَلَعْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَعَنِمَ أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ» ^(٢) .

ولك أن تمرَّ على أبوابِ الفقه باباً باباً ، وسوف تجد فيه مجموعةً عظيمةً من البدائلِ الشرعية عن الأصلِ الشرعيِّ ، فضلاً عن الحيلِ الشرعية ، ولا تكاد تجد باباً من أبوابِ السياسةِ الشرعية إلا وتجد فيه بدائلَ كثيرةً .

وهكذا لو بحثَ الباحثُ في سيرةِ النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري (٤٠١) ، كتاب الصلاة ، باب : التوجه نحو القبلة حيث كان ، ومسلم (٥٧٢) ، كتاب : المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة .

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤٥٨٥) ، وحسنه الألباني في السلسلة (٨٥٥) .

ونظرَ على وجهِ الخصوصِ في أعظمِ النوازلِ التي
 نزلتْ بالمسلمينَ لوجدَ كيفَ استخدمَ النبيُّ ﷺ
 بديلاً ناجحاً أثمرَ أعظمَ إنجازٍ من أولِ البعثةِ حتى
 موتهِ؟ .

وكذلكَ مَنْ نظرَ في عهودِ الخلفاءِ الراشدينَ
 رضيَ اللهَ عنهمَ لوجدَ نفسَ الحقيقةِ مُنذُ وفاةِ
 النبيِّ ﷺ حتى وفاةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه ، وهكذا في
 عُصورِ الإسلامِ الزاهرةِ ما التزموا بكتابِ اللهِ
 وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ ، أمَّا حينَ يُتَخَلَّى عن كتابِ اللهِ
 وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ كمنهاجٍ للحياةِ ، فأَيُّ بديلٍ ينفعُ
 إذا تُركَ الأصلُ..؟!!

جَرَّبْ ، واعرِضْ أيها القارئُ مشاكلَ ومصائبَ
 حقيقيَّةً مما يتكرَّرُ حدوثهُ كثيرًا ، وقِفْ وارهًا
 جدارها ، ثم انظرْ مُتأملًا مُستعينًا باللهِ تعالى ،
 وسوفَ تَتَفَتَّحُ لكَ أبوابُ البدائلِ مِنْ كلِّ جانبٍ
 لكلِّ مُصيبَةٍ من تلكَ المصائبِ ، وناذِ على
 المسلمينَ أنْ هلمُّوا ، وتعلِّموا ، واكتشفوا

البدائل... مشاكل في الزواج، في الطلاق،
صدمات في التربية، في الصحبة، في التجارة،
في السياسة، في المال... الخ.

تدرب على ذلك في حياتك اليومية، ومشاكلك
المنزلية وممارساتك التربوية، فحياتك اليومية
أحسن ساحة للتدريب المتواصل والنافع لبناء
عقلية البدائل...

لا تُقعدنك مشكلة خاصة أو عامة وتقول: لا حلَّ
أو لا بديل إلا الاستسلام، أو ليس في الإمكان إلا
الْقُعودُ في هذا المكان، لقد أُطبقت عليّ من كلِّ
جانِبٍ...!

فإنَّ مما استعاذ بالله منه رسولُ اللهِ ﷺ العَجْزُ،
فقال: «وأعوذُ بك من العَجْزِ والكَسَلِ» ومن أعظم
الناسِ عَجْزاً مَنْ عَجَزَ عن التفكير...

أخي القارئ: راجع سيرتك وسترى أنَّ العَجْزَ
أقعدك عن بلوغ الغاية، أو تغيير المنكر، لم
تفكر بالبديل النافع؟ وشواهد ذلك من حياتي

وحياتك كثيرة . .

إنك تعجز عن إقناع ولدك بالزواج . . . لكنك لو فكرت أن تعرض عليه البنت البديلة الصالحة عن التي في ذهنه، أو البديلة عن عزوبته لكان ذلك البديل خيراً من الإنكار المجرد . . !

تعجز عن إقناع شيخ متمكن بالتأليف لكن لو فكرت بالموضوع الضروري الذي تقدمه له لأفلحت . . .

تعجز عن الإقدام لإقناع القائد أو الأمير أو المسؤول وتبقى أسير الكلام والتذمر . . .

لكنك لو قدمت له المشروع المناسب بالصيغة المناسبة لغرست من خلاله في أرض البلاد خيراً كثيراً . . .

وهكذا لو قدمت لطلاب العلم منهجاً للرسوخ في العلم لكان خيراً من التحفيز المجرد . . .

ولو برمجت لولدك وقتاً للمذاكرة الدراسية في

البيت وحاسبتَه عن هذا الوقتِ وأعطيتَه بقيَّةَ الوقتِ
لكانَ ذلكَ البديلُ خيراً من مُجردِ الإنكارِ على
الإهمالِ . . .

إنَّ اصطِناعَ البدائلِ يجعلُ صاحبها لا يتوقفُ
عاجزاً عندَ هذا الحدِّ أو ذاكِ . . . ولا يُعجزُه
عدوُّ، أو تُضِلُّه ظُلْمَةٌ . . .

ما أعظمَ شيخَ الإسلامِ ابنَ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ وقد
تَفَتَّحَتْ أبوابُ سِجْنِ القَلْعَةِ في وَجْهِهِ . . .
فأخذتُ عندها أبوابَ البدائلِ تَفْتَحُ أمامَ عَيْنِيهِ،
فقالَ قَوْلَتُهُ العَظِيمَةَ في اصطِناعِ البدائلِ «مَا يَصْنَعُ
أَعْدَائِي بِي! أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي أَيْنَ
رُحْتُ فَهِيَ مَعِي لَا تُفَارِقُنِي، أَنَا حَبْسِي خُلُوءٌ،
وَقَتْلِي شَهَادَةٌ، وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةٌ».

وَمِنْ قَبْلِهِ اسْتَخْرَجَ عُمَرُ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْخَيْرَ فِي
لِحْظَةٍ قَتَلَهُ حِينَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ قَتْلِي
عَلَى يَدِ رَجُلٍ لَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً» . . . وَبَاشَرَ
بِاصْطِنَاعِ الْبَدِيلِ عَنِ نَفْسِهِ بِتَعْيِينِ سِتَّةِ رِجَالٍ مِنْ

العشرة المبشرين بالجنة كل رجل منهم بأمة . . .
وهكذا يبقى اصطناع البدائل أمراً ثابتاً، وحقيقة
عظيمة قابلة للتطبيق، والمجال أمام المسلمين
كأفراد وكأمة مفتوح لاستخدام «فن صناعة البدائل
النافعة» على أوسع نطاق بما في ذلك كيفية إعادة
الإسلام كمنهج للحياة . . .



الغِراسُ الثامنُ

غِراسُ رَابِطَةِ الخُطباءِ

العيونُ الساقية... لغراسِ الخطباء

قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٢].

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر : ١٨، ١٩].

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص : ٥١].

قال تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسًا ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل : ١٨ - ١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : أَنْصِتْ ، وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ ، فَقَدْ لَعُوتَ». رواه البخاري (٩٣٤) ، ومسلم (٨٥١).

غراس رابطة الخطباء

● لماذا الرابطة؟

لهذه الرابطة أهداف عظيمة لا يمكن أن تتحقق بدونها - إلا أن يشاء الله - ومن تلك الأهداف:

- أولاً: نجدّة الخطباء:

لا يزال الخطيب في العالم الإسلامي يعاني منفرداً، ويواجه العالم أعزل، ويتحمّل التبعات وحده، ويبقى أغلب المستمعين في طول العالم الإسلامي وعرضه متفرجين، وفي أحسن الأحوال معزّين، لا يتعدّى موقف أغلبهم مجرد الشعور، وإلا فالحديث الهامس! بينما ذاك الخطيب يذوق الفقر والديون، ويواجه المساءلة والمحاسبة، وأحياناً السجون والتشريد، وأحياناً أخرى التعذيب والقتل! ويترك من بعده أسرة تواجه الضنك والعناء، وأولاداً يواجهون الطرد

والضياع، وزوجة تفتقر إلى المعين!

والمرء يتساءل مُتَعَجِّباً مِنْ حَالِ الْمُعْجَبِينَ بِهِ:
 أين المعاني التي ربَّاهم عليها ذاك الشيخ؟ أين
 النُّصرة؟ أين النَّجْدَةُ؟ أين المروءة؟ أين (نَحْرِي
 دُونَ نَحْرِكَ، وَرُوحِي دُونَ رُوحِكَ)؟ أين الوفاء؟
 أين الكَفَالَةُ؟ أين الخَلْفُ فِي الْأَهْلِ بِالْخَيْرِ؟

إن رجالاً يُسَلِّمُونَ علماءهم الصادقين لا يُسْتَبَعَدُ
 عليهم أن يُسَلِّمُوا أنبياءهم لو بُعِثَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ، أَوْ
 كَانُوا فِي زَمَنِ الْأَنْبِيَاءِ!

ذلك أن العلماء هم ورثة الأنبياء .

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
 أَنْصَارُ اللَّهِ فَتَأَمَّنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ
 فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

فَطَلَبُ النَّصْرَةِ مِنَ الْبَشَرِ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِنَفْسِهِ أَمْرٌ قَدْ ثَبَتَ حِينَ كَانَ

يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ يَكُونُ طَلِبُهَا مِنْ قَبْلِ الْخَطِيبِ لِنَفْسِهِ أَوْ لِإِخْوَانِهِ الْعُلَمَاءِ وَالْخُطَبَاءِ أَمْرًا غَيْرَ مَشْرُوعٍ، وَخُصُوصًا فِي وَقْتِ الْحَاجَةِ، أَوْ عِنْدَمَا يَشْتَدُّ الْخَطَرُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُتَوَقَّعُ ضِدَّهُمْ؟

فكيف إذا سبَقَهُمُ لِلْبَلَاءِ رِجَالٌ أَمْثَالُهُمْ؟

فهل من العقل والحزم أن يُتْرَكَ كُلُّ عَالَمٍ وَخَطِيبٍ يَنْتَظِرُ مَصِيرَهُ مُنْفَرِدًا؟

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ
 أَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ
 مُصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ
 شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧١، ٧٢].

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ
 وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢].

فحياة علمائنا وكرامة خطبائنا أعلى من بقاء
 أمتعتنا، ومع هذا فإنَّ تبليغ العالم وإقامة الحجَّة
 على الناس، وحمل الداعية هموم الأمة، وتبليغ

رسالة الله تعالى، أمر واجب عليه شرعاً، سواء
لقي النُصرة أم لم يلقها...

فالله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾
[الأحزاب: ٣٩].

لقد وقف نبيُّ الله لوطٌ حين أحسَّ بالانفرادِ أمامَ
الجموعِ الفاجرةِ صائحاً فيها:

﴿لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾
[هود: ٨٠].

هذا وهو نبيٌّ...! أليس من الواجب على الأمةِ
المسلمةِ أن تكون هي الجوارُ الذي يشدُّ أزرَ وريثِ
النبيِّ ﷺ.

إن الجوارَ مبدأً كان العملُ به عند أهلِ الجاهليةِ
قائماً، وخصوصاً عند الملماتِ، فلقد كفلَ «ابنُ
الدغنة» أبا بكر الصديقَ بعدما حملَ متاعه وترك
مكة، فأجاره فعاد الصديقُ يُبلِّغُ رسالةَ الله،

وَكَفَلَ آخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ صَحَابَةً أَوْذُوا .

ولقد تمنى النبي ﷺ حضورَ مثلِ حِلْفِ الْفُضُولِ الذي عُقِدَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ ﷺ: «شَهِدْتُ حِلْفًا فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ لِأَجَبْتُ، فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ: هَذَا وَاللَّهِ فَضْلٌ مِنَ الْحِلْفِ فَسُمِّيَ حِلْفَ الْفُضُولِ» (١) .

ذَلِكَ أَنَّ أَهْمَ بِنُودِهِ كَانَ تَحَالُفًا لِنُصْرَةِ الْمَظْلُومِ.

وإنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا أَغَارَ عَلَى صُفُوفِ الْعَدُوِّ وَحَدَهُ، أَوْ بَرَزَ لِلْمُبَارَزَةِ مُنْفَرِدًا اتَّخَذَ حَامِيَةً وَطَلَبَ مِنْهَا التَّيَقُّظَ وَالتَّوَثُّبَ، وَهَذِهِ عَادَةٌ مُتَّبَعَةٌ عِنْدَ عُمُومِ قَادَةِ الْفُتُوحِ .

وَلَقَدْ وَقَفَ أَهْلُ مِصْرَ جَمِيعًا خَلْفَ الْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ يَوْمَ أَنْ خَرَجَ فِي الْمَوْقِفِ الشَّهِيرِ مُنْكَرًا

(١) أخبار مكة (٥/١٩٣) وانظر سيرة ابن هشام (١/١٣٥)

(١١٣) وقد روى القصة .

إنكاراً عديمَ النظيرِ . . .

إذاً: ليسَ كثيراً على خُطبائنا وعلمائنا الربانيين أن تكونَ لهم رابطةٌ، بل هو أقلُّ الممكنِ، حيثُ تُوفّرُ هذه الرابطةُ كفالةً لكلِّ خطيبٍ: كفالةً ماديّةً، ووقائيّةً، وعلميّةً، واجتماعيّةً، و دَعويّةً.

- ثانياً: توحيدُ الكلمة:

لم يكن في المدينة المنورة على عهدِ النبي ﷺ إلا مسجدٌ جامعٌ واحدٌ تُقامُ فيه خُطبةُ الجمعةِ وهو مسجدُ النبي ﷺ، ولقد استمرَّ الأمرُ على هذه الحالِ في عهدِ الصديقِ، والفروقِ، وصدرًا من خلافةِ ذي النورين رغم اتساعِ المدينةِ كثيراً . . .

ولا يجوزُ على رأيٍ كثيرٍ من أهلِ العلمِ أن تتعدّدَ الجمعةُ في البلدِ الواحدِ أو القريةِ الواحدةِ مادامَ أنه لا تُوجدُ حاجةٌ إلى تعدُّدها كضيقِ المسجدِ الجامعِ، أو سعةِ البلدِ بحيثُ يشقُّ على أهلها الاجتماعُ في مكانٍ واحدٍ أو نحو ذلك . . .

وكان من أعظم ثمار هذه السنّة الثابتة اجتماع المسلمين في مكان واحد، ليصغي الجميع لتوجيه واحد، فيصبح همّ واحداً، والتوجه واحداً.

ولقد كان المسلمون، رغم تباعد ما بينهم، واتساع رُفعة الخلافة، ورغم صعوبة الاتصال بينهم، توحدهم الجمع، فتتوحد هممهم وهمومهم، وإذا أراد الله بامرئ خيراً جمع له شمله، وجعل همّه همّاً واحداً، وهكذا إذا أراد الله بالأمة خيراً.

ولقد كان الجيش المسلم يحاصر بلدة بعيدة هنالك، وكانت الخطب تشحن الناس في الجمع، وكانت الدعوات تتصاعد من أطراف الأرض إلى الله تعالى لإخوانهم المجاهدين ليفتح الله عليهم، ومن ذلك ما وقع في افتتاح بيت المقدس، وكذا إذا أقطب بلد من البلاد، أو وقعت بالمسلمين نازلة...

والسبب الرئيس أن الخلافة كانت تُوحدهم، أما وقد ذهبَت الخلافةُ فينبغي للمسلمين أن لا يُسقطوا كلَّ ثمارها العظيمة كالوَحدةِ فيما يستطيعون الاتحادَ فيه .

ولهذا جاءتْ فكرةُ رابطةِ الخطباءِ . . .

فالمأمولُ أن تكونَ رباطاً حقيقياً تربطُ قلوبَ الأُمَّةِ، وتُعبِّرُ عنْ هُمومِها، وتُوحِّدُ هدفِها، وتُجمَعُ صفوفِها، وتَحفظُ ورثةَ أنبيائها .

وعند تطبيقِ هذهِ الفكرةِ من أجلِ اقتطافِ هذهِ الثمرةِ فإننا سنلمسُ عِظَمَ الفارقِ بينَ ما كُنَّا عليهِ من فُرقةِ الخُطباءِ وانفراديَّتِهِمْ قَبْلَ الرابطةِ، وبينَ ما أَصْبَحْنَا عليهِ بعدَ الرابطةِ .

فماذا لو قامتِ الرابطةُ فوَحَّدتِ الخُطبةُ، وأحاديثُ
الأسبوعِ وَرَكَزَتْ على مواضيعٍ عمليةٍ مثلِ :

١ - التبرعُ لِلأقصى ولغيرِ الأقصى بالمالِ - أو
الدَّم - وجميعِ أنواعِ التبرعاتِ المطلوبةِ شرعاً .

٢ - مناصرة منطقة إسلامية منكوبة كل حسب استطاعته: أصحاب المال - الأطباء - المهندسون - الفنيون - أصحاب المصانع وهكذا...

٣ - يوم لئصرة بلد مسلم منكوب .

٤ - تجميع كلمة العامة على إنكار المنكرات العامة، فإن جميع المنكرات العامة التي صدرت بها قرارات بعد ذلك ابتدأت أولاً بجس نبض العامة لقياس موقفهم مسبقاً قبل صدور القرار، فإن لم يجدوا للناس موقفاً معارضاً ملموساً أقدموا، وقد حصل هذا في كثير من المنكرات التي أصبحت اليوم منكرات مألوفة في كثير من البلاد الإسلامية، ومثل هذه المنكرات:

قرار وجوب خلع النقاب في المؤسسات الحكومية، قرار الاختلاط بين الجنسين في الكليات الجامعية، قرار الاختلاط في المدارس الابتدائية، قرار تدريس المرأة لمدارس البنين

الابتدائية والإعدادية.

وهكذا لو رجَعنا إلى نشأة المنكرات التي أصبحت اليوم مُسَلَّماتٍ لوجدنا أنَّ البداية كانت بجسِّ نَبْضٍ، ثُمَّ إعلانٍ، فإعلامٍ، وإشاعةٍ، وترغيبٍ، ثُمَّ إقرارٍ، ثُمَّ إلزامٍ .

إنَّها قصةُ نشأة البنوك الربوية وتطوُّرها، قصةُ الخَمرةِ والخمَّاراتِ وتعميمِها، قصةُ المكوسِ، قصةُ المسابقاتِ بالقمارِ، قصةُ خُروجِ النساءِ سافراتٍ، قصةُ الاختلاطِ على المقاعدِ الدراسيةِ، قصةُ المدارسِ التنصيريَّةِ، قصةُ صُروحِ الولاءاتِ الكُفريَّةِ .

٥ - إعدادُ الأُمَّةِ لإحباطِ هَجْمَةِ العدوِّ على العقيدةِ والشريعةِ وعلى كيانِ الأُمَّةِ أو على بعضِ البلادِ الإسلاميَّةِ، سواءً كانت تلك الهجمة هجمةً عسكريَّةً، أم هجمةً اقتصاديةً، أم هجمةً ثقافيةً، كالهجومِ على مناهجِ التعليمِ، أو المصارفِ الإسلاميَّةِ، أو المدارسِ الإسلاميَّةِ، أو اللجانِ

الخيرية أو نحو ذلك، أو كشف خطب خفية تلبس غير لباسها الحقيقي، فإنها إن كشفت مبكراً ذهبت خطبهم هدراً... وإلا مرّت ثم استقرت ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن القضية من الأهمية بحيث لا ينبغي أن تُترك للمجهودات الفردية والاجتهادات الشخصية، والتخبّطات المعتادة، ذلك أنّ العدو يُقاتلنا صفاً واحداً، ويرمينا عن قوسٍ واحدة، وإنّ المهمة أثقل من أن يُطبقها خطيبٌ يسبح ضدّ التيار .

فلماذا لا يكون لهذه الرابطة كيانٌ يفرض نفسه وكلمته على الشارع، وعلى الأمة وعلى القرار؟

لماذا لا يكون لهذه الرابطة استقلاليةً وثقلٌ يفوق ثقل القضاء، ويفوق ثقل البرلمان، ويفوق ثقل الصحافة المتسلطة؟

إنّه أمرٌ يمكن أن يكون حقيقةً واقعيةً عظيمةً إذا ما درسَ دراسةً وافيةً، وتلقاهُ رجاله بالجدية الكافية، وبارك الله لهم في غراسهم .

- ثالثاً: حماية الخطيب من مكر الأعداء:

كَمِ مِنْ خَطِيبٍ وَقَعَ فِي خَدِيعَةِ الإِعْلَامِ فَوْقَ
بُوقُوعِهِ الفِئَامِ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَضَلَّ وَأَضَلَّ مِنْ
حَيْثُ لَا يَدْرِي؟

وَكَمِ مِنْ خَطِيبٍ شَهِيرٍ أُعِدَّتْ لَهُ خَدِيعَةٌ خَبِيثَةٌ
مُتَلَبِّسَةٌ بِلبَاسِ شَرْعِيٍّ، فَاسْتُغِلَّ، فَضَلَّ بِضَلَالِهِ
الكَثِيرُ مِنَ الخُطَبَاءِ المُبْتَدِئِينَ .

ولقد اعتاد الإعلام بخبثه أن ينفث سمه من
خلال أسماء لامعة في عالم الخطابة، والحديث
الشرعي، فاستسلم الناس لهؤلاء الموالين حتى
أصبحوا لا يتصورون مثيلاً لهم ولا مقارباً منهم،
لكن حين تقوم الرابطة سيُسقط في أيدي
الإعلام، ويفقد هؤلاء بريقهم المصطنع، كما أن
الرابطة ستوفر لكل فردٍ من أفرادها المشاركين
المعلومات الصحيحة الواقعية عن الشخصيات،
والأحداث، والمستجدات في كل بلدٍ من بلاد
المسلمين، فيتعامل كل فردٍ مع الحدث ويتحدث

عنه وكأنه مُتخصِّصٌ فيه، يقول الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَيِّنَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾

[الأنعام: ٥٥].

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦].

إنها حمايةٌ للخطيبِ مِنْ أَنْ تَفْتَرَسَهُ مَخَالِبُ
النَّفَاقِ وَشَيَاطِينُهُ، وفي ذلك حمايةٌ للأُمَّةِ.

- رابعاً: إحياء مبادئ الأخوة الإسلامية:

إن هذا هدفٌ إسلاميٌّ كبيرٌ، وتحقيقُ ما يمكنُ
تحقيقه مِنْ هذا الهدفِ واجبٌ، وكُلُّمَا قَوِيَ هذا
الهدفُ فِي النفوسِ وفي الواقعِ ضَعُفَتِ المبادئُ
المُفَرَّقةُ للأُمَّةِ كالعلمانية، والعُنْصَرِيَّةِ، والإقليمِيَّةِ
والشُّعُوبِيَّةِ، ونحوها مِنْ نَعَرَاتِ الجاهليةِ .

كما أَنَّ فِيهِ تحقيقَ الأخوةِ وتحويلها إلى واقعٍ
عمليٍّ، مِنْ خلالِ المشاركةِ الفعليةِ للمسلمينَ
المنكوبينَ أو المحاصرينَ، أو المهاجرينَ

والمُهَجَّرِينَ أو المجاهدين وهذا حقٌّ على المستطيع
من المسلمين نحو إخوانهم . .

وبهذا العمل سيَلْتَفُّ المسلمون حول هذه
الرابطة - بإذن الله تعالى - .

● مواصفات المشاركين في رابطة الخطباء:

إِنَّ كُلَّ عَضْوٍ يَرْغُبُ بِالِارْتِبَاطِ فِيهَا يُسْتَحَبُّ أَنْ
تتوافر فيه صفات «الإمامة» أي القدوة المتبَّعة،
والقدوة المجدِّدة، وسوف أشيرُ لمواصفاتهم
بنصوص قرآنية تُعبِّرُ عنها أحسنَ تعبير وفي
الإشارة غُنِيَّةٌ . . . فهو لاءٍ لا بدَّ أن يكونوا:

١- مَمَّنْ يَقُولُونَ مَعْتَقِدِينَ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

٢- مِنَ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿وَيَقُومُوا لَكُمْ عَلَيْهِ

مَالًا﴾ [هود: ٢٩].

٣- مِنَ الَّذِينَ: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا﴾

[القصص: ٨٣].

٤- مِنَ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا

يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴿٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩].

٥ - ممن يتبعون قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

٦ - ومن الذين قال الله فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

٧ - من أصحاب البصيرة النافذة والفرقان المفرق بين الحق والباطل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

٨ - من الملتزمين بأمر الله ووصيته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٩ - من الربانيين الذين يصدق عليهم: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

١٠ - من أحسن الناس قولاً فهم: ﴿مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

١١ - ممن يسألون الله تعالى صادقين قائلين: ﴿رَبِّ

أَشْرَحَ لِي صَدْرِي وَيَسِّرَ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨].

١٢ - مَمَّنْ لَدِيهِ الْاِسْتِعْدَادُ أَنْ يَقُولَ: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا نَقَضِيَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

١٣ - مِنَ الَّذِينَ جَعَلُوا شِعَارَهُمْ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا
الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

١٤ - مِنَ الَّذِينَ عَمِلُوا بِأَمْرِ اللَّهِ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

● انطلاق الرابطة وصورتها:

لابد من إيجاد القناعة الكافية بهذه الفكرة من
قبل رُموز عالم الدعوة والخطابة، قناعة تتعدى
مجرد القناعة الذهنية إلى التبنّي الفعلي، بحيث
يُنْقَلُهَا مُوَفَّقٌ مِنْ هَوْلَاءِ الْأُئِمَّةِ الْأَعْلَامِ مِنَ الْأَوْرَاقِ
إِلَى الدَّعْوَةِ لِلتَّطْبِيقِ عِنْدَ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ مِنَ
الْعُلَمَاءِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْمَحَاضِرِينَ مِنْ أَمْثَالِهِ، حَتَّى

يُصْبِحَ لديه في كلِّ بلدٍ من بلادِ العالمِ الإسلاميِّ
 عضوٌ واحدٌ في الرابطةِ على الأقلِّ، لِيَجْتَمَعَ
 هؤلاءِ بعدَ ستةِ أشهرٍ أُخرى وقد أصبحَ لديهم
 مشاركونَ في الرابطةِ أكثرَ... بحيثُ لا يقلُّ
 العددُ عن عَشْرَةِ خُطباءٍ في كلِّ بلدٍ - بإذنِ اللَّهِ
 تعالى - وهكذا يتضاعفُ العددُ، ويتجدَّرُ في
 الأرضِ، ويتراصُّ البُنَيانُ، وَيَشْمَخُ في السماءِ،
 وَيَعْمُ البلادَ.

وأخيراً أوكدُ على أنَّ أهميةَ هذه الفكرةِ أكبرُ
 بكثيرٍ من الإيجازِ في هذا العرضِ المختصرِ، كما
 أنَّ ثمرةَ هذه الفكرةِ أكبرُ بكثيرٍ مما يتصوَّره الكثيرُ
 بإذنِ اللَّهِ تعالى .

● مَهَامُ الرابطةِ أو الإدارة:

لِلرابطةِ مَهَامٌ كُبْرَى، فلا بدَّ لها من إدارةٍ مُستقلَّةٍ
 تقومُ بها:

أولاً: تجميعُ الخُطباءِ والرَّبْطُ فيما بينهم ولو
 بالإنترنت .

ثانياً: توزيع الموضوع المقترح، لِلْجُمُعَةِ الْقَادِمَةِ مِنْ يَوْمِ السَّبْتِ، إِذَا كَانَ هُنَاكَ مَوْضِعٌ مُوَحَّدٌ .

ثالثاً: توزيع جَدُولِ سَنَوِيٍّ لِلخُطْبِ الثَّابِتَةِ حَوْلَ مَوَاضِيَعٍ مُعَيَّنَةٍ، وَمَوَاضِيَعٍ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُخْرَى مُقْتَرَحَةٍ . . . وَكَذَا الْمَحَاضِرَاتِ، وَالدُّورَاتِ الْعِلْمِيَّةِ .

رابعاً: تَكْوِينُ مَكْتَبَةٍ مَرْجِعِيَّةٍ لِكُلِّ خُطْبٍ تُغْنِيهِ فِي تَحْضِيرِ مُخْتَلِفِ الخُطْبِ عَلَى الْأَقْلِ، فَمِنْ الخُطْبَاءِ مَنْ لَا يَمْلِكُ ثَمَنَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى الْجَدِيدِ النَافِعِ، وَيُمْكِنُ تَوْفِيرُ الْكَثِيرِ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الْأَقْرَاصِ الْعِلْمِيَّةِ .

خامساً: كِفَالَةُ وَكِفَايَةُ الْعَالِمِ وَالخُطْبِ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَى الْآخِرِينَ فِي نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ وَضِيُوفِهِ .

سادساً: تَوْزِيْعُ الشَّرِيْطِ الْمَتَمِيزِ لِخُطْبَةِ الْجُمُعَةِ عَلَى جَمِيْعِ بِلَادِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمَحَاضِرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ، وَهَكَذَا الدُّورَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُمَيَّزَةَ .

سابعاً: تصحيح المعادلة وإعادتها إلى وضعها الصحيح، وذلك برفع مقام العالم والخطيب عند الناس أكثر من أصحاب المال والمنصب .

ثامناً: حماية الخطيب والعالم من أي أذى يُصيبه بطرقٍ حكيمة ومدروسة... ولكلِّ مقامٍ مقال .

تاسعاً: تزويده بما يُنير بصيرته بالواقع، بما في ذلك المجالات الإسلامية الشهرية والأسبوعية .

عاشراً: الاستماع إلى مُقترحاتهم، وتناقُل خبراتهم الناجحة .

الحادي عشر: إنشاء عدَّة معاهد للخطباء، فمعهدُ الخطابة هو أحسنُ مَحْضِنٍ لجيلٍ من الخطباء ولو لم يكونوا في المسجد، ولقد دَرَسَ أكثرُ الرؤساءِ العالميين تأثيراً في شعوبهم في معاهدِ تكوينِ الخطباء في بلادهم كمعهدِ «كارنيجي» وغيره .

أُموذَجُ خُطْبَةِ لَغِرَاسِ جَارٍ

لا تكادُ تجدُ خُطْبَةَ جمعةٍ يُلقِيها داعيةٌ صاحبُ
 عِلْمٍ يحْمِلُ هَمَّ الإسلامِ إلا وفيها من بذْرِ الخيرِ
 الكثيرِ، ومِن أفكارِ الفُتوحِ وفُتوحِ الأفكارِ كذلكِ
 الكثيرِ، ولطالما بقيتْ بُذورُ تلكَ الخُطْبِ في
 العراءِ تأكلُها عواملُ النسيانِ، أو تمخَرُها دوابُّ
 الأرضِ، وهكذا تُطوى الفُتوحِ إثرَ الفُتوحِ . . .
 وتذهبُ الجمعةُ تتلوها الجمعةُ، والشهرُ إثرَ
 الشهرِ، وتذهبُ السَّنَةُ والسَّنُونَ عِجافاً من حيثِ
 العملِ الجاري . . . فلا السُّنْبُلُ يحفظُ شيئاً، ولا
 الناسُ يزرعونَ دأباً، أو يعصرونَ لباً، أو يطحنون
 حَباً . . .

«عبدُ العزيز» . . . شابٌّ وافقتْ هذه الخُطْبَةُ مِنْهُ
 هِمَّةٌ وتوفيقاً . . . فقد ألقاها الخطيبُ فِكْرَةً،
 فغرسَتْ في قلبه بذرةً، فإذا بها بعد مُدَّةٍ شجرةٌ
 مُثمرةٌ، ومِن ثمرها ستنبُتُ أشجارٌ، وتُستصلحُ

بإذن الله تعالى قفازاً، فيأوي إليها شبابٌ صغارٌ وكبارٌ... ولأهمية هذه الخطبة المسجلة سوف أنقلها هنا كما هي، فلعلها توافق من القارئ ما وافقت من ذلك السامع المبارك فيكون لها في حيك وبلدك ما كان لها هناك، لكنني أرجو أن تعيش الجو النفسي للخطبة وأنت تقرأ كلمات الخطيب بنبراته، وتفاعلاته...

فلقد ابتدأها الخطيب بنبرته الهادئة... ثم تصاعدت شيئاً فشيئاً حتى تحوّل الهدوء إلى هدير... عنوان الخطبة «المجالس الشبابية الصالحة». وبعد حمد الله والصلاة على رسوله قال...

«سيكبر ولدك الصغير... وسيتطلع إلى من هو أكبر منه... سيتطلع إلى الخارج... خارج البيت... فعلى أي شيء ستقع عينه؟»

ينظر ذات اليمين، فلا يرى إلا مجتمعات شبابية هدفها، ووسيلتها، حديثها السيارات والاختراقات!

يُنظِرُ ذَاتَ الشُّمَالِ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَجَامِيعَ أُخْرَى
هَدْفُهُمْ رِيَاضَةُ الْأَبْدَانِ، وَفِقَهُ الْأَقْدَامِ!

يُنظِرُ أَمَامَهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَجَامِيعَ: قَدْ اسْتَهْوَاهَا
الشَّيْطَانُ... فحِيَاثُهَا وَمَمَاتُهَا فِي الْجِنْسِ، وَتَبَادُلِ
أَخْبَارِ الْعَاشِقِينَ وَالْعَاشِقَاتِ، وَالْمُتَغَزِّلِينَ
وَالْمُتَغَزَّلَاتِ!

يُنظِرُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ: وَإِذَا بِمَجَامِيعَ خَفِيَّةٍ مَنْفِيَّةٍ،
تَشْرَبُ الْمُسْكِرَاتِ وَتَتَعَاطَى الْمَخْدَرَاتِ...
وَالشَّبَابُ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا جَيِّدًا .

أَمَا إِذَا جَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُنَا يَكُونُ
الْهَجُومُ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقِهِ... مِنْ الْفَضَاءِ، عَبْرَ الْأَثِيرِ
الْمُتَلَفِ!

فإلى أين سيذهب؟

نَعَمْ إِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ، لَا بَدَّ أَنْ
يَنْفَصِلَ عَنِ الْوَالِدِينَ، هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ... فَلَقَدْ
كَانَ وَسْطَ الْأَحْشَاءِ جَنِينًا فِي ظِلْمَاتِ ثَلَاثِ، وَمِنْ

الأحشاءِ إلى الحِجْرِ، ثم إلى جوارِ أمِّه يَحْبُو،
 فيمشي ويبتعدُ، ثم يَصْحُبُكَ أيها الوالدُ، وهكذا
 يُبْحِرُ عنكما شيئاً فشيئاً... بعيداً بعيداً...
 وستُفَرِّقُ ما بينك وبينه الزوجةُ والأولادُ والهمومُ
 إلى أن يُفَرِّقَ بينكما الموتُ، إذاً فلا بدَّ أن تكونَ
 أيها الأبُّ واقعياً فولدك لن يبقى طوالَ حياته
 أسيرَ الظُّلماتِ الثلاثِ وإن بقي في عينيك طفلاً
 مَهْماً كبيراً.

كان الله في عَوْنِ الفتِيانِ في هذا الزمانِ، وكان
 الله في عَوْنِ المُرَبِّينَ.

يقولُ البعضُ : دَعُوا الشبابَ! إنها مرحلةٌ وستمرُّ
 عليهم كما مرَّت علينا من قَبْلِهِم، وها نحنُ بخيرٍ.
 نعمَ ستمرُّ المرحلةُ ويمرُّ الزمانُ كذلك، ولكنْ
 كيفَ ستمرُّ هذه المرحلةُ؟ كيفَ سيَعْبُرُونَهَا؟ إنَّ
 مرورَها هذه الأيامِ غيرُ مرورِها عليكم - أيها
 الآباءُ - إنَّ الفارقَ بينَ المرحلتينِ هو الفارقُ ما
 بينَ شابٍّ يريدُ أن يعبُرَ جدولَ ماءٍ، وآخرَ يريدُ

أن يعبرَ مُحيطاً مُظلماً . . .

نعم ستمرُّ . . . ولكنَّ رُبَّما مرَّت على الشابِّ وهو مُجندلٌ بدمائه خَلَفَ مِقوَدِ السيارَةِ! أو مرَّت عليه وهو أشلاءً مُتناثرةً على الرصيفِ! أو مَطعونٌ مِن أصحابِهِ بِشُحْنَةٍ قاتلةٍ من المخدراتِ! أو مُلقىً في سُجونِ الأحداثِ، أو مَصحوبٌ بفيروسِ الأيدزِ . . . أو نحو ذلكَ مِنَ المآسي والفضائحِ التي لا تُنسيها الأيامُ. إذاً فما الحلُّ؟

الحلُّ: في إيجادِ بديلٍ لولدي ولولديكَ، لمجلىسه على الرصيفِ، أو مَكَمَنِهِ في مكانٍ مُخيفِ، أو مجتمعه في الناديِ، أو معَ شبابٍ يتقلَّبونَ في الأحياءِ والمجالسِ والأزقةِ طوالَ الليلِ حتى الصباحِ.

الحلُّ: في إيجادِ مجتمعاتٍ شبابيةٍ صالحةٍ طاهرةٍ مُطَهَّرةٍ مُطَهَّرةٍ، ومتعددةٍ وظاهرةٍ ليستَ خَفِيَةً، ولا مُسْتَخْفِيَةً في المجتمعِ .

هذا هو مَنهَجُ الإسلامِ في تجميعِ المؤمنين .

وإلا فلماذا كانت الهجرة واجبةً على المسلمين
المبْعَثِينَ فِي قُرَاهِمِ وَبُلْدَانِهِمْ إِلَى الْمَجْتَمَعِ
الوَاحِدِ؟

لماذا كَانَ الْإِخَاءُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بَعْدَ
وَقُوعِ الْهَجْرَةِ؟

لماذا لَمْ يَتْرِكِ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مُسْلِمٍ يَصَلِّي فِي بَيْتِهِ
إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَشَرَعَ لَهُمْ صَلَاةَ الْجَمَاعَةِ؟

ولماذا الجمعةُ والأعيادُ؟ لماذا الاجتماعُ على
الصَّلَاةِ؟ ولماذا الصَّلَاةُ مَعَ الثَّلَاثَةِ أَزْكَى
وَهَكَذَا...؟ لماذا الْحُجُّ جَمِيعاً؟ وَالْجِهَادُ صَفُوفاً
كَأَنَّهُ الْبُنْيَانُ الْمَرْصُوصُ؟ لماذا شُرِعَتْ كَفَالَةُ
الْيَتِيمِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَحَقُّ الْجَوَارِ وَزِيَارَةُ
الْإِخْوَانِ وَإِكْرَامُ الضَّيْفِ وَالْاجْتِمَاعُ عَلَى الطَّعَامِ؟
ولماذا الْأَجُورُ الْعَظِيمَةُ عَلَى السَّاعِي إِلَى
الْجَمَاعَاتِ؟

أيها المسلمون: هذه قصةٌ كلُّكُمْ يَعْرِفُهَا وَلَكِنْ
أَرْجُو الْيَوْمَ أَنْ تَنْظُرُوا لَهَا نَظْرَةً أُخْرَى تُوَافِقُ هَذَا

الجوِّ العظيم .

جريمةٌ عظيمةٌ عُرِضَتْ عَلَى اثْنَيْنِ: عَلَى عَابِدٍ وَعَلَى عَالِمٍ، أَمَا الْعَابِدُ الَّذِي قَضَى وَقْتَهُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَعْرِفْ إِلَّا صَوْمَعَتَهُ وَلَمْ يَنْزِلْ إِلَى الْمَجْتَمَعِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَصَوَّرْ أَنَّ النَّاسَ يَعْصُونَ اللَّهَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ! فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أُغْلِقَتْ دُونَهُ الْحُلُوقُ، فَأُغْلِقَهَا فِي وَجْهِ السَّائِلِ اللَّاهِثِ، فَكَلَّفَهُ جَوَابَهُ حَيَاتَهُ حِينَ قَتَلَهُ السَّائِلُ فَأَكْمَلَ بِهِ الْمَائَةَ، وَهَكَذَا يُدَمِّرُ نَفْسَهُ مَنْ لَا يَرْضَى أَنْ يَعْرِفَ وَاقِعَهُ، وَيَعِيشَ ظُرُوفَهُ!

وَأَمَّا الْعَالِمُ الْحَقُّ فَإِنَّهُ أَجَابَهُ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُ مَجْتَمَعَهُ، بَلْ أَعْطَاهُ أَكْثَرَ مِنْ حُدُودِ سُؤَالِهِ، لَقَدْ أَعْطَاهُ الْبَدِيلَ، وَقَالَ لَهُ: اتْرُكْ قَرْيَتَكَ فَإِنَّهَا قَرْيَةٌ سَوْءٌ، وَاذْهَبْ إِلَى قَرْيَةٍ كَذَا فَإِنَّ فِيهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى .

فِيالْهَذَا مِنْ حِكْمَةٍ بِالْغَةِ أَدْرَكَهَا ذَلِكَ الْعَالِمُ، لَكِنْ تَصَوَّرُوا لَوْ أَنَّ الْعَالِمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَابَ عَلَيْهِ

وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعُودَ إِلَى مَجْتَمَعِهِ . . . فَهَلْ سَيَثْبُتُ
عَلَى الْحَقِّ؟

إِنْ كَلَّ مَا فِي الْمَجْتَمَعِ سَوْفَ يُدَكِّرُهُ بِجَرَائِمِهِ،
وَيُثِيرُ فِي أَنْفِهِ رَائِحَةَ الدَّمِّ، وَلَنْ تَفْتَأَ أَسَالِيبُ
السُّخْرِيَةِ وَالتَّعْيِيرِ تُلَاحِقُهُ وَتَضْطَرُّهُ إِلَى الْعُودَةِ إِلَى
الْإِجْرَامِ.

فَمَاذَا يَمْلِكُ هَذَا التَّائِبُ الْجَاهِلُ الْجَدِيدُ إِلَّا أَنْ
يَعُودَ، وَيَعُودَ أَسْوَأَ مِمَّا كَانَ؟

فَكَانَ التَّوْجِيهُ الْحَكِيمُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ
الْفَاسِدِ هُوَ الْمَنْجَاةُ، وَكَانَ التَّوْجِيهُ إِلَى الْقَرْيَةِ
الصَّالِحَةِ هُوَ سَفِينَةُ النِّجَاةِ .

قِصَّةٌ أُخْرَى أَرْجُو أَنْ تُدْرِكُوا الْهَدَفَ مِنْهَا كَمَا
أَدْرَكْتُمْ هَدَفَ الْقِصَّةِ الْأُولَى . . . ابْتَدَأَتْ مَعْرَكَةُ
الْقَادِسِيَّةِ وَأَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ الشَّجَاعُ . . . مَحْبُوسٌ
فِي قَصْرِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الشَّرَابِ، وَكَانَ قَدْ
حُدَّ فِيهِ مَرَاتٍ مُتَعَدِّدَةً - قِيلَ سَبْعَ مَرَاتٍ - فَأَمَرَ بِهِ
سَعْدٌ فُقَيْدًا وَأُودِعَ فِي الْقَصْرِ، فَلَمَّا رَأَى خِيُولَ

المسلمين تجولُ حولَ حمى القصرِ وكان من
الشجعانِ الأبطالِ قالَ :

كَفَى حَزْناً أَنْ تُدَحِمَ الْخَيْلُ بِالْقَنَا
وَأَتَرَكَ مَشْدُوداً عَلَيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَعُغَلِّقْتُ

مَصَارِيْعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ الْمُنَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ
وَقَدْ تَرَكُونِي مُفْرَداً لَا أَحَا لِيَا
وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَحِيسُ بَعْهَدِهِ

لَئِنْ فُرِّجَتْ أَلَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا
ثُمَّ سَأَلَ زَبْرَاءَ - أُمَّ وَلَدِ سَعْدٍ - أَنْ تُطَلِّقَهُ وَتُعَيِّرَهُ
فَرَسَ سَعْدٍ، وَحَلَفَ لَهَا أَنَّهُ يَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ،
فِيضَعُ رِجْلَهُ فِي الْقَيْدِ، فَأَطْلَقَتْهُ وَرَكِبَ فَرَسَ سَعْدٍ
وَخَرَجَ فِقَاتِلَ قِتَالاً شَدِيداً، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَنْظُرُ إِلَى
فَرَسِهِ فَيَعْرِفُهَا وَيُنْكِرُهَا وَيُسَبِّهُهُ بِأَبِي مَحْجَنِ وَلَكِنْ
يَشْكُ لِظَنِّهِ أَنَّهُ فِي الْقَصْرِ مُوْتَقٌ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ
النَّهَارِ رَجَعَ فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهَا، وَنَزَلَ سَعْدٌ

فوجد فرسه يعرقُ فقال: ما هذا؟ فذكروا له قصة أبي محجنٍ فرضي عنه وأطلقه رضي الله عنهما (١).

إذاً فطهارة المجتمع تُعين الشابَّ المُتَلَطِّحَ على التَطَهُّرِ، وتُثيرُ في نفسه روحَ السَّبْقِ إلى الخيراتِ أو مُزاحمةِ المتسابقين، و الجوّ الصالحُ يُحوِّلُ الغارقَ في شرايه إلى مجاهدٍ أعلى أمانيه الشهادةً في سبيلِ الله، والانتصارُ لدينِ الله.

فمتى تنشأ في بلدنا مجالسُ شبايئةٍ صالحة؟
متى يُحوِّلُ أصحابُ المجالسِ القائمةِ يوماً من أيامِ الأسبوعِ خاصاً بالشبابِ الصالح؟
متى تعودُ جماعةُ التربية الإسلامية إلى نشاطها الحيويِّ المؤثِّرِ في المدارس؟
متى يقومُ المسجدُ بالدورِ المنتظرِ في شبابِ الحيِّ؟
متى يتحوَّلُ الشبابُ الصالحُ من المجالسِ المغلقةِ إلى المجالسِ الشبايئةِ العامةِ فيحوِّلُوها مأوىً صالحاً؟

(١) البداية والنهاية (٧/٤٤).

متى تُضَيَّفُ الأنديةُ الرياضيةُ المنهجَ الإصلاحيَّ
لشبابها فتُخصَّصُ لذلك شيئاً من نفقاتها الوفيرة؟

إنها قضيةٌ جيلٍ ومُستقبلٍ، وليست قضيةَ مجلسٍ في
حيٍّ . . . فهلَّا تصوَّرتُم القضيةَ على مُستوى الأحياءِ،
ثمَّ على مستوى البلادِ، وبعدها على مستوى الأمة؟

الخطبةُ الثانيةُ: يا أيُّها المسلمُ: اختَر من
الأصحابِ الصالحينَ مَنْ شئتَ، فسوفَ يَفُضُّ
الموتُ كلَّ صحبةٍ واجتماعٍ، كما فَضَّ من قَبْلُ
خيرَ صاحبٍ عن أصحابِهِ، وقد جاءه جبريلُ
يقولُ لَهُ: «يا محمدُ! عِشْ ما شئتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ،
وأَحِبِّ مَنْ شئتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاَعْمَلْ ما شئتَ
فإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاَعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ
بالليلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

كما فَضَّ الموتُ شِرَارَ الأَصْحَابِ بَعْضُهُمْ عَنِ
بَعْضٍ، أليسَ هو هَادِمَ اللذاتِ؟

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) بإسناد حسن، انظر
صحيح الترغيب والترهيب (٨٢٤).

اخْتَرُ مِنَ الْأَصْحَابِ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُكَ
 فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ؟ ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾
 [الصفات: ٢٢].

اختر من الأصحاب من شئت، فالله تعالى يقول
 ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْخَذْتُ مَعَ
 الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَنْخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾
 [الفرقان: ٢٧].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا
 الَّذِينَ اضْلَلْنَا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامَنَا
 لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

أيها الشاب: اختر من الأصحاب من شئت
 واعلم بأن صاحب المروءة والدين لا يتخلى عن
 صاحبه إذا وقع في مصيبة في أي موقف،
 ومروءة صاحبك الصالح أشد ما تكون عليك في
 الآخرة .

وفي حديث البخاري: «وإذا رأوا أنهم نجوا في
 إخوانهم يقولون ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون

مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ: اذْهَبُوا
فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ
فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ
اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ
فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»^(١).

هل تَرَوْنَ أَعْلَى مِنْ هَذِهِ الشَّفَاعَةِ؟ هل يُوجَدُ
أَثْمُنٌ مِنْ هَذِهِ الْوَسَاطَةِ وَثَمَرَتِهَا؟

إنها نَقْلَةٌ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ، مِنْ عَمَرَاتِ
العَذَابِ إِلَى دَرَجَاتِ النِّعَمِ الْمُقِيمِ!

هَنِيئًا لِهَوْلَاءِ بِهِوْلَاءِ... هَنِيئًا لِلْمَشْفُوعِينَ
بِالشَّفَعَاءِ» اهـ.

● مِنْ ثِمَارِ تِلْكَ الْخُطْبَةِ:

لقد أنشئ المجلسُ الشبابيُّ - بحمدِ اللَّهِ تعالى
- ولقد كانتِ الجلسةُ الأولى في أوَّلِ الصيفِ لعام

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، كتاب التوحيد، باب قول الله

تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمَدُ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾.

١٤٢١ هـ سنة ٢٠٠٢م، مساء يوم الخميس الساعة التاسعة والنصف، ولقد حرص الملتزمون على أن يكون الاجتماع الأول قوياً، وكان كما أرادوا، كانت الجلسة الأولى جذابة، وداعية بذاتها للثانية، وكانت الثانية لقاءً صريحاً مع قضية مؤثرة لشباب أسلم حديثاً وكانت جذابة للجلسة الثالثة . . .

وهكذا فلقد كانت المزية العامة لهذه الجلسات أنها متنوعة، فشخص متخصص في الفلك، وآخر في الأعمال الخيرية حيث يروي غرائب ما رأى في رحلاته . . .

ثم أضيف إليها ثلاث جلسات أخريات بعد العشاء في تعليم القرآن وتجويده .

وهذا جدول تم وضعه واعتذر عن ذكر المحاضر . . . ولكن الحرص كان منصباً على أن يكون المحاضر في غاية التميز والتأثير والنفع في الموضوع الذي يتحدث فيه .

الموضوع	الوسيلة والهدف
١ - أهمية المجلس الصالح في البلد .	١ - الترغيبُ في الحضور . ٢ - ضرورة الالتزام .
٢ - قصتي حتى أصبحتُ مسلماً .	١ - كَشَفُ الغرورِ بالحضارة الغربية . ٢ - الاعتزازُ بالإسلام . ٣ - الدعوةُ إلى الإسلام . ٤ - ومعانٍ مهمةٌ جداً للتائب الجديد .
٣ - لقاءً مفتوحاً .	١ - التعوُّدُ على المصارحةِ . ٢ - التعرفُ على معادنِ الشبابِ . ٣ - حلُّ مشاكلِ الصيفِ .
٤ - غرائبُ رَحالةٍ في العملِ الخيري .	١ - غرسُ همِّ الإسلامِ والمسلمينَ في قلوبِ الشبابِ . ٢ - تفتيحُ الأذهانِ بولوجِ الآفاقِ . ٣ - طلبُ القُرْبَاتِ وتقديرُ أصحابها .

الموضوع	الوسيلة والهدف
٥ - مبادئ ضرورية في علم الفلك . (ألقيَ الدرس في الصحراء)	١- التعريف بأوقات الصلاة بدون ساعة . ٢ - تعلّم منازل الأهلّة ودخول رمضان خصوصاً . ٣ - النظر في السماء نظر العالم لا الساذج . ٤ - التفكير .
٦ - شيخ الإسلام ابن تيمية .	١ - تقدير العلماء . ٢ - طلب العلم ونشره والدعوة إليه والصبر في ذلك .
٧ - الأخوة: أهميتها وضرورتها وتطبيقاتها .	القيام بحق الأخوة ومحبة كل مسلم .
٨ - السحر والشعوذة وخفة اليد .	الوقاية للنفس وللأسرة وللمجتمع منها
٩ - الحاسب الآلي، وتطوره، ثمرة استخدامه اليوم في الدعوة وصور ذلك	الدعوة بمختلف الوسائل المتاحة والمشروعة .

وقد أَعْقَبَتِ الكثيرَ من هذه الدروسِ مسابقاتٍ علميةً ثقافيةً، ومسابقاتٍ في ألعابِ الكمبيوترِ النافعةِ ودورةً في كُرَةِ الطائرةِ ومبارياتٍ مع فريقٍ من الشبابِ في كُرَةِ القَدَمِ .

وأخيراً تمَّ إنشاءِ مجلسٍ آخرَ بناءً على طلبِ بعضِ الشبابِ القادمينَ من أحياءٍ أُخرى، ولديهم القدرةُ على إنشاءِ مجلسٍ، والمأمولُ أكبرُ من ذلكَ في القريب - إن شاء الله تعالى - ، ولقد تمَّ عملُ دورةٍ شرعيةٍ في العقيدةِ وفي الفقهِ وكان العددُ كافياً بحمدِ الله تعالى .

ما ذكرتُ هذا المجلسَ ليكونَ فردًا في بلدٍ، بل ليكونَ نورًا في كلِّ حيٍّ .

وما ذكرتُهُ لينحصرَ الفكرُ في تكوينِ مجلسٍ للشبابِ فقط، ولكنْ لا بدَّ من إنشاءِ مجالسٍ للناشئةِ برعايةِ المرينينِ المصلحينَ .

ففي هذه المجالسِ الصالحةِ إشباعُ حاجةٍ في النفسِ الإنسانيةِ ألاَّ إنها حاجةُ الاجتماعِ ، وفيها

الوقايةُ لجيلٍ في أكثرِ مراحلِ عُمرِه أهميةً، وفيها السلامةُ للمجتمعِ في مراحلِه القادمةً، وفيها التربيةُ العلميةُ على الوسطيةِ بدلَ الانحرافِ إلى الإفراطِ أو إلى التفريطِ . . .

وفي ختامِ رياضِ الرابطةِ يبقى ثلاثُ فَسائِلَ في صورةِ ثلاثةِ أسئلةٍ . . . فكلُّ فَسيلةٍ منها تحتاجُ إلى غَرسٍ . . فَمَنْ لها .؟! .

مَنْ يَغْرِسُ مِنْ كُلِّ خُطبةِ غِراسًا في نَفْسِه، في أهله، في مجتمعه، في أُمَّته .؟! .

مَنْ يَصنَعُ مِنْ غِراسه خُطيبًا إمامًا . . بل مَنْ يَصنَعُ مِنْ غِراسه أئمةَ خُطباءٍ .؟! .

وأخيرًا . . . مَنْ يُحَكِّمُ رِباطَ رابطةِ الخُطباءِ في رِباطِ يَعمُّ العالمَ نَفْعُهُ؟! .

الغراسُ التاسعُ

غراسُ أربابِ العملِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ أربابِ العملِ

قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

عن أبي هريرة رضي عنه : أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ذهب أهلُ الدثورِ بالدرجاتِ العلى والتَّعِيمِ المُقيمِ، فقال: (وما ذاك؟) قالوا: يُصَلُّونَ كما نُصَلِّي، ويصومونَ كما نصومُ، ويتصدَّقونَ ولا نتصدَّقُ، ويُعْتَقونَ ولا نُعْتَقُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أفلا أعلِّمُكم شيئاً تُدرِكونَ به من سبِّكم، وتَسْبِقونَ به من بعدكم؟ ولا يكونَ أحدٌ أفضلَ منكم إلا من صنعَ مثلَ ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: «تَسْبِحونَ وتُكَبِّرونَ وتحمدونَ دُبْرَ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ مرَّةً»، فرجعَ فقراءُ المهاجرينَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: سمعَ إخواننا أهلُ الأموالِ بما فَعَلْنَا ففعلوا مثله؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». رواه مسلم (٥٩٥).

غراسُ أربابِ العملِ

يا مَنْ جعلَ اللهُ تحتَ يديكَ الكثيرَ مِنَ
العاملينَ ، فأصبَحوا طَوْعَ أمرِكَ وتحتَ إمْرَتِكَ ،
في مَصْنَعِكَ أو مَعْمَلِكَ . . . في مُقَاوَلَاتِكَ
وتجارتِكَ . . .

لقد أصبَحْتَ - بفضلِ اللهِ عليك - على هؤلاءِ
مَسْئُولاً ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّكَ عَن هؤلاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ
مَسْئُولٌ . . . فاحذِرْ أشدَّ الحذرِ مِنْ أن يُصْبِحَ مَنْ
كُنْتَ سَبباً لمنفعتهِ في الدنيا سَبباً لهلاكِكَ يَوْمَ
القيامةِ .

ولكنَّكَ قبلَ أن تُفَكِّرَ في ماهيَّةِ الصدقاتِ الجاريةِ
التي يُمكنُ أن تغرسها فيهم عليك أن تتخلَّصَ مِنْ
حقوقِ العبادِ المعنويةِ والماديةِ التي لَهُمْ عليك .

إنَّ الكثيرَ مِنَ العاملِينَ يَشْتَكُونَ مِنْ تأخيرِ الأجرِ
مَعَ أنَّ رسولَ ﷺ يقولُ في حديثه عَن عبدِ اللهِ بنِ

عمر رضي الله عنهما : «أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه» (١).

والكثير من أصحاب العمل يعد موظفيه بمكافآت إن أنجزوا العمل الفلاني . . . وبعد الإنجاز يُخلف وعده، مع أن الله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١].

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم خُلف الوعدِ صفةً من صفات المنافقين، فكيف إن اجتمع خُلف وعدي، ومنع أجر، وأكل مالٍ بغيرِ حقٍ . . . ثم دعوة مظلومٍ!؟

بعض أربابِ العملِ كان سبباً في إصرارِ بعضِ

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٤٣) كتاب الرهون، باب أجر الأجراء. وصححه الألباني.

الكافرينَ على كُفْرِهِمْ حِينَ رَأَوْا خُلْفَهُ لَمَّا وَعَدَ،
 يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ
 مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا
 مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

بينما بعضُ أربابِ العملِ الآخرينَ كان سبباً في
 دخولِ العديدِ مِنْ عُمَّالِهِ وَمُوظَّفِيهِ إلى الإسلامِ،
 فَلَقَدْ كَانَ قُدْوَةً لِلْمُسْلِمِينَ الآخرينَ بِعَمَلِهِ، وَإِنْ
 لَمْ يُحْسِنِ التَّعْبِيرَ بِلِسَانِهِ .

لَعَلَّكَ سَتَقُولُ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْسِنَ إِلَى
 عُمَّالِي خَوْفَ إِسَاءَتِهِمْ!

أَقُولُ لَكَ: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ
 حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ
 الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا
 الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلِإِحْدَى
 أَحْدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَبِيحَتَهُ»^(١).

(١) رواه مسلم (١٩٥٥) كتب الصيد والذبائح . باب الأمر بإحسان
 الذبح، والقتل وتحديد الشفرة.

تقول: **إِنْ رَفَقْتُ بِهِمْ اسْتَزْعِفُونِي!**

أَقُولُ لَكَ:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**» (١).

تقول: **إِنْ لَمْ أَظْهِرِ الْعُبُوسَ لَهُمْ وَالتَّشَدُّدَ عَلَيْهِمْ، فَسَيَكُونُ حَضُورِي وَعَدْمُهُ سَوَاءً، وَرُبَّمَا سَيَعُدُّونَنِي وَاحِدًا مِنْهُمْ!**

أقول: يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا اسْتَكْبَرَ مَنْ أَكَلَ مَعَهُ خَادِمُهُ**» (٢).

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الْحَزْمِ وَالْجِدِّ، وَبَيْنَ الْإِحْسَانِ لِلْعَامِلِ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ مَصْلَحَةِ الْعَمَلِ وَمَصْلَحَةِ الْعَامِلِ . . .

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٨٣٩) وحسن إسناده الألباني، انظر صحيح الجامع (٥٥٢٧).

● أخِي صَاحِبَ العَمَلِ والعُمَالِ :

هل تفصلُ بينَ عملِكَ ودَعْوَتِكَ ..؟! فلعلَّ
 نجاحَ تجارتِكَ أُولَى عندَكَ مِن نجاحِ دَعْوَتِكَ ؟!
 مع أنّ نجاحَ الاثنينِ مُترابطٌ بإذنِ اللهِ تعالى .
 فإنَّ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ترابطٍ ، فعليكَ أنْ تُراجعَ
 مشروعِيَّةَ تجارتِكَ وأنظمتها ، وتُراجعَ تعاملَكَ
 ومُعاملاتِكَ .. !

أخي التاجر : إنكَ تستطيعُ أنْ تعملَ الكثيرَ الكثيرَ
 لدينِكَ ولآخرتِكَ مِن خلالِ عملِكَ .

أخي صاحبَ العملِ والعُمَالِ : هل تعجزُ عنْ
 وَضْعِ مسجدٍ صغيرٍ ، أو مُصَلَّى خَشَبٍ في حدودِ
 طاقتِكَ ، ولو لَمْ يَكُنْ يَسعُ إلا القليلَ في مكانِ
 العملِ أو في مكانِ السكَنِ .؟!!

وهل تعجزُ عنِ استجلابِ مسلمٍ مُتَخَصِّصٍ مُتَفَرِّغٍ ،
 ثُمَّ تُجري له من الأجرِ ما تُجري للآخرينِ أو زيادةً ،
 فيقومُ بوظيفةِ الدعوةِ إلى اللهِ مع عمالِكَ فيدعو غيرَ
 المسلمينِ إلى الإسلامِ ، ويعلمُ المسلمينَ دينهم وما

افترضَ اللهُ عليهم من أركانِ الإسلام، ويُعلِّمهم القرآنَ الكريمَ، والعقيدةَ، والسُّننَ، ثم يُعلِّمهم حقَّ اللهِ عليهم في الدعوةِ إلى اللهِ تعالى حتى يرجعوا إلى إخوانهم مُنذرينَ؟!!

وكيف تعجزُ وأنت الذي أنشأتَ شركةً وجعلتَ لعمَّالها سكناً؟

فجَلِسةٌ مع المسلمينَ وجَلِسةٌ مع غيرِ المسلمينَ. . . ويكونُ لهُ الاتصالُ معَ مراكزِ دَعوةٍ غيرِ المسلمينَ، فيفيدُها ويستفيدُ منها أولاً.

أخي صاحبَ العملِ: لماذا تستجلبُ العمَّالَ والموظفينَ غيرَ المسلمينَ وتتركُ المسلمينَ؟!!

هل بلغكَ أنَّ المسلمينَ قد سُدَّتْ خَلَّتْهم - هناك - واستغنوا عَنِ العملِ هنا؟!!

أم بلغكَ أنَّ الإتيانَ بغيرِ المسلمينَ فيه أَجْرٌ وثوابٌ؟!!

فما الذي بلغكَ حتى أَلغيتَ شرطَ (لا إلهَ إلا

اللَّهُ) مِنْ قَائِمَةٍ شَرُوطِكَ؟!

هل رَخِصْتِ عِنْدَكَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وَرَخِصْتِ صَاحِبُهَا؟!

هل عَلِمْتِ أَنَّ فِي إِحْضَارِكَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ نُصْرَةً لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ.؟!

تصوّر: جَمِيعُ الْعَمَالِ - مُسْلِمِينَ وَغَيْرَ مُسْلِمِينَ - فِي بِلَادِهِمْ قَدْ وَقَفُوا هُنَاكَ فِي طَابُورِ الْإِنْتِظَارِ، بَلْ طَابُورِ الْإِخْتِيَارِ، وَالْمُسْلِمُ الْفَقِيرُ لَا يَشْكُ بِإِخْتِيَارِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ لَهُ، ثُمَّ تَأْتِي أَنْتِ فَإِذَا بِكَ تَنْتَقِي غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ وَتَتْرِكُ الْمُسْلِمِينَ؟!

أَمَا وَجِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَسُدُّ حَاجَةَ الْعَمَلِ، فَلَمَّاذَا تَسْتَجَلِبُ غَيْرَ الْمُسْلِمِ؟ إِنَّ غَيْرَ الْمُسْلِمِ حِينَ يَصِلُ إِلَى بِلَادِكَ إِنَّمَا يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَرْضِ التَّوْحِيدِ، فَالْأَرْضُ تَلْعَنُهُ، وَأَخْشَى أَنْ تَلْعَنَ مَنْ أَحْضَرَهُ، ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمَا تَمَكَّنَ مِنَ الْحُضُورِ؟

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ هُنَا قَدْ تَأَثَّرُوا
بِأَخْلَاقِ هَؤُلَاءِ وَأَحْيَانًا بِعَقِيدَتِهِمْ..؟!!

أَتَرْجُو الْبِرْكَهَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِعَمَلِ هَؤُلَاءِ.. وَهُمْ
أَعْدَاءُ اللَّهِ تَعَالَى..؟

عَلَيْكَ أَنْ تُرَاجِعَ حُكْمَ شَرِيعَتِكَ، وَتُرَاجِعَ
صَحِيفَةَ آخِرَتِكَ!

أَخِي صَاحِبَ الْعَمَلِ: لِمَ لَا تَجْعَلُ لِكُلِّ عَائِدٍ إِلَى
بَلَدِهِ مِنْ عُمَّالِكَ - زَائِرًا أَمْ مَغَادِرًا - هَدِيَّةً، وَهِيَ
عِبَارَةٌ عَنْ كُتُبٍ وَأَشْرَطَةٍ شَرْعِيَّةٍ دَعْوِيَّةٍ بِلُغَتِهِ، فَإِنْ
كَانَ مُسْلِمًا جَعَلْتَ لَهُ كِتَابًا عَنْ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ
الصَّحِيحَةِ، وَأَرْكَانِهِ، وَوَجِبَاتِهِ، وَسُنَنِهِ، وَكُلِّ
ذَلِكَ خَيْرٌ... وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُسْلِمٍ جَعَلْتَ لَهُ كِتَابًا
دَعْوِيَّةً تَدْعُوهُ وَأَهْلُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

أَخِي صَاحِبَ الْعَمَلِ: لِمَ لَا تَجْعَلُ نِسْبَةً ثَابِتَةً مِنْ
الْأَرْبَاحِ نُصْرَةً لِدِينِكَ..؟!!

لَمْ لَا تَجْعَلُ اشْتِرَاكَ شَهْرِيًّا أَوْ أُسْبُوعِيًّا فِي مَجَلَّةٍ
إِسْلَامِيَّةٍ أَوْ مَجَلَّتَيْنِ مُوثَّقَتَيْنِ تَصِلُ إِلَى سَكَنِ

عَمَّا لَكَ أَوْ مَقَرَّ عَمَلِهِمْ بِلُغْتِهِمْ، كَيْ تُسَهِّمَ فِي تَعْلِيمِهِمْ أَحْكَامَ دِينِهِمْ، كَمَا تُسَهِّمُ فِي تَوْعِيَّتِهِمْ بِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرْبُطُهُمْ بِإِخْوَانِهِمُ الرِّبْطَ الصَّحِيحَ؟

أخي صاحب العمل: أريدُ أنْ أُحدِّثَكَ الْآنَ عَنِ الطَّامَّةِ الْكُبْرَى . . . عَنِ الرَّبَا .

لَقَدْ جَرَى وَرَاءَ الشَّيْطَانِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَقَاوِلِينَ، وَمِنَ الْمُسْتَوْرِدِينَ وَغَيْرِهِمْ . . . فَرَاخُوا يَقْتَرِضُونَ مِنَ الْبَنُوكِ لِيُنْشِئُوا مَشَارِيعَ، وَيُنْمُوها، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا وَقَفَ الْمَشْرُوعُ عَلَى رِجْلَيْهِ تَرَكْنَا الْاِقْتِرَاضَ مِنَ الْبَنُوكِ . . . وَالْحَقُّ الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِأَعْيُنِنَا هُوَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمَرَابِيِّ: ﴿يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَيْمَنِ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

فَكُلَّمَا انْتَهَى مَشْرُوعٌ ظَهَرَ مَشْرُوعٌ آخَرَ، بَلْ كُلَّمَا كَبَّرَ مَشْرُوعٌ كَبَّرَ الْاِقْتِرَاضُ، وَكَبَّرَ الرَّبَا! وَهَلْ تَظُنُّ أَنَّ الشَّيْطَانَ سَوْفَ يَتْرُكُكَ . . . إِنَّهُ يَتَخَبَّطُكَ . . . !

أَمْ أَنْكَ تَرِيدُ أَنْ تَصِلَ إِلَى التَّوْبَةِ عَلَى يَدِ
الشَّيْطَانِ . . ؟!

أَيْنَ أَنْتَ مِنْ وَعِيدِ اللَّهِ تَعَالَى . . ؟!

هل عرفتَ ذَنْباً غَيْرَ الرَّبَا تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى صَاحِبَهُ
فِي الْقُرْآنِ بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ : ﴿ فَادْنُوا
بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

فَإِنْ كُنْتَ تَقْوَى عَلَى حَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ
فَاسْتَمِرَّ . . !

وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ إِنَّكَ لَا تَقْوَى، فَانْسَحِبْ فَوْراً
مِنْ هَذَا الْمَيْدَانِ، وَفِرَّ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاجِهَةِ . . . فِرَّ
إِلَى اللَّهِ نَادِماً بَاكِئاً ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ
مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

مَالِكَ لَا زَلَّتْ تَسْتَصْغِرُ هَذَا الذَّنْبَ، وَتُغْلِقُ أُذُنَكَ
عَنْ سَمَاعِ مَوْعِظَتِهِ، وَتُغْمِضُ عَيْنَكَ عَنْ قِرَاءَةِ
خَطَرِهِ . . . وَكَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرَ وَتَسْمَعْ فَلَنْ تُلْعَنَ .

أَخِي: هل تستصغرُ الزَّنا . . ؟!

الجوابُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ : لا .

فهل تعلمُ أن أقلَّ الرِّبَا أعظمُ خطراً مِنَ الزنا الذي تستعظمُهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ حَنْظَلَةَ - غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «دِرْهُمٌ رِبَاً يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنِيَةً»^(١) .

وهل بلغَكَ أن رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ الرِّبَا مِنَ الْمَوْبَقَاتِ السَّبْعِ وَقَدَّمَهُ عَلَى أَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ . . ؟!

وهل بلغَكَ أن آكلَه يَسْبَحُ فِي نَهْرِ الدَّمِ فِي الْقَبْرِ، وَيُلْقَمُ حِجَارَةَ النَّارِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ . . ؟!

وهل بلغَكَ أن صاحبه يقومُ يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمينَ : ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

(١) رواه أحمد (٢١٩٥٧) قال شعيب: ضعيف مرفوعاً، وصححه الألباني في الترغيب [١٨٥٥] .

فيا من تستهينُ بالربا في مقاولاتك واستيرادك
وتجارتك استمع لقَوْلِ النبي ﷺ في الحديثِ
الصحيح: «الربا ثلاثةٌ وسبعونَ بابًا أيسرُها مثلُ أن
ينكحَ الرَّجُلُ أمَّهُ، وإنَّ أربى الربا عَرَضُ الرَّجُلِ
المسلم»^(١).

وفي روايةٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «الربا سبعونَ
بابًا، أدناها كالذي يقَعُ على أمِّه»^(٢).

وفي روايةٍ عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: «الربا اثنانِ وسبعونَ بابًا، أدناها
مثلُ إتيانِ الرَّجُلِ أمَّهُ، وإنَّ أربى الربا استطالةُ
الرَّجُلِ في عَرَضِ أخيه»^(٣).

-
- (١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٣١) والحاكم في
المستدرک، قال الذهبي في التلخيص: «على شرط
البخاري ومسلم»، وصححه الألباني في الجامع (٣٥٣٩).
- (٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥١٣٢)، وقال الألباني:
صحيح لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥٣).
- (٣) رواه الطبراني في الأوسط (٧١٥١)، وقال الألباني: صحيح
لغيره. انظر صحيح الترغيب والترهيب (١٨٥٧).

فما الذي يجعلك تُجَازِفُ هذه المجازفةَ
الخطيرة؟! ثم إنك بعد كل هذا لا تقترضُ درهماً
واحداً ليتحقق عليك كلُّ هذا الوعيد... وإنما
تقترضُ الآلاف المؤلَّفةَ ولأجل ماذا...؟

فإن كنتَ تخشى الفقرَ، فإنَّ اللهَ تعالى يقول:
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ
يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٦٨].

وإن كنتَ تقولُ إنَّك مُضْطَرٌّ لأكلِ الربا فإنِّي
أسألك: هل أبيع لك أكلُ الميتة؟!
الجواب: لا .

تقول: إنَّها ضرورةٌ!
فمن أين جاءتِ الضرورةُ؟! ومن أفتاك بأنَّها
ضرورةٌ؟!!

لا تذهب بعيداً... فالمسألةُ مقطوعةٌ بكلمتين
ربانيتين، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

لعلك ستقول بأن العالم الفلاني أفتى بكذا..
أقول لك إن كنت صادقاً باتباع العلماء، فإن كل علماء الأمة وكل مجالسها الفقهية، ومؤتمراتها الإسلامية المتخصصة قد أفتت بحرمة الربا كما تجريه البنوك الربوية اليوم.

سَلْ نَفْسَكَ: لم أخذت بفتوى واحدة، وتركت فتاوى الجموع من العلماء وإجماعاتهم؟! وإن كنت تريد حقاً فإن أول دليل أقدمه بعد كل الذي ذكرته لك: استفت نفسي مُتجرِّداً لله، وكفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

ستقول لك نفسك - عند عدم بيان الحق لها - هذا الأحوط لدينك، والأحوط لآخرتك إن كنت مُشتَبهاً...

وبعد ذلك فإن الأدلة أكثر من أن تُحصَرَ في مثل هذه المباحث العلمية العملية.

أيها التاجر المسلم: هل تعلم أن عليك فريضةً أخرى..؟!

هل تعلم أنه يجب عليك أن تتفقه في أحكام المعاملات الشرعية، وألا تُقدم على معاملةٍ حتى تعرف حكم الله تعالى فيها؟ أمّا إن صعب عليك التفقه الذاتي، فلا تُقدم على مسألةٍ حتى تسأل فيها من أهل العلم من يتوافر فيه شرطان: العلم والتقوى.

أخي التاجر والمقاول ورب العمل: لقد جعل الله يدك العليا على هؤلاء، فاجعلها عليا بالإنفاق في سبيل الله، اجعلها عليا في الدنيا والآخرة، اجعلها عليا بكفالة الأيتام وبناء المساجد والصروح العلمية، وكل ما من شأنه جعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا.

يا من أغناك الله تعالى: لقد حوى هذا «الغراس» الذي بين يديك أنواعاً من الأغرسة، وقد كان للفقير منها نصيبٌ وافراً، وطارَ بنصيبه فرحاً مسروراً.

فما عُذركَ عندَ اللهِ تعالى إن مررتَ بكلِّ هذه الرياض ولم تغرسْ غرساً منها في حياتك، وأنتَ أقدرُ الناسِ على ذلك...؟!!

يا من أغناك الله تعالى: أيُّ فرصةٍ للغراسِ تنتظرُ - بعد اليوم - إذا فاتك «الغراس» كلُّه...؟!!

أتمَّ القراءةَ ثمَّ أعدَّها بنفسِ الحارثِ الهمامِ الغارسِ الإمامِ، لا بنفسِ المُستطَلعِ بقراءته، المتفضَّلِ بمطالعتِهِ...!

إنه فرصةٌ لك اليوم، فلا يكوننَّ حُجَّةً عليك غداً...!



الغِراسُ العاشِرُ

غِراسُ المُهاجِرِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ المهاجرِ

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُزْءَ الْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَرغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۗ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ، فَوْقَ أَجْرِنَا عَلَى اللَّهِ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمْرَتُهُ فَهُوَ يَهْدُبُهَا..» ^(١) رواه البخاري برقم (١٢٧٦).

(١) يهدبُها: يجتنيها، ويقطفها.

غراس المهاجر

أثبتت النصوص الشرعية، والأحداث التغييرية الكبرى على مر التاريخ أن الهجرة كثيراً ما تصنع هذه التغييرات، وتأتي بالفتح الذي لم يحسب له الناس حساباً... وعند المقارنة بين أوضاع المهاجر ومبادئه قبل الهجرة وبعدها تتجلى ثمرة الهجرة جيداً...

فقد بقي الخليل **عليه السلام** طوال حياته بين أهله وقومه لم يفتح له - كما يريد - لا في القلوب ولا في البلاد، إلى أن قال له أبوه: **﴿لَأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنَّكَ﴾** [مريم: ٤٦].

وقرّر الهجرة وخرج من العراق بمؤمن واحد، قال تعالى: **﴿فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [العنكبوت: ٢٦].

فجاءت ثمرات الخير بعد الهجرة تبعاً...

قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ [الأنبياء: ٧١ - ٧٣].

وبهذا بَقِيَتْ ثَمْرَةٌ هِجْرَتِي الْخَلِيلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . .

فهل بنى إبراهيم الكعبة إلا بعد الهجرة . . ؟!
 وهل كان بناء إبراهيم للمسجد الأقصى إلا في
 هجرة الشام بعد عودته من مكة، كما في حديث
 أبي ذر في البخاري وغيره؟!

وقد قال ابن كثير: «لَمَّا هَجَرَ قَوْمَهُ فِي اللَّهِ،
 وَهَاجَرَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ عَاقِرًا، لَا
 يُوَلِّدُ لَهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْوَالِدِ أَحَدٌ، بَلَ مَعَهُ
 ابْنُ أَخِيهِ لُوطُ بْنُ هَازِنَ بْنِ آزَرَ، وَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوْلَادَ الصَّالِحِينَ، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ

النُّبُوَّةَ وَالكِتَابَ، فَكُلُّ نَبِيٍّ بُعِثَ بَعْدَهُ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ،
وَكُلُّ كِتَابٍ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ
بَعْدِهِ فَهُوَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نَسْلِهِ وَعَقِبِهِ، خُلْعَةٌ مِنَ اللَّهِ
وَكَرَامَةٌ لَهُ حِينَ تَرَكَ بِلَادَهُ وَأَهْلَهُ وَأَقْرَبَاءَهُ وَهَاجَرَ إِلَى
بَلَدٍ يَتِمَكَّنُ فِيهَا مِنْ عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَدَعْوَةٌ
الْخَلْقِ إِلَيْهِ»^(١).

وهذا موسى عليه السلام كان افتتاح الخير له بهجرته
الأولى حين خرج من مصر خائفاً يترقب، فقال
سبحانه: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى
رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص: ٢١-٢٢].

فكانت الثمرة الأولى هي النجاة من القوم
الظالمين، وذهاب الخوف وتحقق الأمن، وأخوة
شعيب، وزواج ابنته وما إلى ذلك، وصدق
شعيب إذ قال له أول الأمر: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ

(١) البداية والنهاية (١/١٥٠).

مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ [القصص: ٢٥].

ثُمَّ كَانَتْ الْهَجْرَةُ الثَّانِيَةَ حَيْثُ الْخُرُوجُ مِنْ مَهْجَرِهِ (مَدْيَنَ) زَائِرًا أَهْلَهُ فِي مِصْرَ - كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ كَثِيرٍ - ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ [القصص: ٢٩ - ٣٠].

وكان من ثمار هذه الهجرة أن أصبح موسى كليماً، وأصبح هارون نبياً، ومن ثمارها النصر على فرعون، وإيمان من آمن من السحرة ومن أهل مِصْرَ، ونجاة بني إسرائيل .

وكذلك كانت ثمرات هجرة موسى إلى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عَظِيمَةً، لَمْ يَحْسِبْ مُوسَى لَهَا حِسْبَانًا حِينَ كَانَ لِقَاؤُهُ بِالْخَضِرِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ
حُقُبًا ﴿٦٠﴾ [الكهف: ٦٠].

وما آمنت بلقيسُ ولا قومها إلا بعد هجرتها إلى
نبيِّ الله سُلَيْمَانَ . .

ولولا اقتران الهجرة بالجهاد لما بلغ ذو القرنين
هذا الشأن العظيم . .

ولو أن أهل الكهف رَضُوا بالمقام بين قومهم لما
حَفِظُوا دينهم، وما بقي ذكْرهم في كتاب الله
العظيم إلى يوم الدين .

واستقصاء فتوح الهجرات في الأمم السابقة
يَطْوِلُ، وَلَكِنَّ فَتْحَ الْفُتُوحِ بَعْدَ الْبِعْثَةِ الْمُبَارَكَةِ كَانَ
بِهَجْرَةِ الْمِصْطَفَى ﷺ . . .

ولقد أدرك النبي ﷺ أهمية الهجرة جيداً، ومن
ثَمَّ فَقَدْ أَمَرَ بِهَا أَصْحَابَهُ، فَهَاجَرُوا الْهَاجِرَتَيْنِ إِلَى
الْحَبْشَةِ، كَمَا هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، وَكَانَ
يَطْلُبُهَا لِنَفْسِهِ، فَقَدْ كَانَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى

القبائل في المواسم . . .

عن أبي الزبير عن جابر قال: «مكث رسول الله ﷺ بمكة سبع سنين، يتتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة والمواسم بمنى، يقول: مَنْ يُؤويني وينصرنني حتى أبلغ رسالات ربي، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رحالهم وهم يُشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا الله من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا ويؤمن به ويُقرئه القرآن وينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها رهط من المسلمين يُظهرون الإسلام، ثم إنا اجتمعنا فقلنا: حتى متى نترك النبي ﷺ يُطرد في جبال مكة ويخاف، فرحل إليه منا سبعون رجلاً، حتى قدموا عليه في الموسم فواعدناه بيعة العقبة فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله

علامَ تُبايعُك؟ قال: تُبايعُوني على السَّمْعِ والطَّاعَةِ في النَّشَاطِ وَالكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ في العُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ يَقُولَهَا لَا يُبَالِي في اللَّهِ لَوْمَةً لائِمًا، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي وَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ، فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَنَاهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الإِبِلِ إِلا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ إِخْرَاجَهُ اليَوْمَ مُنَازَعَةٌ الْعَرَبِ كَافَّةً وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ وَأَنْ تَعُضَّكُمْ السِّيُوفُ، فَإِنَّمَا أَنْ تَضْبُرُوا عَلَى ذَلِكَ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جُبْنًا فَبَيَّنَّا ذَلِكَ فَهُوَ أَعْذَرُ لَكُمْ، فَقَالُوا: أَمْطَ عَنَّا فَوَاللَّهِ لَا نَدْعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعَنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ أَنْ يُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ»^(١).

(١) رواه ابن حبان برقم (٦٢٧٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

وهل أسلم سيّد الحبشة - النجاشي - إلا بدعوة
المهاجرين . . .

وما تكاد ترى بلداً أحياه الله بعد وفاة النبي ﷺ
إلا بهجرة صحابي أو أكثر من أصحاب رسول الله
ﷺ إليه .

وبعث الله تعالى الإسلام في أوروبا بهجرة
عبدالرحمن الداخل إلى بلاد الأندلس .

وهل أعاد الله بيت المقدس إلى المسلمين بعد
احتلال دام تسعين سنة إلا بهجرة آل زنكي،
وصلاح الدين الأيوبي من العراق إلى الشام؟!!

وهل أعاد الله مصر إلى حضيرة الإسلام والسنة إلا
بعد فتح صلاح الدين لها، وهجرة المسلمين إليها؟!!

وبعدما انحلت الخلافة العثمانية وانحسر الإسلام
عن ديار الكفر، وضيّق الظالمون على المسلمين في
بلاد الإسلام، عاد الإسلام وانتشر انتشاراً عظيماً نجد
ثماره في مؤسسات، ومُدن، وقرى، ومراكز،
وملايين غير المسلمين الداخلين في الإسلام على

الدوامِ آناءَ الليلِ وأطرافِ النهارِ . . .

كلُّ ذلكِ بفضلِ اللهِ ثمَّ بالهجرةِ . . .

كما كانَ لطلابِ العلمِ الذينَ وفَدُوا آنذاكَ مِنْ
أقطارِ الدُّولِ الإسلاميَّةِ وغيرِ الإسلاميَّةِ إلى
الجامعاتِ والمعاهدِ الإسلاميَّةِ أَبْرُكُ الثمارِ
وأحسنُ الآثارِ على بلادِهِم بعدَ عَوْدَتِهِم إليها،
حيثُ أزالوا الجهلَ ونَشَرُوا العِلْمَ وحقَّقُوا
التوحيدَ . . .

وهكذا تَصَنَعُ الهِجْرَاتُ الفُتُوحَ والانتصاراتِ
حتى لأصحابِها الضالِّينَ والمُبتدِعِينَ، وكانَّها سُنَّةٌ
قَدْرِيَّةٌ ماضِيَّةٌ، وباقِيَّةٌ . . .

فهذه أمريكا ما اكتُشِفَتْ إلا بعدَ الهجرةِ، ولا
سادتْ إلا بعدَ هجرةِ المهاجرينَ إليها . . .

ما أقامَ هذه القوةَ والصيتَ أو العنفوانَ إلا لفيفُ
المهاجرينَ من أطرافِ الأرضِ . . .

ويبقى السؤالُ الآنَ، كيفَ يُمكنُ الآنَ استثمارُ

الهجرةِ . . .!؟

أم كيف يمكن أن نضع الهجرة لنستجلب
نصراً...؟!.

يمكن أن نعرف الجواب حين نعود إلى هدف
هجرة المهاجرين الأولين، وماذا حققت؟ ومن
سؤال المهاجرين المقيمين الآن في غير
بلادهم...

ومع هذا فقد حققت الهجرة في هذا العصر
ثمارة عظيمة للإسلام والمسلمين:

فقد هاجر المهاجرون إلى أمريكا وأوروبا وغيرها
فأدخلوا معهم الإسلام، فبدأ ينتشر وما زال ينتشر
كل يوم، وما نشاهد اليوم من حملة تقوؤها
الصهيونية على الإسلام والمسلمين إنما سببها
الحسد والخوف من تزايد انتشار هذا النور.

لا يخفى ما صنعت الهجرات اليوم في وسط
أوروبا، وفي الجمهوريات الروسية من فتح
عظيم، وخير عميم.

إننا اليوم بحاجة لاستثمار جهود ملايين المهاجرين المغتربين في أرض الله تعالى .

فقضية الهجرة لا يتحملها فرد، ولا بد لها من دراسة تاريخية مفصلة ومُحَقَّقة، ودراسة شرعية فقهية موسعة ومؤصلة، ودراسة ميدانية واقعية جغرافية استراتيجية . . .

إن من حق الكثير من المُحلِّلين الإسلاميين المشفقين على مصير الإسلام في البلاد غير الإسلامية أن يتهموا الأيدي الخبيثة بافتعال أحداث في تلك الدول لإخراج المسلمين المهاجرين منها ومن غيرها، فضلاً عن إيقاف مد الهجرة بعدما أدركوا أن المسلمين سوف يُمثَّلون الغالبية الأولى في مُعظم تلك البلاد من بين جميع الجاليات الموجودة، وسيكونون في بعضها الآخر أكثر من الشعب الأصلي وذلك لكثرة هجرتهم وكثرة مواليدهم، وقوة دعوتهم، ودخول الكثير منهم إلى الإسلام، وهذا إذ ينقص

مِنَ الشَّعْبِ الْأَصْلِيِّ مِنْ جِهَةٍ يَزِيدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
جِهَةٍ . . . فَهُوَ مَكْسَبٌ مُضَاعَفٌ . . .

وفي ضوء ذلك كله يُمكنُ أن تخرج هذه
الدراساتُ بدراسةٍ مستقبليةٍ قابلةٍ للتطبيق، وليكي
تكونَ النتائجُ بالمستوى المطلوب لا بدَّ أن
تؤسَّسَ على الآتي:

١ - استثمارُ جهودِ المهاجرينِ حالياً وذلك
بتنظيمِ جهودِهِم، وإحياءِ هدَفِ المهاجرِ في نفسِ
كلِّ مهاجرٍ منهم، وتصحيحِ أخطائِهِم وسلبِيَّاتِهِم،
وإحياءِ العِلْمِ الشرعيِّ بينَهُم . . . فلو أن كلَّ
مُهاجرٍ عَزَمَ على غَرَسِ غِراسٍ في مَهَجَرِهِ لَغَطَّتْ
غَابَةُ الخَيْرِ الظليلةُ بلادَ الكُفْرِ .

كلُّ ذلكَ وَفَقَ دراسَاتٍ وتفاصيلَ لا أودُّ التَّطويلَ
بذِكْرِهَا، والمهاجرونَ أعلمُ بها مِنِّي .

٢ - استثمارُ جهودِ المهاجرينِ نحوَ بلادِهِم
الإسلاميةِ التي هاجَرُوا منها، ولهذا الهدفِ وسائلُ
كثيرةٌ، فَمِنْهَا وسائلُ اقتصاديةٌ، وإعلاميةٌ،

ودَعْوِيَّةٌ ، وسياسيَّةٌ .

٣ - صناعةُ هِجْرَاتٍ تغييريَّةٍ لها أهدافٌ محدَّدةٌ ،
فلقد مرَّ معنا أنَّ النبيَّ ﷺ هو الذي أمرَ بالهجرةِ
إلى الحبشةِ ، وهو الذي أمرَ بعضَ أصحابه بالعودةِ
إلى أقوامهم ، وقد كان يعرضُ نفسه على القبائلِ
ليؤووه حين يُهاجرُ إليهم ، ثمَّ هاجرَ ﷺ فعلياً إلى
المدينةِ .

ورُبَّ مُهاجرٍ واحدٍ يقيمُ اللهُ على يديه دولةَ
الإسلامِ في قعرِ دُولِ الكُفْرِ ، كما أقامها اللهُ في
أوروبا على يدِ عبدالرحمنِ الداخلِ . .

فمادامتِ الهجرةُ نصراً ، وفتحاً ، وفرجاً ،
ومأوى ، وعزاً ، وسعةً ، ودعوةً ظافرةً . . . فما
المانعُ أن تعودَ لتؤتِي أكلها من جديدٍ فتحاً قريباً ،
ونصراً مجيداً ، وخلافةً إسلاميةً قادمةً .



الغراسُ الحادي عشرَ

غراسُ العامِّيِّ الفقيرِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ العامِّيِ الفقيرِ

قالى تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿﴾
[الجمعة: ٢]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ». رواه الإمام أحمد (٧٩٤٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

غراسُ العاميِّ الفقيرِ

أبو عليٍّ (رحمه الله)... رَجُلٌ أَحَسَبُهُ مِنْ
الصالحينَ العُيُورينَ على دينِهِم، مِنْ مَنْطِقَةِ (حتا)
التابعةِ لمدينةِ دُبَيِّ، رَجُلٌ عاميٌّ، أُمِّيٌّ، لولا
معرفةُ المُتواضِعَةِ بالقراءةِ والكتابةِ...

أبو عليٍّ، آدمُ اللُّونِ، ذو لحيةٍ بيضاءَ، ذو بنيةٍ
قويةٍ، فقيرٌ... يشتري مِنْ عِنْدِنَا بعضَ ما نبيعُ
مِنْ عَسَلٍ وغيرِهِ، لِيبيِعَهُ مُفَرَّقاً فَيَرْبِحَ فِيهِ ما تيسَّرَ،
ليعودَ إلينا ثانيةً فيشتري كميةً أخرى ويدخِرَ شيئاً
مِن الأرباحِ أو يصرِفُها على عياله... وهكذا .

ولكنَّهُ ما زارنا مرةً إلا وكانَ حديثُهُ يَنْضَحُ غَيْرَةً
على الإسلامِ بأسلوبِهِ العاميِّ، واستدلَّ إليه الدائمُ بما
تيسَّرَ له مِنْ آياتٍ لا يُحسِنُ إتمامَها في أغلبِ
الأحيانِ...!

فواللهِ الذي لا إلهَ إلا هُوَ إِنَّ حديثَهُ أَحَبُّ إلى

قلبي من حديث كثيرٍ من المُتَسَبِّينَ إلى الدعوةِ في هذا الزمانِ . . . !

دخل عليَّ يوماً، وبعد هنيئَةً قال: «معاشرَ أهلِ العلمِ، إنَّ دورَكم كبيرٌ، وإنَّ أمانتَكم لثقيلةٌ . . .»
ثمَّ قالَ: «قرأتُ في مجلَّةٍ مرَّةً عن رجلٍ باكستانيٍّ مسلمٍ مستقيمٍ، تزوجَ فتاةً يهوديةً بعدما أسلمتَ وحسُنَ إسلامُها، وجاءتُ معه إلى باكستان، ففهِمتِ الإسلامَ وتعمَّقتُ فيه، ثم ألفتُ بعدَ ذلك اثني عشرَ كتاباً نافعاً في الإسلامِ . . .!»

ومع أنَّني لا أعرفُ هذه المؤلِّفةَ إلا أنَّ هذه القصةَ أخذتُ مني مأخذاً، حينَ حسبتُ ما فاتَ من عُمرِي ثم حسبتُ ما أنتجتُهُ للإسلامِ . . . فحقَّرتُ نفسي . . . !؟

وتحدَّثَ أبو علي عن تخلِّي المسلمين عن دَوْرِهِم كثيراً، وبدتُ عباراتُ اليأسِ تتصاعدُ في حديثه .

فقلتُ له: يا أبا علي، كثيرٌ مما تقولُ حقٌّ وواقعٌ، ولكنْ في المسلمينَ خيرٌ كثيرٌ، ولن ينقطعَ هذا الخيرُ أبداً، فإنَّ منَ أعظمِ ما يحتاجونه الآنَ بعدَ تعليمهم كأفرادٍ أمرين:

الأمر الأول:

أنَّ يودِّي كلُّ مسلمٍ ما يستطيعُ أداءه من واجبٍ نحوَ دينه، فليسَ عندنا مسلمٌ مُطبِّقُ العجزِ، ومُطبِّقُ الجهلِ، لا يعلمُ شيئاً، ولا يَقْدِرُ على شيءٍ... .
فهذا يعرفُ وجوبَ الصلاةِ، وذاك يعرفُ وجوبَ الزكاةِ والصيامِ، وطريقةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وهذا يعرفُ كذا، وذاك يعرفُ كذا... . فإذا أدَّى كلُّ واحدٍ من هؤلاءِ دوره الذي يَعْلَمُه ويقدرُ عليه، شاعَ المعروفُ وانتشرتِ المناصحةُ، فلا ينبغي لأحدٍ أن يحتقرَ نفسه، ويعدَّ نفسه صِفراً على الشمالِ... .

الأمْرُ الثَّانِي :

البلاغُ . . . فإنها مَهْمَةٌ المرسلين ، ومهمَةٌ العلماءِ مِنْ بعدهم ، ومَهْمَةٌ مَنْ يحمل معلومة صحيحة فعَنْ أَبِي كَبْشَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١) .

وبعبارة أكثر تحديداً أقول إنها مهمة تحديد مَنْ لا يعرف دَوْرَهُ ، ولرُبَّمَا يُفْتَحُ لِعَقْلِكَ ما أَغْلَقَ على عقلِ مَنْ هو أعلمُ منك . . .

أبا علي : أنت الآن ذكرت لي ثِقَلَ أمانةِ أهلِ العلم ، وذكرت لي تلك المرأة اليهودية التي أسلمت ، فأثرت أيما تأثيرٍ في همّتي ، ثمّ ذكرت لي الآن عن هؤلاء السُّيَّاحِ المنتشرين في الأسواقِ

(١) رواه البخاري (٣٤٦١) في كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل .

وواجبِ دعوتِهِم... لو أنك حملتَ هذه الفكرةَ
 وذهبتَ بها إلى قسمِ الدعوةِ في دائرةِ الأوقافِ،
 أو أيِّ مركزٍ لدعوةِ غيرِ المسلمينَ في أيِّ جمعيةٍ
 من جمعياتِ النفعِ العامِّ، أو ذهبتَ إليهم جميعاً
 حتى يُنسَّقُوا فيما بينهم، وعرَّفْتَهُم بواجبِهِم
 بأسلوبِكَ الذي ذكرتهُ لي، لكان لك في ذلك
 ثوابٌ دلالةٌ على الخيرِ...

يا أبا علي: أغلبُ الناسِ حينَ ينظرونَ إلى
 هؤلاءِ السيَّاحِ، يتبادرُ إلى أذهانِهِم شيئانِ لا ثالثَ
 لهما: التجارةُ والدَّعارةُ..! أمَّا دعوتُهُم للإسلامِ
 فلا تكادُ تخطرُ على بالِ أحدهمِ...؟!!

يا أبا علي: ماذا لو كانَ لهؤلاءِ الأجنبيِّ
 محاضراتٌ تعريفيةٌ بالإسلامِ، وعُرِضَتْ لهم أفلامٌ
 سينمائيَّةٌ عن الإسلامِ، وماذا لو وُزِّعَتْ عليهم
 كُتَيْبَاتٌ مناسبةٌ عن الإسلامِ؟

وماذا... وماذا...؟؟ إلخ .

أوليسَ في ذلكَ خيرٌ كثيرٌ...؟!!

لا بدَّ أن تُشاع دعوتهم ابتداءً بأولِ قدومهم في المطارِ، وتوزيعِ إعلاناتٍ في الأسواقِ، وعملِ عشاءٍ خفيفٍ، ونحوِ ذلكَ... وانتهاءً بمغادرتهم إلى أوطانهم...

أخي أيُّها العاميُّ الفقيرُ: إنني أدركُ أنك لا تستطيعُ الإفتاءَ، وأنتَ أَوْرعُ من أن تقولَ على اللهِ بغيرِ علمٍ...

ولكنَّ كُلَّ هذا وغيرُ هذا لا يُسقطُ عنكَ التكليفَ، ولا يُعفيكَ من هذه المهمةِ العظيمةِ...

أولاً تستطيعُ أن تُشيرَ كلَّ يومٍ موضوعاً مفيداً في المجلسِ الذي تحضرُهُ...؟!

نعمَ إنكَ تستطيعُ، ولكنَّ ما الطريقةُ...؟!
إنكَ أنتَ الذي تُحدِّدُ الطريقةَ المناسبةَةَ ولكنَّ بعدَ إرادةِ وجهِ اللهِ تعالى، وتحديدِ ثمرةِ الموضوعِ،

عليك أن تعلم: أن المجالسَ العامةَ ليسَ لها موضوعٌ مُحدَّدٌ، فصاحبُ الطرحِ الأولِ هو صاحبُ المجلسِ كُلِّهِ، كما أن تغييرَ الموضوعِ فيها من السهولةِ بمكانٍ .

أخي العامي: أولاً تستطيعُ أن تكونَ عندك في البيتِ مكتبةٌ صوتيةٌ فيها أنفعُ الأشرطةِ وأكثرها تأثيراً ومعرفةً، من خلالِ مناصحةِ الثقاتِ العارفينَ... فهذا أحسنُ شريطٍ في علاجِ عقوقِ الوالدين، وذاك يعالجُ قطيعةَ الأرحامِ، وثالثٌ يُعالجُ السكوتَ عن المنكرِ. ورابعٌ يعالجُ غلاءَ المهورِ وانحرافَ الشبابِ، والزنا، واللواطَ... وهكذا .

وتُعطي من يحتاجُ ما يحتاجُ، وبالتالي فأنتِ أحسنُ مُتحدِّثٍ بلسانِ العلماءِ، بل أنتِ جامعٌ لكثيرٍ من العلماءِ في عملِكَ .

فإن لم تستطعِ ذلكَ فلا أقلَّ من أن يكونَ لك

معرفةً بها، وتُدلّ مَنْ يحتاجُ إليها عَلَيَّهَا.

وتستطيعُ أَنْ تَتَفَقَّعَ مع مكتبةِ إسلاميةٍ دَعْوِيَّةٍ

فَتُرَوِّدَكَ بما يُنَاسِبُ لِتُوصِلَهُ إِلَى مَنْ يُنَاسِبُهُ .

ثُمَّ تَرُدُّ إِلَيْهَا الْأَصْلَ أو تحتفظُ به . . .

● إحصار العلماء والدعاة:

(أ) أَوَّلًا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ
الْمَوْثُوقِينَ وَتَتَفَقَّعَ مَعَهُمْ عَلَى أَشْيَاءَ خَيْرَةٍ كَثِيرَةٍ فِي
مَجْلِسِكُمْ . . ؟ عَلَيْكَ أَنْ تَفْتَحَ الْبَابَ فَتَقْبِضَ
الْأَجْرَ .

(ب) اعملْ محاضراتٍ أسبوعيةً في مسجدِكُمْ . . .
وَبَقْدَرِ النِّيَّةِ وَالْجُهْدِ وَالِانْتِفَاعِ وَالْحُضُورِ، بَلِ
بِمَجْرَدِ إِيجَادِ الْحَلَقَةِ سَيَكُونُ الْأَجْرُ .

عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى،
فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى

اللَّهُ ورسوله، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ
امْرَأَةً يَتَزَوَّجُهَا فهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (١).

واللَّهُ يُوفِّقُ مَنْ يَشَاءُ، واللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ
يَشَاءُ... فما بالك لو استمرت هذه الحلقات ثم
طُوِّرَتْ وَخَرَّجَتْ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ مَا خَرَّجَتْ...؟!

(ج) إهداء بعض الصحف الإسلامية الموثقة لمن
ينتفع بها...

إنني أعرف كثيراً من البلاد الإسلامية لا تصلها
كثيرٌ من المجلات الإسلامية لأنَّ وزارة الإعلام في
تلك البلاد لا تسمحُ بانتشار تلك المجلة النافعة
ولا بعرضها.

أخي العامي: أعرفُ مَنْ أهدى مثلَ هذه

(١) أخرجه البخاري (٥٤) كتاب الإيمان، باب ما جاء أن
الأعمال بالنية والحسبة، ومسلم (١٩٠٧)، كتاب
الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية، وأنه يدخل
فيه الغزو وغيره من الأعمال.

الصحف لبعض الموظفين في وزارة الإعلام،
وحين طالعها الرجلُ، واقتنع بفائدتها، عرضها
على الوزير نفسه، وسيوافق عليها بإذن الله .

وأخيراً... أخي العامي: أرجو أن لا تحتقر
نفسك، فلعلك بإخلاص نيتك يعوضك الله
تعالى ويُعطيكَ مالا يُعطي الكثيرين من أهل العلم
والدعوة.

وسوف أسوق لك هذه القصة الحقيقية التي
حدّثني بها أحد الإخوة الثقات الوريين ولا أذكر
على الله أحداً والتي وقعت في الهند سنة
١٩٩٢م...

كان مجموعة من الدعاة الغيورين يتنقلون في
الهند يدعون إلى الله تعالى، وفي أحد الأيام
مروا على معبد من معابد الهندوس، فقام رجل
(شحي) وجمعه (شحوح) وهم سكان جبال رأس
الخيمة في الإمارات العربية المتحدة . قام هذا
العامي يخطب بلغته الأردية الركيكة، فقام إليه

مَنْ كان مِنَ الهندوسِ هناكَ، وَحَصَلَتْ مُشادَّةٌ كَلامِيَّةٌ وَجاءَتْ الشُّرْطَةُ . . . وَوَصَلَتْ القَضِيَّةُ المَحْكَمَةَ، وَشاعَ خَبْرُ القَضِيَّةِ، وَقامَتْ قِيامَةُ الصَّحافَةِ الهِنْدوسِيَّةِ، ثُمَّ كَانَتْ جَلِساتٌ فِي المَحْكَمَةِ، وَأَخَذَتْ الصَّحافَةُ الهِنْدوسِيَّةُ تَنْقُلُها فِي صَفْحاتِها الأُولى، وَتَناصَرَ المَسْلَمُونَ هَناكَ كَذلكَ، فَعَيَّنوا لِصاحبِهِم مَحامِيًّا مِنْهُم، وَكانَ دَاعيَّةً وَفقيهاً وَمترجِماً، فَكانَ (الشَّحِي) يَقولُ كَلاماً سَطْحيًّا، وَكانَ المَحامِي يَقومُ بِترجمَتِهِ لِلقضاءِ، وَيزيدُ حُجْجاً وَدَعوَةً لِغَيرِ المَسْلَمِينَ، وَالصَّحافَةُ تَنقُلُ وَقائِعَ الجَلِساتِ تَفْصِيليًّا، وَالمَسْلَمُونَ وَالهِنْدوسُ فِي الشَّارِعِ الهِنْدِيِّ يَتابعُونَ الجَلِساتِ صَباحَ كُلِّ يَومٍ، فَماذا كَانَتْ نَتيجَةُ هَذِهِ الجَلِساتِ . . . بَلْ ماذا كَانَتْ نَتيجَةُ وَقْفَةِ هَذَا العَامِي فِي المَعْبِدِ الهِنْدوسِيِّ . . ؟!

لَقَدْ كانَ فَتْحاً لِلقُلُوبِ المَقْفَلَةِ، فَلَقَدْ دَخَلَ آلافٌ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الهِنْدوسِ .

لعلك ستقولُ: ما سَمِعنا في صحافةِ المسلمينَ بهذا الخبرِ...؟

أقولُ: وَلَنْ تسمعَ به منها، ولا بِمِثْلِهِ.. لكنَّ اللهَ تعالى قَدْ تقَبَّلَ جُهدَ ذلكَ العامي بل نيته - إن شاء الله - وإذا أرادَ اللهُ شيئاً أمضاهُ... .

أخي لَنْ يعفِيكَ هذا مِنْ طَلَبِ العلمِ المستمرِّ حسبَ قدرتكِ، ولكنْ قبلَ الطلبِ وأثناءه وبعده هناكِ البلاغُ بما تعرفُ، وما بينك وبينَ التوفيقِ إلا إرادةُ اللهِ، فأرِ اللهُ مِنْ قلبكِ إخلاصاً وصدقاً، ومِنْ هَمَّتِكَ عزمًا ومضاءً، واللهُ يفتحُ لكِ القلوبَ، بل يأتِيكَ بالفتحِ المبينِ والنصرِ العظيمِ إلى مكانك. أولمَ تقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

لا بدَّ من مشروعِ تثقيفِ العامَّةِ... .

وأنا لا أقصدُ بالعامَّةِ الأُميينَ فحسبُ، فلربما يكونُ طبيباً أو مهندساً أو مُدرِّساً ويكونُ عامياً في العلمِ الشرعيِّ.. لو سألتُهُ زوجته عن أحكامِ

عادتها ما عرفَ الجوابَ ، ولو سأله ولده عن أحكام
البلوغ لما عَرَفَ أيضًا . . ؟

وأخيرًا . . فإننا نحتاجُ إلى اهتمامٍ أعظمَ بالعامَّةِ
فهلْ هُمْ إلا الآباءُ والأمهاتُ . . ؟

ذلكَ مِنْ خلالِ مؤسسةٍ متخصصةٍ فيهم ،
وسوفَ يَمُرُّ معنا في الجزء الثاني «غراسُ أهلِ
العلم» إنشاءً معهدٍ بهذا الخصوصِ ، فاللَّهُمَّ يَسِّرْ
ووفقْ وحقِّقْ وبارِكْ .

ولأجلِ هذا الهدفِ الكبيرِ كتبتُ كتابًا عن وفاءِ
والدي رحمه الله تعالى ، لَمَّا يطبعُ بعدُ ، ولعلَّه
سيكونُ بإذنِ الله تعالى تحتَ عنوانِ [هكذا رحل
أبي] .



الغِراسُ الثاني عَشَرَ

غِراسُ الأَطبَاءِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ الأطباء

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].

عن أمِّ الدرداء رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاوَوْا بِحَرَامٍ». رواه الطبراني في الكبير (٦٤٩) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٣٣).

عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ». رواه أحمد في المسند (٣٥٧٨) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

غراسُ الأطباءِ

حينَ تخرَّجَ منَ ثانويةِ فيلِكا أخي في الله «أبو محمد» د. عبداللَّه.. حفظه اللهُ، قالَ: سوفَ أدرُسُ الطبَّ لأنَّ المسلمينَ ليسَ فيهمَ - اليومَ - أطباءٌ كما ينبغي، كمًّا، وكيفًا...!

قلتُ له: وما تصنعُ باللغةِ الإنجليزيةِ وهي عمادُ الطبِّ، وأنتَ أضعفُ ما تكونُ فيها...؟
قالَ: لَنَ يُوقِنَنِي أَيُّ عَائِقٍ مَهْمَا كَانَ، وسوفَ يُيسِّرُه اللهُ بفضلهِ... .

وَأتمَّ دراسةَ الطبِّ في الإسكندريةِ بتفوقٍ، ثُمَّ أتمَّها في ألمانيا كَذَلِكَ رُغْمَ عَائِقِ اللُّغَةِ الأَلمَانِيَةِ الأَكْبَرِ، وَأصبحَ - فيما أَعْلَمُ - مِنَ المَعْدودِينَ فِي (الأُذُنِ الوُسْطَى) عَلى وَجْهِ الخُصُوصِ... .

أخي القارئ: كم من طلابِ الثانويةِ الغيورينَ منَ تشوُّرِ غيرتِه فيقومُ واحدٌ منَ هنا، وآخرٌ منَ

هناك، لِيَدْرُسُوا الطَّبَّ، وَيُتِمُّوا الدِّرَاسَةَ فِعْلًا،
وَيُمَارِسُوا المِهْنَةَ، ثُمَّ يَنْتَهِي الأَمْرُ عِنْد هَذَا
الْحَدِّ..!

فهل تكفي هذه الغيراتُ المبعثرةُ لتحقيقِ الغاياتِ
الكبرى..؟!.

أخي القارئ: مُجَرَّدُ وجودِ لَجْنَةٍ مُتَخَصِّصَةٍ من
الأطباءِ الدعاةِ إِلَى اللَّهِ تعالى تَكْفِينِي مَوْوَنَةَ
التفُّلِ بالكتابةِ عنهم...

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَاتِ الجاريةِ التي يُمَكِّنُكَ أَنْ
تسيرَ بها وتُنشئَها هي هذه اللِّجْنَةُ الطَّبِيبَةُ الدَّعَوِيَّةُ
المتخصصةُ، والتي هدفُها الأُوحدُ مرضاةُ اللَّهِ
تعالى، بِنُصْرَةِ الإسلامِ، والدِّفاعِ عنه، وحِفْظِ
صِحَّةِ المسلمينَ، وَوَقايتِهِمْ... كلُّ ذلكِ مِنْ
خِلالِ:

١ - تصحيح مفهوم الطَّبِّ في الإسلامِ مِنْ حيثُ
حُكْمُهُ الشرعيُّ وإزالةُ الأوهامِ الكامنةِ في أذهانِ
الأغلبيةِ الساحقةِ عن موقفِ الإسلامِ من

الطبِّ، وأنَّ الطبَّ لغيرِ المسلمينَ وليسَ
للمسلمينَ!

٢ - التَّأصيلُ الشرعيُّ للأحكامِ الطبيَّةِ المختلفةِ وذلكَ
يَقْتَضِي جَمَعَ كُلِّ ما كُتِبَ في الطبِّ، والتعاونَ
مَعَ مراكزِ البحوثِ والجامعاتِ الشرعيةِ وأقسامِ
الدراساتِ العُلَيَّا منها، والاقتراحَ عليها بعملِ
رسائلِ جامعيةٍ متخصصةٍ فيما يَنْقُصُ مهنةَ
الطبِّ... فمِثْلُ هذا المقترحِ لو وُزِعَ على
مجموعةِ الجامعاتِ لَأُتِحَتِ المكتبةُ الإسلاميةُ
في وقتٍ قياسيٍّ، رَغَمَ ما تُعانيه من مَسْغَبَةٍ،
ولتَدْفَقَ الزُّلالُ النَّمِيرُ من شَلالاتِها، فيأكلُ
الجائعُ وَيَشْرَبُ الصَّادِي .

٣ - مقاومةُ منظماتِ الطبِّ التي غرَضُها الأساسيُّ
التبشيرُ بغيرِ الإسلامِ في بلادِ الإسلامِ .

٤ - القيامُ بالأعمالِ الإغاثيةِ للمسلمينَ المنكوبينَ .

٥ - كَشْفُ أساليبِ المِلَلِ الأخرى في مُحاربةِ
المسلمينَ وخذاعهم من خلالِ مهنةِ الطبِّ في بلادِ
المسلمينَ، كتلكِ الأعمالِ التي يقومُ بها مَنْ

يُمارسون مهنة الولادة، أو المُخادعة في تحديد الأدوية، أو النَّصْحِ بَبَعْضِ الْعَمَلِيَّاتِ كإزالة الرَّحِمِ أو رَبْطِهِ أو نحو ذلك مِنْ غيرِ ضُرُورَةٍ . . .

٦ - أَسْلَمَةَ مِهْنَةَ الطَّبِّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ سِوَاءَ بِعَمَلٍ مُخَطَّطٍ مُسْتَقْبَلِيٍّ يُخَطَّطُ لَوُجُودِ أَطِبَاءِ مُسْلِمِينَ كَثْرًا، وَرِعَايَتِهِمْ أَوْ دَعْوَةِ الْأَطِبَاءِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَالطَّبِيبُ أَدْرَى بِمَدَاخِلِ أَفْكَارِ أَصْحَابِهِ وَمَخَارِجِهِمْ.

٧ - تَفْعِيلُ هَذِهِ الْمِهْنَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: بِتَقْوِيَةِ عَقِيدَةِ التَّوَكُّلِ عِنْدَ الْمُرْضَى مِنْ خِلَالِ نَشْرَاتٍ وَبِرَامِجٍ مَدْرُوسَةٍ وَمُحَدَّدَةٍ . . . وَهَذَا عُنْصُرٌ مَهْمٌ فِي الشِّفَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

٨ - إِنْشَاءُ مُسْتَشْفِيَّاتٍ أَوْ وَحَدَاتٍ صِحِّيَّةٍ فِي بِلَادِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ الْفَقِيرَةِ ثَابِتَةً وَمُتَحَرِّكَةً . . . فَإِنَّ أَكْثَرَ أَسْبَابِ الْوَفَيَّاتِ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْمُتَخَلِّفَةِ طَبِيبًا هُوَ: الْإِسْهَالُ! وَذَلِكَ لِعَدَمِ وُجُودِ دَوَاءٍ أَوْ عِيَادَةٍ أَوْ صَيْدَلِيَّةٍ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ.

٩ - المساهمة الفاعلة في وضع مناهج تربية الأجيال في المدارس... وهذه النقطة من الأهمية بمكان وهي تحتاج إلى:

أولاً: تنقية المواد الدراسية من المخالفات العلمية من الناحية الشرعية، وما أكثرها!

ثانياً: تأصيل العلوم التطبيقية في الكتب المدرسية بالأصول الشرعية، حتى لا يدخل معلم علماني إلى أذهان الطلبة ما يفسد عليهم عقيدتهم.

ثالثاً: تأليف كتاب منهجي في موضوع الإعجاز العلمي الصحيح للقرآن والسنة بالأسلوب التعليمي، فيه المبادئ الضرورية للطب، وفيه تنمية الذهن وتقوية العقيدة، ويكون كتاباً جديداً بالنسبة للمناهج الدراسية ومستقلاً عن العلوم الأخرى.

رابعاً: يؤسس الإخوة الأطباء مع الأكاديميين في العلوم التطبيقية المنهاج العلمي الصحيح لدراسة وتدريس العلوم التطبيقية دراسة نافعة

وَبِنَاءَ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ .

خامساً: تحبيب ما يكفي من أبناء الجيل لدراسة الطب بحيث تُغطي من ساحة الأمة ما أمكن، وذلك من خلال منهجية واضحة وملتزمة .

وهذه نقاط عمليّة مُحدّدة أخرى تستطيع أيها القارئ الكريم أن تسعى بها إلى من يُنفذها أو تُنفذها معه :

أولاً: مشروع: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

رأيت ثلاثة أشرطة فيديو تقريباً لفضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني - جزاه الله خيراً - كلها تتحدّث عن آيات الله تعالى وأسراره في خلقه مُثبتة التوحيد بالأدلة العلميّة الحديثة، كما عرض الشيخ في حلقات تلفزيونية حوارات له مع بعض أكبر علماء العالم من غير المسلمين كل في تخصصه، وقد كان يسألهم عن حقيقة علمية

مُعِينَةٍ فَيُجِيبُونَ، فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ تَارِيخِ تَوْصُلِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فَيَذْكُرُونَهُ، عِنْدَ ذَلِكَ يُخْبِرُهُمُ الشَّيْخُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى مَا ظَنُّوهُ سَبْقًا عِلْمِيًّا، فَيَسْأَلُهُ الْعُلَمَاءُ عَنِ الدَّلِيلِ عَلَى قَوْلِهِ فَيَذْكُرُ لَهُمُ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَلِّمُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَسَلِّمُ، أَمَا السَّامِعُ فَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يَزِدَادَ يَقِينُهُ.

هذا أنموذج واحد لما يُمكنُ أَنْ يَعْمَلَهُ الْأَطِبَاءُ فِي هَذَا الْمَجَالِ . . . وَأَنْعِمَ بِهِ مِنْ أَنْمُودَجٍ، لَنْ يَعْجَزَ إِخْوَانُنَا الْأَطِبَاءُ عَنْ عَمَلِ مِثْلِ هَذَا بَلْ أَحْسَنَ، وَأَكْثَرَ تَنْظِيمًا، وَأَوْسَعَ تَأْثِيرًا مِنْ هَذَا، كَمَا يُمكنُ الْإِفَادَةُ مِنْ أَصْحَابِ السَّبْقِ فِي هَذَا الْمَجَالِ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الزُّنْدَانِيِّ، وَالدُّكْتُورِ أَحْمَدِ شَوْقِيِّ إِبْرَاهِيمَ، وَالدُّكْتُورِ الْعَلَامَةِ زَعْلُولِ النُّجَارِ وَغَيْرِهِمْ .

وقد كان للحلقات التي بثها الدكتور أحمد شوقي إبراهيم والمسماة «القرآن والعلم» في تلفزيون الكويت أبلغ الأثر في زيادة إيمان الناظرين.

وما هي إلا حَلَقَاتُ أَنْتَجَهَا مَجْهُودٌ فَرْدِيٌّ جَزَاهُ
اللَّهِ خَيْرًا... .

فكيف لو كَانَتْ مِنْ أَهْلِ التَّخْصُّصِ مُجْتَمِعِينَ ،
بِحَيْثُ تُعْمَلُ حَلَقَاتُ عِلْمِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ دَعْوِيَّةٍ مُسَلْسَلَةٌ
وفي مختلف اللغاتِ ، ولعلَّهَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ
تِجَارِيَّةً كَذَلِكَ تُبَاعُ عَلَى مَحَطَاتِ أجنبيَّة
كالمحطاتِ الأمريكيَّةِ وغيرها .

ثانياً: إحياء الطبِّ الشَّرْعِيِّ : لَقَدْ جالَسْتُ العديداً
من إِخْوَانِنَا الأَطْبَاءِ فِي تَخْصُّصَاتِهِمُ المِخْتَلِفَةِ... .
فَذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ عِدَّةَ عِلاجاتٍ ناجِحَةٍ فِي
الطبِّ الحَدِيثِ... . قَدْ وَرَدَ ذِكْرُهَا مِنْ قَبْلُ فِي
الكتابِ والسُّنَّةِ ، فَكانَ أَمراً عَظِيماً... .

ومَعَ هَذَا فَإِنَّ كُلَّ تِلْكَ المَعْلوماتِ بَقِيَتْ
مَعْلوماتٍ فِي أَذْهَانِ أَصْحابِها ثُمَّ أَصْبَحَتْ تَتَناقَصُ
مَعَ الأَيامِ حَتَّى نُسِيَتْ مِنَ المِتَحَدِّثِ والمِستَمِعِ!
فَهَلَّا نَهَضْتَ أَخِي الطَّيِّبَ بِهَذِهِ المَهْمَةِ اسْتِقْرَاءً

وتَحْقِيقاً، وَتَنْقِيحاً وَتَشْبِيحاً، وَتَدْوِيناً، وَإِخْرَاجاً،
وَدَعْوَةً، فَلَقَدْ كَثَرَ الْمُفْتُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ، كَمَا
كَثَرَ الْمُسَيِّئُونَ لِلْإِسْلَامِ فِيهِ!

وَقَدْ آَنَّ لِلْأَطْبَاءِ أَنْ يَقُولُوا كَلِمَتَهُمْ الَّتِي تُظْهِرُ
الْحَقَّ وَتُعْلِيهِ، وَتَزِيدُ يَقِينَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَهْدِي
الْمُرْتَابِينَ، وَتَقْطَعُ أَلْسِنَةَ الْحَاقِدِينَ.

يَالَهُ مِنْ مَدْخَلٍ دَعْوِيٍّ وَاسِعٍ، وَفَتْحٍ عَقْدِيٍّ
كَبِيرٍ، لَمْ يُفْتَحْ بَابُهُ بَعْدُ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ!

لَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ عَلِيَّ الطَّنْطَاوِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ
وَكَانَ مُحِقًّا: «لَقَدْ جَعَلَ الصِّينِيُّونَ لِلْعِلَاجِ بِالْإِبْرِ
الصِّينِيَّةِ دَرَسَاتٍ نِظَامِيَّةً وَشَهَادَاتٍ عِلْمِيَّةً...
وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ رَصِيدٍ إِلَّا التَّجْرِبَةُ التَّارِيخِيَّةُ» اهـ

وَنَحْنُ الَّذِينَ ثَبَّتَ طِبُّنَا بِالْوَحْيِ الَّذِي لَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَى أَهْمَلْنَا مَا عِنْدَنَا...!

فَهَذَا: الْكَيْ، وَهَذِهِ الْحِجَامَةُ، وَتِلْكَ الْحَبَّةُ
السُّودَاءُ وَهَنَّاكَ الْعَسَلُ، وَهَنَا التَّلْبِينَةُ، وَذَلِكَ

القِسْطُ البَحْرِيُّ، وتلك أبوالُ الإِبِلِ وألبانُها، وهذه
إِيَّةُ الكَبْشِ.

أينَ البحوثُ التي كُتِبَتْ فيها؟

أينَ الشهاداتُ التي أُخِذَتْ عليها؟

أينَ مَوْضِعُ هذه العِلاجاتِ في المستشفياتِ، بل
في المدارسِ؟

أينَ الجامعاتُ التي تُدرِّسُ الطَّبَّ الإسلاميَّ؟

أينَ، وأينَ؟

مَنْ سيقومُ بهذه المَهْمَةِ سِوَاكُمْ أَيُّها الأطباءُ
الغَيُورُونَ؟

ثالثاً: إخواننا الأطباء: لَمْ لا يُوجَدُ مَنْ يُنَسِّقُ ما
بينكم وبين إخواننا الإعلاميين! كي تَكشِفُوا
التَّجْهِيلَ الذي يُمارَسُ ضِدَّ الطِّفْلِ المسلمِ . . .
وتكفوناً مؤونةً المبتدئين من الدُّعَاةِ المتَحَمِّسينَ في
هذا المجالِ، الذين حَسُنَ قَصْدُهُم ونَقَصَ عِلْمُهُم،
فاختلَّ عَمَلُهُم، هذا فَضْلاً عَنِ العلمانيِّينَ وأجهزةِ

الإعلام والإلحاديين الذين ساءَ قُضدُهُم وقُبِحَ
عَمَلُهُم؟

لِمَ لا تبتدئونَ عَمَلًا عِلْمِيًّا مَدْرُوسًا ومُتكاملاً،
يَشْمَلُ: التلفزيونَ، والإذاعةَ، والصحافةَ،
والكِتابَ، والشريطَ المسموعَ والمَرئيَّ،
والدواوينَ، والمجالِسَ . . . ؟

لِمَ لا يكونَ لديكمُ أرشيفٌ خاصٌّ لتلكَ البحوثِ
العظيمةِ التي أَظْهَرَتْ أَنَّ الحَقَّ فيما وردَ في دينِ اللّهِ
مِنَ علومِ مادِيَّةٍ كَمَبَحَثِ «السَّوَاكِ بِعُودِ الأَرَاكِ» الذي
كَثُرَتْ البَحوثُ حَولَهُ، وَمَبَحَثُ التداوي بالقرآنِ
الكَريمِ وتأثيره على الجِهازِ العَصَبِيِّ والعُضويِّ . . . ؟

رابعاً: لَقَدْ انتَشَرَ بينَ الناسِ عُموماً وبينَ
المسلمينَ على وجهِ الخِصوصِ كَثيرٌ مِنَ عِلاجاتِ
الشَّعوذَةِ والخُرَافَةِ حَتى اِختَلَطَتْ بعِلْمِ الطِّبِّ كما
اِختَلَطَتْ بالعِلاجاتِ الشَّرعيةِ، والمصِيبَةُ أَنَّ الناسَ
تَلَقَّوْها بِاسمِ الإِسلامِ وَأَنَّها مِنَ الإِسلامِ،
ويُدافعونَ عنها دِفاعَهُم عَنِ الإِسلامِ!

وهذه إنما تُكشَفُ بفريقين ، فريقٍ شرعيٍّ يُظهِرُ
بُطْلانَها مِنَ الناحيةِ الشرعيةِ العَقَدِيَّةِ ، وفريقٍ طِبِّيٍّ
يُثَبِّتُ فَسَلْها الواقعيِّ وأثرَها السَّلْبِيَّ على المريضِ .
لَمْ لا تحملُ أيُّها القارئُ هذه الفكرةَ وتطيرُ بها إلى
إخوانِكَ الأطباءِ ، وترعاها بنفسِكَ حتى ترى
ثمرتها . . ؟

أنا لَمْ أتحدَّثْ عَن إنشاءِ مُستشفياتِ مُستقلَّةٍ -
لِلأدويةِ والعلاجاتِ الشرعيةِ - وذلكَ لِأَنَّا ما زلنا
في ابتداءِ الطريقِ ، ثُمَّ لِأَنَّ واقِعَ المستشفياتِ
والعياداتِ الشَّعبيةِ الموجودةِ واقِعٌ يُرثى له ، فلا
مقارنةَ إطلاقاً ما بينها وبينَ المستشفياتِ الحديثةِ !

بينما الحقيقةُ أَنَّهُ لا فاصلَ بينَ هذا الطبِّ
الحديثِ وبينَ الطبِّ الشرعيِّ إذا ما بُنيَ الجميعُ
على القواعدِ العِلْمِيَّةِ المعروفةِ ، فالعِلْمُ حقٌّ
للجميعِ ونحنُ أساسُهُ ، فإذا ما خَطَوْنَا هذه
الخطوةَ في التصحيحِ على جميعِ المستوياتِ التي
ذكَرناها . . . أصبَحَتِ الخَطَواتُ الأخرى قادمةً

وعلى أوسع نطاقٍ بإذنِ اللهِ تعالى .

نعم إنها فكرةٌ كبيرةٌ، وربما عسيرةٌ . . . لكنّها عند أصحابِ الهِمَمِ العاليةِ يسيرةٌ وحبيبةٌ .

إخواننا الأطباءُ : إذا رأيتمُ أنّ أحداً سواكم يكفيكم إنشاءً هذا الغراسِ العظيمِ ورعايتهِ ويكفي الإسلامَ والدعوةَ إليه في هذا الجانبِ فاتركوه . . . أما وقد رأيتمُ أنّ هذا الشأنَ من أخصّ خصائصِكُم فلا تُفَرِّطُوا فيما أوْتُمِنْتُم عليه ولا تُضَيِّعُوا دَعْوَةَ اللهِ، والمرجُو منكم أكثرُ من ذلك بكثيرٍ .

إنّ المرجُوّ من اللهِ تعالى ثمّ منكم أن تُعيدوا علمَ الطبِّ برُمَّتِهِ إلى بلادِ المسلمينَ وذلك بإنشاءِ المستشفياتِ العالميةِ في بلادنا، وكذلك مراكزِ الاكتشافاتِ والإبداعاتِ الطبيّةِ والعلميةِ وتجعلوا مقرّاتها في بلادنا، كما تجعلوا حقولَ التجاربِ وكائنا تِه عندنا، على أن لا يقتصرَ وجودُ هذه المستشفياتِ العالميةِ على الجانبِ التجاريِّ أو العلاجيِّ، بل لابدَّ من نقلِ العلمِ لأهلِ البلادِ

الإسلامية إِمَّا بِاحْضَارِ عِلْمَائِهِمْ لِيُعَلِّمُوا وَيَعْمَلُوا
 بِحَيْثُ يَمْتَصُّ عِلْمَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ أَبْنَاؤُنَا مِنْ
 أَطِبَاءٍ وَطَبِيبَاتٍ، وَمُمْرَضِينَ وَمُمْرَضَاتٍ وَعَامِلِينَ
 وَعَامِلَاتٍ، لَا أَنْ يَعَالِجُوا وَيَتَاجَرُوا ثُمَّ يَرْحَلُوا.

وأخيراً فلا يزال الواحد منا يُلاقِي في حياته
 الكثير من علماء مسلمين في مختلف علوم
 الطبيعة مَنْ يَحْمِلُ مِنَ الْغَيْرَةِ الْمُتَعَاظِمَةِ الْمُتَوَقِّدَةِ،
 بِشَوَاهِدٍ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَدِيثَةِ الْقَاطِعَةِ
 الشَّاهِدَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الدِّينَ هُوَ الْحَقُّ . . .

وَكَمْ تَسَاءَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي مُرَدِّدًا: مَنْ يَجْمَعُ
 هَذِهِ الشَّوَاهِدَ . . . !؟!

إِنَّهَا وَاللَّهِ لِكَثْرَتِهَا لَا تَكَادُ تُغَادِرُ حُكْمًا شَرْعِيًّا إِلَّا
 وَقَدْ ظَهَرَ فِيهِ لِلْعُلَمَاءِ الطَّبِيعِيِّينَ أَوْ التَّقْنِيِّينَ شَاهِدٌ
 حَقٌّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى . . .

حَتَّى إِنَّكَ لَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْتَقْرِيءَ أَدْلَةَ الْوَحْدَانِيَّةِ
 فِي الْوَضُوءِ وَحْدَهُ لَرُبَّمَا بَلَغْتَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ دَلِيلٍ،
 وَبِنَاءٍ عَلَى هَذِهِ الْقِنَاعَةِ أَخَذْتُ كِتَابًا مُخْتَصَرًا فِي فِقْهِ

الحديثِ وأعطيتهُ أخي الدكتور «لطفي» وأخي
الدكتور أبا أحمد «محمد» وذلك لتوافق
اهتمامهما مع اهتمامي، وهدفهما مع هدفي مع
زيادةٍ في إخلاصهما وغيرتهما. . . ومن قَبْلُ كان
لي مثل ذلك مع أخي الدكتور «أبي محمد» عبد
الله، والذي هو أساس الكتابة له وللأطباء وسببها.

لكن ماذا يعني جُهدُ فردين أو ثلاثةٍ في موضوع
كبيرٍ مُتَشَعَّبِ العلوم، ومُتَشَعَّبِ التطبيقاتِ . . . آياته
لا تنتهي أبدَ الأبدين . . .

إنَّ هذا الجانبَ يزيدُ المؤمنينَ يقيناً، ويزيدُ
الدعوةَ انفتاحاً وقبولاً، ويزيدُ الدُّعاةَ حُجَّةً
وَمَضَاءً، ويرفعُ لواءَ الدعوةِ في ساحاتٍ لم يُرْفَعِ
فيها مِنْ قَبْلُ كساحاتِ المُختبراتِ، والمصانعِ،
وميادينِ العلمِ الحديثِ والعلماءِ . . .



الغِراسُ الثالثُ عَشَرَ

غِراسُ الأُمَّهات

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ الأمّهات

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ
الله صلى الله عليه وسلم فقال: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟
قال: «أُمَّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أُمَّكَ»
قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أُمَّكَ» قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال:
«ثُمَّ أَبُوكَ». رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم برقم
(٢٥٤٨)، واللفظ له.

غراسُ الأمّهات

الأمُّ هي أمُّ الصدقاتِ الجاريةِ، ومَصْنَعُ السُّنَنِ الحَسَنَةِ، ذلكَ أَنَّها المتفَرِّغَةُ في مجالِ رَحْبٍ، وأَرْضِ خِصْبَةٍ، حيثُ وَفَرَةُ البَذْرِ، وَوَفَرَةُ المَاءِ، في أجواءِ تحكُّمها وتتحكُّمُ بها...

كيفَ لا وهي صاحبةُ اللَّبَنِ، وصاحبةُ الحِجْرِ، وصاحبةُ القَلْبِ، وصاحبةُ السَّرِّ... وإن شئتَ قلتَ إنها القائدةُ من غيرِ تاجٍ..

إنها الصوتُ الأوَّلُ الذي يستيقظُ عليه الابنُ، والصوتُ الأخيرُ الذي عليه ينامُ... وبينَ ذلكَ معاناةٌ، وحياةٌ كاملةٌ.

أيتها الأمُّ: إذا كنتِ تُحِبِّينَ ابنَكَ حقًّا، وتُحِبِّينَ زَوْجَكَ وأُسْرَتَكَ، وتُحِبِّينَ جَمَعَتَهُمْ... فلتَعْمَلِي على تحقيقِ الاجتماعِ الذي لا فِراقَ بعده، اجتماعِ الخلودِ في دارِ النعيمِ:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١].

فما الذي يُمكنُ أن تَصْنَعَهُ الأُمُّ مِنْ صدقاتِ جارياتٍ!؟..!

أَيْتُهَا الأُمُّ: اِعْلَمِي أَنَّ فراقَ الدنيا واقعٌ لا محالة كما قالَ جبريلُ في وصيَّته لرسولِ اللهِ ﷺ: فعن سهلِ بنِ سعدٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: جاءَ جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: «يا مُحَمَّدُ عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاَعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَاَعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيامُ الليلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»^(١).

فهل تستحقُّ هذه الدارَ الاختلافَ والتقاتلَ عليها في العَمَلِ!؟..!

هل تستحقُّ أن تكونَ هَدَفًا وِغايَةً!؟..!

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨) بإسناد حسن ، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٨٢٤).

عليك أن تعلمي - قَبْلَ البَدْءِ بِذِكْرِ غراسِ
الصدقاتِ الجارية - أَنَّهُ ما لَمْ تُصْبِحِ الأُمُّ والأَبُّ
يداً واحدةً على البرِّ والتقوى في التربية فإنَّ كُلَّ
ما يَبْنِيهِ أَحدهُما يَهْدِمُهُ الأخرُ. . .

وعليه فإنَّ العائقَ الأعظمَ في التربية هو: فُرْقَةُ
الأبِّ والأُمِّ في داخلِ البيتِ الواحدِ مِنْ غيرِ
طلاقٍ، ومادَّةِ الخِلافِ ومَوْضوعه عادةً هُم الأبناءُ
ذاتهم!

فما بينَ العاطفةِ والحِزمِ، وما بينَ العطاءِ
والأخذِ، وما بينَ الاستجابةِ والمَنعِ، وما بينَ
العقوبةِ والعَفْوِ، تَشْتَدُّ الخِلافاتُ، فَيَضِيعُ الوَقْتُ،
ورُبَّمَا يَضِيعُ الأبناءُ. . . !

وإنَّ أوَّلَ خَطْوَةٍ تَخْطِينَهَا - أيتها الأُمُّ - في
الطريقِ الصحيحِ أنْ تَتنازلي عن أهدافِكِ
ووسائلِكِ غيرِ الشرعيَّةِ كالجِريِّ وراءِ الدنيا،
ومُنافسةِ القريناتِ بالمَظاهرِ الزائفةِ، فإنَّه بِمقدارِ
الاهتمامِ بالمَظاهرِ الجَوْفاءِ بِمقدارِ ما تكونُ الغَفْلَةُ

عَنِ الْآخِرَةِ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرًا جَمِيلًا
﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ
اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨
- ٢٩].

● وإليك بعض صور الغراس الباقي من باب التربية
العملية:

أولاً: تربية الأبناء على برّ أبيهم وتحويل هذا
البرّ إلى ممارسات عملية كطاعة أمره، وتحسّس
مواطن مرّضاته، ومحبّته، وتقبيل يده ورأسه،
وما إلى ذلك...

وهذا أيتها الأمُّ يَصُبُّ في جانبِ بَرِّك من بابِ
أولى . . .

وإنَّ من تعويدِ الأمِّ الأبناءَ على البرِّ العمليِّ هو
أنَّ تَقْبَلَ بَرَّهُم إذا بَرَّوها بأَيَّةِ صُورَةٍ مِنَ الصُّورِ، بل
تُظهِرُ لَهُم قيمَتها الكُبرى، وإن كَانَتْ قُبْلَةً أو هَدِيَّةً
بِفلس .

ثانياً: مقاومة أسباب الهدم وأساليبه الجارفة: إنَّ
جُرْعَةَ الحِضَانَةِ التي يَنْبَغِي أَنْ تُرْضِعَهَا الأمُّ أولادها
لا بدَّ أن تكونَ مُرَكَّزَةً وقويَّةً . . . فبينما كان
المجتمعُ من قَبْلُ يُعِينُ على إصلاحِ الولدِ
وتربيتِهِ، فإنَّ الحالَ قد انعكسَ تماماً . . . فخلطةُ
الشارعِ، وخلطةُ المدرسةِ، وخلطةُ الناديِ،
وخلطةُ السوقِ، وخلطةُ السينما . . . وهي في
الأغلبِ الأعمِّ . . . معاولُ هدمٍ .

أما الراديو والتلفزيون والصحافةُ، فإنَّها تيارٌ
جارِفٌ ولا يُمكنُ للمواعظِ النَّظريَّةِ أَنْ تُصدِّ هذا
التيارَ . . . ولا بدَّ من المواقفِ العمليَّةِ التي يَنْبَغِي

على الأم أن تحرصَ عليها كثيراً... وإن طال الانتظار فإنها أعظمُ بناءً في صرحِ الغراسِ الباقي...

● ثالثاً: التربية بالمواقفِ العمليَّة:

١ - الحرصُ على صلاةِ الجماعةِ في المسجدِ كالحرصِ على الدوامِ المدرسيِّ على الأقلِ لمن كان حريصاً عليه .

٢ - الوقايةُ منُ صُحبةِ السُّوءِ بالمبادَرةِ بانتقاءِ الصُّحبةِ الصالحةِ، وأكثرُ ما يُفِيدُ في هذا هو الأبُ .

٣ - انتقاءِ أشرطةِ الكاسيتِ وأشرطةِ الفيديو المناسبةِ والنافعةِ لهم .

٤ - مواصلتُهُم بالكتيّباتِ الحديثةِ من قصصٍ، ومعلوماتٍ، وعُلومٍ، واكتشافاتٍ علميَّةٍ حديثةٍ .

٥ - الرِّحلاتُ العائليَّةُ الخلوِيَّةُ المسليَّةُ والنافعةُ .

٦ - تعويدُ المصارحةِ التامةِ، وهذا من أنفعِ الأمورِ .
فلا بدَّ للابنِ منِ جلسَاتٍ ثنائِيَّةٍ معَ الأمِّ ومعَ الأبِّ يُفْضِي بها لِلأَبَوَيْنِ بما في قلبِهِ، وبأخبارِهِ،

بل وبأسراره... حتى لا يصبح البيت
كالمدرسة ولا الأم كالمدرّسة .

٧ - إثراء جو البيت بالمسابقات الشرعية المدفوعة
بالحوافز من غير التربية على الطمع .
نعم إنها نقاطٌ متعددة، ولعلك تستكثرينها،
ولكنه البناء العظيم، بناء الذرية الصالحة!
ومع هذا فإنّ النقاط أضعاف ذلك .

● رابعاً: إحياء مجالات مهجورة:

من المجالات المهجورة لدى عموم الأمّهات
التي ينبغي على الأم أن تطرّقها كصدقة جارية
تنفع بها نفسها وغيرها...

الأول: مجال الكتابة:

إنّ المادة التربوية التي يُمكن للأم الكتابة فيها
مادة ضخمة للغاية، وكل ما تحتاجه الأم فرز
تلك الأكوام من التربويّات وتحويلها - بإذن الله
- إلى صدقات جارية منظمّة .

ولنَّ أعتبرَ الأمَّ - هنا - ذاتَ ثقافةٍ علميَّةٍ عريضةٍ بحيثُ تستطيعُ التَّأليفَ والإبداعَ في العلومِ التربويَّةِ أو الشرعيَّةِ، وإنما يكفي لذلك أن تكونَ المرأةُ قادرةً على القراءةِ وشيءٍ من التعبيرِ، ولا بدَّ للتعبيرِ من ممارسةٍ ومراجعةٍ .

وهذه بعضُ مجالاتِ الكتابةِ لإنشاءِ صدقاتٍ جاريةٍ، ومنها:

تسجيلُ التجاربِ النافعةِ سلبيةً كانت أو إيجابيةً، سواءً في ذلك تجاربُك الشخصيةُ أو غيرها لكنَّ دونَ فُضْحِ النفسِ أو إحراجِ جاراتِك ومعارفِك، فما أجملَ التجربةَ الواقعيَّةَ إذا صيغتُ بأسلوبٍ سلسٍ ومؤثِّرٍ، ومن ذلك قصصُ: العُقوقِ، وتركِ الصلاةِ، والجزاءِ من جنسِ العملِ .

ومنها مجالُ الأخلاقياتِ وهو مجالٌ رحبٌ للنساءِ، كما أنَّ ذكْرَه من الأهميَّةِ بمكانٍ، فإنَّ من المعلومِ أنَّ أكثرَ ما يُؤثِّرُ في النساءِ هو المحاكاةُ، فإذا ما سُجِّلتْ أخلاقياتُ النساءِ الطيبةُ كانَ لها

أبلغ الأثر، فمن ذلك :

(أ) قصة صبرِ امرأةٍ واحتسابِها ولدَها وزوجَها لله تعالى .

(ب) قصةُ تعفُّفِ امرأةٍ حسناء على المُغرياتِ رَغَمَ حاجَتِها الماديةِ الشديدةِ وتتابعِ التَّوائبِ عليها .

(ج) قصةُ ثباتِ امرأةٍ على البلاءِ رَغَمَ التعذيبِ والتشريدِ لها ولأولادِها وزوجِها من بلدِها .

(د) قصةُ تعويضِ الله عزَّ وجلَّ امرأةً لصبرِها على شراسةِ خُلُقِ زوجِها بالأبناءِ الصالحينَ، ثمَّ بهدايةِ الأبِ .

(هـ) قصةُ استقامةٍ مُنحرفٍ على يدِ زوجته بعدَ صَبْرٍ طويلٍ .

الثاني : مَجالُ الخادِماَتِ :

وهذا مَجالٌ مِنَ الأهميةِ بِمَكانٍ، لِكِنَّهُ مَجالٌ مَهجورٌ في أَكثَرِ أساسياتِهِ، ويُمْكِنُ أَنْ نَسْتَدْرِكَ الكَثيرَ منها بِإنشاءِ : مَجلسِ إصلاحِ الخادِماَتِ .

● مَجْلِسُ إِصْلَاحِ الْخَادِمَاتِ :

كثيراً ما تَأَلَّمْتُ وأنا أَسْتَمِعُ إلى قِصَصِ مِنَ
الأَصْحَابِ والسَّائِلِينَ تَحْكِي حِيَلَ خَادِمَاتِهِمْ
وسَائِقِي سَيَّارَاتِهِمْ، وَقِصَصِ رُؤْيَا الْخَادِمَاتِ
مُتَزَيِّنَاتِ كَالْمَرْأَةِ فِي لَيْلَةِ عُرْسِهَا، وَقِصَصِ خُرُوجِ
الْخَادِمَةِ مُنْفَرِدَةً مُتَجَمِّلَةً مِنَ الْبَيْتِ، وَقِصَصِ
إِدْخَالِهَا الرِّجَالَ الْأَجَانِبَ لِلْبَيْتِ بَعْدَ نَوْمِ أَهْلِ
الْبَيْتِ . . !

لَقَدْ اسْتَعْرَبْتُ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ، وَزَادَ اسْتِعْرَابِي
حِينَ رَأَيْتُ بَعْضَ الْإِخْوَةِ الدَّعَاةِ يَشْكُونَ ذَاتَ
الشَّكْوَى، وَخَادِمَاتِهِمْ وَسَائِقُوهُمْ مُسْلَمُونَ . . !

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَرَى الْعِلَاجَ مُوَحِّدًا أَلَا وَهُوَ ضَرْبُ
الْخَادِمَةِ أَوْ تَسْفِيرُهَا فَوْرًا بَعْدَ تَسْلِيمِهَا لِلجِهَاتِ
الْأَمْنِيَّةِ فِي الْبِلَادِ، أَوْ إِعَادَتِهَا لِمَكْتَبِ الْخَدَمِ الَّذِي
أَتَى بِهَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ . !

وَحِينَ تَحَقَّقْتُ مِنَ الْأَمْرِ مَعَ بَعْضِ الْإِخْوَةِ قَالَ
لِي مَقُولَةٌ جَعَلَتِ الْغِشَاوَةَ تَنْجَلِي عَنْ عَيْنِي،

وشعرْتُ بعِظَمِ جُزْمِي حينَ لَمْ أَفَكِّرْ بِحَلِّ آخِرٍ . . .
لَقَدْ قَالَ باختصارٍ ووضوحٍ: «يا أخي هذا شيءٌ
عاديٌّ عندهم . . .!»

إنها الحقيقةُ، إنه ليسَ بحَرَامٍ عندهم، وإن كان
حراماً فهُم يَعُدُّونَهُ كالعادةِ السَّرِيَّةِ بالنسبةِ للشبابِ،
فَضْلاً عَن أَنَّهُ مفيدٌ لهم، حيثُ فيه كَسْبُ رِزْقٍ،
وهنَّ ما جِئْنَا إِلَّا مِن أَجْلِ الرِّزْقِ . . .!

لَقَدْ حاولْتُ عندها أَنْ أَسْتَحْضِرَ أَيَّ كِتَابٍ كُتِبَ
بشكلٍ خاصٍّ عَن زِنَا الخادِماتِ، مُوجَّهٍ بصورةٍ
خاصةٍ للخادم وللخادمة، قَدْ كُتِبَ بِلُغَتِهِمَا
وطَبِيعَتِهِمَا وظُرُوفِهِمَا أَياً كَانَتْ . . . فَلَمْ أَجِدْ ذَلِكَ
الكتابَ . . .

فقلتُ ما أعظمَ خَطِيئَتَنَا حينَ تَرَكْنَا أسبابَ الزنا
تأخذُ طريقها للوقوعِ فيه . . . فإذا ما وَقَعَتْ
غَضِبَ أَحَدُنَا وأسرعَ للشرطةِ، ومكتبِ
الخدَمِ . . .!

مع أَنَّا لَمْ نُعَلِّمُهُمْ وَلَمْ نُزْهِبْهُمْ وَنُرْغِبْهُمْ وَنُقِمَّ

عليهم الحُجَّةَ، وَلَمْ نُبَلِّغُهُمْ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ نَتَابِعْهُمْ عَلَى ذَلِكَ... فَضْلاً عَنْ أَنْ نُحَوِّلَهُمْ إِلَى دَاعِيَاتٍ .

وَهُنَا بُوَدِّي أَنْ أُقَدِّمَ لِلأَمْهَاتِ مُقْتَرِحاً شَامِلاً لِمِثْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، ذَلِكَ هُوَ تَكْوِينُ مَجْلِسِ نِسَائِي اسْمُهُ: «مَجْلِسُ إِصْلَاحِ الخَادِمَاتِ» فَإِنَّهُ مِنَ الأَهْمِيَةِ بِمَكَانٍ .

فإِصْلَاحُ الخَادِمَاتِ إِقَامَةٌ لِلحُجَّةِ عَلَيْهِنَّ، وَهُوَ فِي حَقِيقَتِهِ إِصْلَاحٌ لِأَوْلَادِنَا وَصِغَارِنَا وَبِيُوتِنَا، وَفِيهِ حِمَايَةٌ لِأَمْوَالِنَا، وَسَلَامَةٌ لِطَعَامِنَا، وَهُمْ حَسَنَةٌ جَارِيَةٌ لَنَا... .

وَمَهْمَةٌ هَذَا المَجْلِسِ تَتَلَخَّصُ فِيمَا يَأْتِي :

أولاً: التعلِيمُ وَالتَهْيِئَةُ وَالإِعْدَادُ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مَخَاطَبَةِ أَهْلِ العِلْمِ وَأَصْحَابِ الأَقْلَامِ المُصْلِحَةِ بِالكَتَابَةِ لِلخَادِمَاتِ فِي المَوَاضِعِ المُلِحَّةِ وَالعَاجِلَةِ بِطَرِيقِ الخِطَابِ المَبَاشِرِ لِلخَادِمَاتِ

والخَدَمَ، دونَ واسطةِ الزوجِ أو الأبِ أو الأمِّ،
والتكفُّلِ بطباعتها بعد ترجمتها ثمَّ توصيلها.

ثانياً: تهيئةُ أجواءِ البيوتِ لإصلاحِ الخادِماتِ
وحمایتِهِنَّ.

ثالثاً: نَشْرُ العِلْمِ الذي لا يُعَدَّرُ المسلمُ بجهله
بينَ الخادِماتِ المسلماتِ، ابتداءً بـ (لا إله إلا
الله) وانتهاءً بإماطةِ الأذى عن الطريقِ، ورُبَّما
يحتاجُ هذا إلى معهدٍ صغيرٍ أو نحوه، وإلى
مُدَرِّسينَ ومُدَرِّساتٍ بُلِّغْتِهِنَّ، وكلُّ هذا وغيره
مُيسَّرٌ - بإذنِ اللهِ تعالى - إذا أَحَسَّسْنَا بالواجبِ
وأرَدْنَا الإِعْذارَ إلى اللهِ تعالى وإقامةِ الحُجَّةِ.

رابعاً: انتقاءِ المُتميِّزاتِ مِنْهُنَّ لِمزيدِ العنايةِ بهِنَّ،
كَي يُبَلِّغْنَ دَعْوَةَ اللهِ في مجالِهِنَّ، وفي بلادِهِنَّ في
الأوساطِ المُسلمةِ، وغيرِ المُسلمةِ.

● مجالُ علاجِ جهالاتِ المرأةِ:

وَمِنَ المَجالاتِ المَهْمَةِ لِلأُمَّ الداعيةِ هِيَ: علاجُ
جهالاتِ المرأةِ، ولا تكفي في ذلكَ الجهودُ

الفردية، فلا بد من عملٍ جماعيٍّ هادفٍ . . . وهنا يأتي الغراس بإنشاء مجلسٍ لعلاج جهالات المرأة وليكن اسمه مناسباً إذ لا يزال الرجلُ يُفاجأ كلَّ يوم بمفاجآتٍ كبيرةٍ تفضح جهلَ كثيرٍ من النساء في أمورٍ شرعيةٍ لا ينبغي أن تجهلها المسلمة في المجتمع المسلم عموماً، والعربي على وجه الخصوص .

ولكن من امتد نظره خارج حدود المدينة وجدَّ الجهالات في القرى مُضاعفةً، فإذا زاد امتداده إلى بلادٍ عربيةٍ أُخرى وإلى قرأها وبواديها وصعيديها وجدَّ أنَّ الجاهليات هناك عميقة الجذور، ومُتوارثة من عهود الجاهلية الأولى . . . ! والمصيبة في كلِّ هذا أنَّ النساء المسلمات قد تحوَّل أكثرهنَّ إلى مُدافعاتٍ عن تلك الجاهليات وداعياتٍ لها، ومُتواصياتٍ بينهنَّ بالصبر عليها . . . وفوق كلِّ هذا فإنَّ المتعلمات من البنات يرثن الكثير منها . . . !

فلهذه الأسبابِ وغيرها استوجِبَ الأمرُ إنشاءً
 مجلسٍ نسوي في كلِّ بلدٍ ومدينةٍ وقريةٍ . . . لقطعِ
 مَوروثاتِ الجاهليةِ، واجتثاثِها من جذورها .
 كما أرى أنَّ على المجلسِ أن يجعلَ لَهُ لَجَنَةً
 استشاريةً شرعيةً تُؤَصِّلُ المواضيعَ تَأْصِيلاً
 شرعيّاً، مِنْ خلالِ النظرِ في أبوابِ العلمِ
 الشرعيِّ باباً باباً، وذلكَ بعدما تستقصي اللَجَنَةُ
 التَّسْوِيَةَ كُلَّ المخالفاتِ الشرعيةِ مِنْ مَيدانِها
 الخاصِّ . . .

وَمِنْ بابِ الإِعاَنَةِ على ذلكَ، بوَدِّي أن أَضَعَّ هنا
 بعضَ تلكَ الجهالاتِ الخاصَّةِ بالمرأةِ مما تتهاونُ
 فيه الكثيراتُ منهنَّ لعلَّ فيها إِعاَنَةٌ لهذا المجلسِ :

الجهالةُ الأولى : جهالاتٌ في التعاملِ مع
 الصغارِ، ومنها عَدَمُ تعليمِهم آدابَ قضاءِ
 الحاجةِ، وسترُ العورةِ، والنومُ في فراشٍ واحدٍ
 وتحتَ لحافٍ واحدٍ، والتهاونُ في كَشْفِ عوراتِ
 الأطفالِ بعضهم أمامَ بعضٍ .

الجهالة الثانية: تَرُكُ خِتَانِ البِنَاتِ عَلَى أَنَّهُ مُنْكَرٌ
وَبِدْعَةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَخَاتِنَةِ
نِسَاءِ الْأَنْصَارِ أُمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَا تُنْهَكِي، فَإِنَّ
ذَلِكَ أَحْظَى لِلْمَرْأَةِ وَأَحَبُّ إِلَى الْبَعْلِ»^(١).

الجهالة الثالثة: إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ بَعْدَ دُخُولِ
وَقْتِ الصَّلَاةِ تَرَكَتْ فَرِيضَةَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلَمْ
تَقْضِهَا إِذَا طَهَّرَتْ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِرَأْيِ جَمْهُورِ
أَهْلِ الْعِلْمِ.

الجهالة الرابعة: حِينَ تَدْخُلُ الْمَرْأَةُ السُّوقَ مَثَلًا
وَلَمْ تُصَلِّ الْعَصْرَ فَإِنَّهَا تَتْرُكُهَا حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ
الْمَغْرِبِ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَتْ فِي سَفَرٍ، فَتَجْمَعُ
الْفُرُوضَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ بِحُجَّةٍ أَنَّهَا فِي سَفَرٍ،
وَمِثْلُ هَذَا التَّهَاوُنِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ حِينَ تَتَهَاوَنُ
فِيهَا حَتَّى تُشْرِقَ الشَّمْسُ وَذَلِكَ كُلُّ يَوْمٍ.

(١) رواه أبو داود (٥٢٧١)، كتاب الأدب، باب ما جاء في
الختان، وصححه الألباني.

الجهالةُ الخامسةُ: الجهلُ بقراءةِ سورةِ الفاتحةِ، فإنَّ من أعظمِ البرِّ بالأمّهاتِ إنشاءً معهدٍ قرآنيٍّ متخصصٍ بهذا الجانبِ، ومن أقبحِ الجهلِ جهلُ الأمِّ بقراءةِ القرآنِ - مع نجاحِ العديدِ من التجاربِ في تعليمِ الكُبيراتِ قراءةَ القرآنِ الكريمِ مِنَ الْمُصْحَفِ - وهذه مصيبةٌ لا يَنْجُو منها إلا أقلُّ القليلِ مِنَ النساءِ، علماً بأنَّ النبيَّ ﷺ يقولُ: «لا صلاةَ لِمَن لَمْ يقرأ بفاتحةِ الكتابِ»^(١).

الجهالةُ السادسةُ: موتُ الكثيراتِ منهنَّ دونَ حجِّ بيتِ الله، مع تحقُّقِ جميعِ الشروطِ وانتفاءِ جميعِ الموانعِ!

الجهالةُ السابعةُ: التهاونُ في الدَّيمومةِ على الصدقةِ، علماً بأنَّ هذه هي المنقذةُ لهنَّ من أعظمِ خَطَرِ يتهدَّدُهنَّ، وهو النارُ، وقد قالَ النبيُّ

(١) رواه البخاري (٧٥٦) كتاب: الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم (٣٩٤)، كتاب الصلاة، [باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة].

«تصدَّقْ فَإِنِّي أُرِيْتُكَ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» (١).

الجهالة الثامنة: كثرة تمني الموت لأي ضرر نزل بهنّ، وكثرة السُّخْطِ والضَّجَرِ مِنْ أَيْسَرِ الْأُمُورِ عِنْدَهُنَّ، والدعاء على الأولاد والزوج، وعلى النَّفْسِ، وكثرة اللَّعْنِ، وكُفْرَانِ الْعَشِيرِ، والبَطْرُ بالنِّعَمِ، وكذا الخروج عن الحدود الشرعية عند الفَرَحِ.

الجهالة التاسعة: إنكار أمور معلومة من الدين بالضرورة، وأول ذلك هو جواز تعدد الزوجات، وليس هذا موطن بحث هذا الموضوع، فأنا أعلم أنّ ذلك الأمر كفيلاً بنسف هذا البحث كله عند الكثير من النساء، وما هذا إلا دليل جهل المنكرات منهنّ، فما نتحدث فيه ونُنكِرُ عليه هنا هو تحوّل هذه القضية العمليّة إلى قضية عقديّة . . .

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم. ومسلم (٧٩)، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات.

فبعضُ النساءِ تُنكِرُ جوازَ التعددِ مِنْ أساسِهِ،
ومنهنَّ مَنْ تَسَخَطُ على القَدَرِ وتُنكِرُ التشريعَ
بتَجْويزِهِ إذا تزوَجَ زَوْجُهَا عليها، ومِنْهنَّ مَنْ
تَسَعَى جاهدةً لِتَطْلِيقِ ضَرَّتِهَا، عِلْمًا بأنَّ مَنْ فَعَلَتْ
ذَلِكَ فَهِيَ ملعونةٌ، ومِنْهنَّ مَنْ تُفْسِدُ ولَدَهَا على
زَوْجِهَا، وأمورٌ أُخْرَى كثيرةٌ مِنْها ما يَدْخُلُ في
العقيدةِ، ومنها ما يَدْخُلُ في الكَيْدِ العظيمِ والإثمِ
الكبيرِ .

كلُّ تلكِ الآثامِ وَغَيْرِها تَدْخُلُ على المرأةِ مِنْ
بابِ الجهلِ في استخدامِ الغَيْرَةِ، ويزيدُ ذلكَ
تكاثُرُ النساءِ المُفْسِداتِ المُخَبَّباتِ على الناصحاتِ
المُصْلِحاتِ، نَعَمْ إِنَّ مِنْ أعظمِ أسبابِ تكاثرِ
الوقوعِ فيما ذكُرْتُ مِنْ جهلِ المرأةِ وَعَصَبِيَّتِها في
هذا الأمرِ هو ما تُشاهِدُهُ مِنْ ظُلْمِ الأزواجِ
المُعَدِّينَ للزوجةِ الأولى، وليسَ فيما ذكُرْتُ عن
الزواجِ مُسَوِّغٌ لهؤلاءِ الظَّلمةِ مِنَ الأزواجِ فيما
يفعلونَ .

الجهالة العاشرة: الجهلُ بالأحكام الخاصةِ بالمرأة، كأحكامِ الخَلوةِ والحَموِ، وأحكامِ المَحْرَمِ والسَّفَرِ، وأحكامِ ما يجوزُ للمرأةِ إظهارُهُ وما لا يجوزُ، وأحكامِ الخَدَمِ والخادِماتِ، وأحكامِ ما يَمْنَعُ وصولَ الماءِ إلى البَشرةِ في الوضوءِ وما لا يَمْنَعُ مِنَ الأصْباغِ، وأحكامِ الحيضِ والنِّفاسِ، وأحكامِ كثيرةٍ أخرى.

الجهالة الحادية عشرة: الإفراطُ في الحدادِ على الزوجِ والاستنادُ إلى جاهلياتٍ ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطانٍ .

إن الواقعَ هو الاقتصارُ على الجُهدِ الفرديِّ في هذا الميدانِ، ولذلك بَقِيَ وسيبقى ضعيفًا، بينما التيارُ النسويُّ العامُّ أكبرُ من أن يُواجهَ بجُهدِ فرديٍّ قائمٍ على اجتهادٍ شخصيِّ .

إنَّ هذه المؤسساتَ ليستُ هي المؤسساتَ الوحيدة التي نحتاجُها في الميدانِ النسويِّ، وما ذكرتها إلا من بابِ التمثيلِ، ولأهميتها، وإلا فإنَّ

الحاجة كبيرة، والهجمة على المرأة متواصلة، وما ينبغي لنا أن ننتظر حتى تقوم المؤسسات الحكومية بإصدار قرارات رسمية بإنشاء مثل هذه المؤسسات.

● الثالث: مجال القَصَص:

ما أكثر القَصَص الواقعية المؤثرة لديك أيتها الأم والزوجة والبنت في هذا المجال، وما أكثر ما سمعت منها من غيرك، وما أنفع تسجيل تلك القَصَص ومنها:

١ - قَصَصٌ تحكي تعذيب الخادِمات من الأمهاتِ الظالماتِ بالطرق الغريبة العجيبة، وكلُّها قَصَصٌ واقعيةٌ ذهبَ ضحيَّتها الكثير، فكانت ردة الفعل فوق تحيُّلِ الأم، فمن ذلك: (وضع الخادِمة السَّم لأهل البيت، شواءً رضيع في الفرن، إحراق البيت، البول في الطعام).

٢ - قَصَصٌ تُبينُ تعليم الخادِماتِ المشركاتِ أطفال المسلمين عبادة الصليب، أو الأصنام وإفساد فطرة الأطفال.

٣ - حوادثُ اكتشافِ خادِماتٍ يَعْمَلْنَ كَجَوَاسِيسَ لدوائرِ استخباراتِيَّةٍ مُعَادِيَةٍ .

٤ - فضائِحُ إِغْرَاءِ خادِماتٍ لِأسيادِهِنَّ حتَّى وَقَعُوا فِي شَرَكَهِنَّ فَكَانَ الطَّلَاقُ لِرَبَّةِ البَيْتِ ، وَكانَ شَتَاتُ الأُسْرَةِ وَمِنْ ثَمَّ انْحِرَافُ الشَّبَابِ بَعْدَ إِغْرَائِهِمْ مِنْ قَبْلِ الخادِمَةِ ، فَكانَتِ الخادِمَةُ هِيَ أَساسَ الانْحِرَافِ .

٥ - مَاسِي تَحَوُّلٍ مَحَبَّةِ الأَبْناءِ - الأَطْفالِ - مِنْ الأَمْهاتِ إِلى الخادِماتِ ، وَتَعَلُّقِهِمْ بِهِنَّ مِمَّا نَتَجَّ عَنْه أضرارٌ كَبيرَةٌ جَدًّا ، مِنْها : ضَعْفُ البِرِّ ، اِكْتِسابُ أَخلاقِيَّاتِ الخادِماتِ ، تَكْسُرُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ وَكَثْرَةُ اللَّحْنِ فِيها ، تَعْظِيمُ الكافِراتِ . . .

٦ - شواهِدُ تحكي خَطَرَ تَكَاثُرِ الخادِماتِ عَلَي الأُسْرَةِ ، بَلْ عَلَي المَجْتَمَعِ .

٧ - هُنْكَ بَعْضُ الذِّكُورِ مِنْ الخَدَمِ أَعْرَاضِ المُسَلِّماتِ . . .

٨ - شِيوَعُ الفَواحِشِ بَيْنَ الخَدَمِ وَالخادِماتِ فِي البَيْتِ الوَاحِدِ وَالْحَيِّ الوَاحِدِ . . .

٩ - وَقَصَّصْ أُخْرَى تَحْمِلُ الْجَوَانِبَ الْإِيجَابِيَّةَ مِنْ حَيَاةِ
الخدمِ والخادِماتِ فِي البيوتِ وَالْعَمَلِ ؛ كَالْأَمَانَةِ
وَحِفْظِ الْعَهْدِ وَحُسْنِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّضْحِيَةِ
وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ وَالذِّكْرِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ .
وَشَيْئاً فَشِيئاً سَيَكُونُ عِنْدَكَ الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ مِمَّا تَغْرِسِيهِ
لَكَ وَلِأَخْوَاتِكَ الْمُسْلِمَاتِ وَلِأَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ حِينَ
تُقَدِّمِينَهُ بِأَسْلُوبٍ قَصْصِيٍّ شَيِّقٍ ، وَلِسَانٍ حَالِكٍ
يَقُولُ : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢] .

● الرابع : مجال الدعوة :

سأذكرُ مجالاتِ دَعْوِيَّةٍ قَامَتْ بِهَا أُمَّهَاتٌ
وَأَثَمَتْ جُهُودُهُنَّ أَيَّاماً ثَمَرَ فَمِنْ ذَلِكَ :

١ - «أم محمد» أمُّ اقْتَنَتْ جِهَازَ تَسْجِيلٍ سَرِيعٍ ،
فَهِى تَنْتَقِي مِنَ مَكْتَبَاتِ التَّسْجِيلَاتِ أَجُودَ الْأَشْرَطَةِ
الشَّرْعِيَّةِ وَخُصُوصاً مَا يَتَعَلَّقُ مِنْهَا بِمَوَاضِعِ الْمَرْأَةِ
أَوْ الْمَوَاعِظِ الْبَلِيغَةِ ، فَتُسَجَّلُ كَمِيَاتٌ وَتوزَعُ
بِسَخَاءٍ عَلَى النِّسَاءِ ، فَجَزَاهَا اللَّهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ .

٢ - أم جعلت من الخادِمات اللاتي عندها داعيات، فقد فرضت عليهنّ دروساً في مركز دَعْوَةٍ حتى تَخْرُجْنَ، فكنّ مشعلَ هدايةٍ في حيّهنّ .

٣ - وهذه أمّ عاقرٌ مولعةٌ بالأطفال . . . حولت هذا الولعَ إلى غراسٍ باقٍ حين خصّصت وقتها لتربية الأطفال، فمن مجرد عاطفةٍ إلى أن جعلت من بيتها حضانةً لأطفال المسلمين وخصوصاً العاملات منهنّ، وقد انتخبت بعضَ العاملاتِ المسلماتِ لمساعدتها في القيام بحاجياتِ الطفل والتنظيف، ونحو ذلك . . . بينما تفرغت هي ومُسلمتانِ صالحتانِ لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم بعضِ الآدابِ الشرعية . . . فكانت بذرةً، أرجو الله تعالى لها ولمشيلاتِها الخيرَ كلَّ الخير . . . وهذه الفكرة رَغَمَ بساطتها إلا أن فائدتها جليلةٌ على كلِّ المستويات . . .

ومن تأملَ تركيزَ النصارى على افتتاح الحضاناتِ الكثيرة في بلادِ المسلمين عرفَ قدرَ الخطرِ الذي يُواجهُ الطفلَ المسلمَ، كما عرفَ مقدارَ الأملِ

الذي يُعلِّقُه المُنصرونَ على الحضاناتِ والحاضناتِ، إنّ فكرةَ حضانهٍ مُتخصّصَةٍ تُوفِّرُ على الأمِّ جُهدًا، وعلى الأُمّةِ جيلًا.

وأخيرًا . . . فَمَنْ تَأَمَّلَ مقدارَ التأثيرِ السلبيِّ الفاعلِ الذي تتركُه الخادِماتُ والمربّياتُ في البيوتِ على أطفالِ المسلمينِ وخصوصاً أطفالِ المسلماتِ العاملاتِ مِنْهُنَّ، عرفَ أهميّةَ هذه الحضانهِ، ومَنْ تَأَمَّلَ ما خَرَجَتْ به علينا بعضُ المسلماتِ في طُولِ العالمِ الإسلاميِّ وعَرَضِهِ، مِنْ أنديّةٍ ومراكزٍ مُنحَلَّةٍ، وأفكارٍ دَخيلَةٍ حتى أَصبَحَتْ تلكَ النساءُ مَطِيَّةً اُمْتَطَى ظَهْرَها شياطينُ الشَّرْقِ والغَرْبِ ودخلوا مِنْ خِلالِها إلى هذا الحِصْنِ الحصينِ، وصرَّحوا باسمِها وقرَّروا نيابَةً عنها . . . مَنْ عرفَ ذلكَ عرفَ أهميّةَ انشغالِ النساءِ عُمومًا وهذا النوعِ مِنْهُنَّ على وجهِ الخصوصِ بِمِثْلِ هذا المشروعِ العظيمِ ذي الأثرِ البعيدِ .

فكيفَ لو تطوَّرتْ هذه الحضانهُ إلى روضةٍ ذاتِ هدفٍ بِمِثْلِها مَدروسٍ بعنايةٍ . . . إنّها بذرةُ الخيرِ تغرسينها .

الغراسُ الرابعَ عشرَ

غراسُ الأطفال

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ الأطفالِ

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥].

عن عُمَرَ بنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ ، وَكُلُّ بَيْمِينِكَ ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ . رواه البخاري (٥٣٧٦).

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ : يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ : «أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ ، أَحْفَظُ اللَّهَ تَجِدُهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» . رواه الترمذي (٢٥١٦) ، وصححه الألباني .

غراسُ الأطفال

● إثارةُ الهمةِ . . . وتوجيهُ القصدِ أولاً :

أخي المرَبِّي، أخي وليَّ الأمرِ : لا بدَّ مِنْ أَنْ
تغرسَ في ضميرِ الطفلِ : «الدافع» أولاً، ثم
تعودُهُ «الوسيلة» . . . أما الدافعُ فَإِنَّهُ الأجرُ، وأما
الوسيلةُ فَإِنَّهَا الحركةُ النافعةُ . . .

وإليك صياغتها في صورةٍ حقيقيةٍ :

خرجَ الوالدُ مع ولده «حامد» في سيارتهِ مِنْ بيتهِ
صباحاً، وفي الطريقِ قالَ الوالدُ لولده :

أنظُرْ إلى الحركةِ الدائبةِ في الشوارعِ في هذا
الوقتِ الباكرِ . . . أنظُرْ إلى السياراتِ المُنْطَلِقةِ،
إلى العمَّالِ الجادِّينَ، إلى المحلَّاتِ التي تَفْتَحُ
أبوابها، إلى المارَّةِ العابرينَ . . . انظرِ إلى الطيرِ
الذي غدا مِنْ قَبْلِنَا . . . بل وانظرْ داخلَ نَفْسِكَ،
القلْبُ ينبضُ، والدماءُ تجري، والأفكارُ تدورُ،

والمَعِدَّةُ، العَيْنُ، والإفْرَازَاتُ، وكلُّ شيءٍ .

هذه الحركة لَنْ تتوقفَ إلا بالموتِ، وهذه
الحركة هِيَ طبيعَةُ الحياةِ، وهي صفةُ الإنسانِ
الحيِّ . . . ولكنْ؛ سَلْ نَفْسَكَ هذا السؤالَ:

لكل واحدٍ مِنْ هؤلاء المتحركين هدفٌ حينَ
يتحرَّكُ، وينطلقُ نحوَه . فما هدفي أنا . . .؟!
اجْعَلْ هدفَكَ الأجرَ، ثُمَّ انطلقْ، وجَرِّبْ . . .
ثم تحرَّكْ حركةً نافعةً .

سنذهبُ الآنَ إلى المكتبِ: إذا كُنْتَ ستجلسُ
غافلاً ساهياً على الأريكةِ فكأنَّكَ لَسْتَ مِنْ
الأحياءِ، لأنَّكَ خالفتَ طبيعَةَ الحياةِ التي رأيتها
قَبْلَ قليلٍ . . .

ولكنْ؛ اذهبْ إلى أواني الشايِ مثلاً
فاغسلها . . . وسَلْ نَفْسَكَ: لماذا أفعلُ هذا؟

ما هدفُكَ مِنْ هذهِ الحركةِ . . .؟!!

هدفي هو الأجرُ، لأنَّ في ذلك حركةً نافعةً فيها

مرضاةً والدي، وتنظيفُ مكتبي، وتربيةُ نفسي، وإكرامُ الضيفِ .

وهذه حركةٌ نافعةٌ أخرى :

خُذِ الْمِكْنَسَةَ وَاكْنَسِ الْمَحَلَّ، وَاْمْسَحِ الْمِنْضَدَةَ،
وَالزُّجَاجَ . . . وَسَلْ نَفْسَكَ : لِمَاذَا؟

ما هدفك من هذه الحركة . . . ؟!

لأنني أبتغي أجراً آخرَ من حركةٍ نافعةٍ
أخرى . . .

إذا رأيتَ أحداً في المكتبِ يريدُ حاجةً فانهضْ
وأحضِرْها، أو أوصلها له دونَ انتظارٍ طلبٍ
منه . . . وهكذا . . .

سَلْ نَفْسَكَ : لِمَاذَا . . . ؟!

لأنك تتحركُ بطبيعتك، فلمَ لا تجعلُ حركتكَ
للهِ فتحصلَ على الأجرِ . . . ؟

وهكذا في كلِّ حركةٍ .

أخي وليّ الأمرِ : إن استطعتَ أن تَضْبِطَ النيةَ في

حركة الطفل المميز فقد حَقَّقَتْ إنجازاً عظيماً،
ذلك أنَّ المِيزةَ في الأطفالِ هي الحركةُ
المتزايدةُ . . . وأيُّ شيءٍ أحسنُ من حركةِ الطفلِ
بِنِيَةِ الأجرِ والإصلاحِ . . .؟

ولدي: سأسيرُ معكَ في هذا الصباحِ خَطْوَةً
فَخَطْوَةً، فانظُرْ كَمْ مِنْ غراسٍ باقٍ تستطيعُ عَرَسَهُ؟

١ - لَمْ لا تجعلُ في بيتِكَ أكثرَ مِنْ صندوقٍ
للصدقاتِ الجاريةِ على أن يضعَ كلُّ طفلٍ فيه
جُزءاً مِنْ مَضروفِهِ اليوميِّ، أو مما يجدهُ
الإنسانُ، وهو ينوي بذلك الأجرَ، ويستحضرُ
أحوالَ إخوانِهِ المسلمينَ المحتاجينَ، وأيتامَهُم،
ومُجاهديهِم وحاجيَّاتِهِم؟ . . . وهذا الصندوقُ
موجودٌ في بيْتِهِ، في غرفَتِهِ . . . فهو يُثيرُ عندهُ
النِّيَّةَ الصادقةَ، والنُّصرةَ الدائمةَ في كلِّ وقتٍ .

٢ - والدَاكُ: لَمْ لا تبدأُ تعاملَكَ معهما كلَّ يومٍ
بتقبيلِ رَأْسَيْهِمَا بعدَ السلامِ عليهما، والتبَسُّمِ في
وَجْهَيْهِمَا، وتأتي لهما كلَّ يومٍ بعبارةٍ ترحيبٍ

وتوقيرٍ جديدةٍ . . . فهذه عندهما أحسنُ من أحسنِ
باقيةِ زهورِ فَوَاحَةٍ .

٣ - القرآنُ الكريمُ : لِمَ لا تحفظُ كلَّ يومٍ أكثرَ
من آيةٍ ، أو تقرأُ كلَّ صباحٍ رُبْعَ جُزْءٍ على الأقلِّ ؟

٤ - الرسولُ ﷺ قد علّمنا أدعيةً نافعةً حافظةً ، لِمَ
لا تأخذُ كُتَيْباً مُختصّاً بها ، فتحفظُ منه كلَّ يومٍ دعاءً ،
فلا يمرُّ عليك شهرٌ ، إلا وقد حَفِظْتَها أو أَغْلَبَها . . ؟

٥ - الكُتَيْبُ الإسلاميُّ : لِمَ لا تقرأُ كلَّ أسبوعٍ كتاباً
أو قصةً ، وأنا أعرفُ طفلةً تقرأُ كلَّ يومٍ ما بينَ الكتابِ
والكِتابينِ . . . نعم كلَّ يومٍ . . والكتابُ الواحدُ لا
يُنْقُصُ عن خمسينَ صفحةً . . !

٦ - الكمبيوترُ : لِمَ لا تتعلّمُ فنّه ، وتتعلّمُ
الطباعةَ عليه حتى تستطيعَ طباعةَ الخيرِ ونشره لك
ولغيرك . . . سواءً كان ذلك كتاباً أو نشرةً أو
قصيدةً أو نصيحةً أو أمراً بالمعروفِ أو نهياً عن
المنكرِ ، أو تخزيناً للعلمِ الشرعيِّ أو تصنيفاً أو
فهرسةً أو نحو ذلك . . ؟

تنبيه: بعض الآباء يظنون الحديث عن طلب العلم الشرعي مُقتصرًا على الذكور... فلا يتبادرُ إلى أذهانهم إمكانية تكوين عالمةٍ أو عالماتٍ من بناته... والحقيقة أنَّ هذه النظرة من الجاهلية بمكان، كما أنَّها تُخفي وراءها شيئاً من الجهل بالإسلام، وشيئاً من الرياء وحبِّ المباهاة... فإنَّ المباهاة بالعلم تحصلُ بالأولاد بخلاف البنات... فهم الخطباء وهم المفتون، وهم المتصدرون... إذن فهم المذكورون والمشهورون، كما هو الشأن في الجاهلية الأولى ولكن بصياغة شرعية..!

والحقُّ أنني أرى اليوم أننا في أشدَّ الحاجة لعالماتٍ من النساء، فبالإضافة إلى أنهنَّ مركزُ إصلاح المجتمع وسرُّ عودته، فإنهنَّ الأقدَرُ على اقتحام النصف المهجور من المجتمع، كما أنَّ الحرية الممنوحة لهنَّ أكبرُ بكثيرٍ من الحرية الممنوحة للرجال، وعلى هذا فإنَّ إمكانية تكوين

عالِماتٍ ومصلحاتٍ منهنَّ أكبرُ.

ولنا في مكانةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ودورها في مجتمعِ الصحابةِ ومرجعيتها بعدَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرُ بُرْهانٍ .
تُوفِّيَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولعائشةُ ثمانيةَ عَشَرَ عاماً، وعاشتْ بعده قريباً من خمسينَ سنةً، فأكثرَ الناسُ الأخذَ عنها، ونَقَلُوا عنها مِنَ الأحكامِ والآدابِ شيئاً كثيراً حتى قيلَ إِنَّ رُبْعَ الأحكامِ الشرعيةِ منقولٌ عنها، فعن أبي موسى الأشعريِّ قال: «ما أشكلَ علينا أصحابَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديثٌ قطُّ، فسألنا عائشةَ إلا وجدنا عندها منه علماً»^(١).

وقال موسى بنُ طلحةَ: «ما رأيتُ أحداً أفصحَ مِنْ عائشةَ»^(٢).

لقد وَهَبَها اللهُ تعالى ذكاءً حاداً، وذاكرةً قويةً،

(١) رواه الترمذي (٣٨٨٣) في كتاب المناقب - باب من فضل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وصححه الألباني.

(٢) الترمذي (٣٨٨٤) في كتاب المناقب . باب من فضل عائشة ، وصححه الألباني .

وحفظاً سريعاً . . .

فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

ومع كلِّ هذا الذي ذكرتُ - وما لم أذكره أضعافُ ذلك - إلا أنَّ أحسنَ صدقةٍ جاريةٍ يُقدِّمها الطفلُ المسلمُ وتُقدِّمُ له، إنما هي بناؤه البناءَ العلميَّ الشرعيَّ حسبَ منهجٍ شرعيٍّ مُتدرِّجٍ ومُؤَصِّلٍ . . .

فالصدقةُ الجاريةُ الكبرى هي الصدقةُ الجاريةُ التي تُفرِّخُ الصدقاتِ، وتُنشئُها، هي الطفلُ ذاته، فإذا صلحَ أمرُه علمياً وخُلُقياً فأبشِرْ يا وليَّ الأمرِ

(١) رواه البخاري (٣٧٦٩) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بصدقاتٍ جارياتٍ لَمْ تحسِبْ لها حساباً، ستجدها
إذا طُوِيَتِ الصُّحُفُ بالموتِ، وإذا نُشِرَتِ الصحفُ
للحسابِ... بإذنِ اللَّهِ تعالى...

عزيزي الطفلَ المسلمَ: إنك تستطيع أن تؤدِّي
هذا الدورَ كلَّه وزيادَةً...

ولدي العزيز: ابتكر طريقة مؤدبة، مؤثرة تجعل
فيها أباك يترك التدخين... رسالةً تخاطبه
فيها... كتباً مؤثراً تُهديه إليه...

ولدي العزيز: كُنْ عاملَ توفيقٍ وإصلاحٍ دائمٍ في
بيتك، في كلِّ خلافٍ يَنشُبُ في أُسرتك وخصوصاً
إن كانَ بينَ أبويك... ولا تَتَنظَرُ أن يُطَلَبَ منك
التدخلُ...!

ولدي العزيز: يومَ أن تكونَ معَ والدك في
السوقِ ذَكَرَهُ بأنَّ يشتري هديةً لوالدتك، وهكذا
يومَ أن تكونَ معَ والدتك...

ولدي العزيز: سَلْ نَفْسَكَ: مَنْ مِنْ أَصْحَابِكَ

مَمَّن يترك الصلاة استطعت أن تجعله يُصَلِّي؟ مَنْ مِنْهُمْ كَانَ يتهاونُ في محارمِ اللَّهِ فتركها على يديكَ؟ مَنْ مِنْهُمْ تَرَكَ الخُلُقَ الرديءَ واستبدله بالخُلُقِ الحَسَنِ؟ مَنْ مِنْهُمْ تركَ الكلامَ البذيءَ واستبدله بالكلامِ الطيبِ؟

وباختصار: ما مدى تأثيرك الإسلامي فيهم؟

احذر يا ولدي أن تكونَ إمعةً... إن أحسنوا أحسنت معهم، وإن أساؤوا أسأت...

فهذه طائفةٌ أغلب أصحابك!

ولدي العزيز: كم كتاباً قرأت هذا الأسبوع...

بل هذا العام...؟!!

لعلك تخجل من ذكره لقلته ونُدْرته...

إذن: فكم كتاباً تنوي قراءته هذا الأسبوع...؟!!

ولدي العزيز: أرايت فقرات هذا الموضوع

الأول، إنك تستطيع أن تطالب ولي أمرك بأدب

جم بكل فقرة من فقراته...

ولدي العزيز: هل صارحتَ نفسك بهذا

السؤال:

لماذا أدرسُ في المدرسة . . ؟

هل تدرسُ لوظيفةٍ تحصلُ فيها على مركزٍ

مرموقٍ . . ؟!

أم على مُرتَّبٍ عالٍ . . ؟!

أم على طموحٍ دُنْيَوِيٍّ . . ؟!

أم أنك تدرسُ لِتُخَدَمَ دِينَكَ، ويكونَ عِلْمُكَ

وَمَنْصِبُكَ سِلاحاً لِنُصْرَةِ الإِسْلامِ . . . وسبيلاً إلى

مرضاةِ اللَّهِ . . . وسيفاً في نَحورِ مَنْ يُريدُ السوءَ

بِكَ وبأُمَّتِكَ ووطنِكَ . . ؟!

لماذا يبقى دَوْرُكَ سَلْبِيًّا . . . فأنت تُحاولُ دائماً

أَنْ تُحافظَ على نَفْسِكَ وإيمانِكَ مِنَ الزَّلَلِ، ولا

تُحاولُ أَنْ تَتقدمَ لِتَنْهَى عَنِ المنكَرِ بالحِكمةِ

والموعظةِ الحسنةِ، وإلا فإنَّ الغِلظةَ والخِصامَ

والمشادَّةَ أمرٌ طَبِيعِيٌّ في الطِفْلِ عادةً، سواءً كان

ذلك في بيتك أم في مدرستك، أم في الأسواق .
وأخيراً . . . فإني أسألُ قارئَ هذا الموضوعِ
مجموعةَ أسئلةٍ، تاركاً الإجابةَ فيها لكدهِ وفكرِهِ،
وسَعِيهِ وجُهدِهِ، بعدِ إعانةِ اللهِ تعالى له . . . فكلُّ
سؤالٍ يفتحُ نوافذَ وأبواباً لا تُعدُّ ولا تُحصَى :

- (أ) كيف يُمكنُ أن نجعلَ أطفالنا يكبرونَ أقرانهم
من خلالِ مشاريعِ اجتماعيةٍ عامةٍ وليستَ
خاصةً بالأسرة؟!!
- (ب) كيف يُمكنُ أن يكبروهم من ناحيةِ التَّصوُّرِ
والفهمِ الصحيحِ والبعيدِ .؟!!
- (ج) كيف يُمكنُ أن يكبروهم من الجانبِ العِلْمِيِّ،
بحيثُ يكونونَ فاعلينَ اجتماعياً، فاعلينَ في
أنفسِهِم وفي أقرانِهِم، وبني مُجتمعِهِم . . . سواء
كانَ هؤلاءِ الأقرانُ مسلمينَ أم كافرينَ، يعرفونهم
أم لا يعرفونهم . . .؟!!
- (د) كيف يُمكنُ أن يكبروهم من الجانبِ الخُلُقِيِّ
والأدبِيِّ، وهذا يتأتَّى من خلالِ الممارسةِ
الاجتماعيةِ العامةِ في صورةِ مشاريعِ صحيحةٍ؟!!

● (هـ) كيف يُمكنُ أن يكبروهم من ناحية العِلْمِ الشرعيِّ أو العِلْمِ الآخِرِ، وذلكِ مِنْ خِلالِ التأسيسِ القويِّ الصحيحِ، ثم التخصُّصِ المبكِّرِ، والمبكِّرِ جدًّا؟!!

وسوفَ نبحثُ هذه النقطةَ بالتفصيلِ في الجزء الثاني من كتابنا: [غراسُ أهلِ العِلْمِ] لكنَّ الجوابَ ينبغي أن لا يكونَ بحجْمِ الولدِ الصغيرِ الذي هو موضوعُ هذا الغراسِ... لا بل هو من أكبرِ المواضعِ، كما ينبغي أن يكونَ جواباً منهجياً من محطاتِ تربويةٍ إعلاميةٍ متخصصةٍ للطفلِ إلى:

- مشاركاتٍ اقتصاديةٍ للطفلِ .
- بناءٍ سياسيٍّ صحيحٍ وأصيلٍ للطفلِ .
- مشاركاتٍ إداريةٍ قياديةٍ عمليَّةٍ للطفلِ .
- تأسيسٍ شرعيٍّ صحيحٍ للطفلِ .
- مختلفِ مجالاتِ الحياةِ .

أَغْرِسَةُ هَيْئَاتِ مَنَافِعِ الْمَجْتَمَعِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ هيئاتِ منافعِ المجتمع

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
[الأنبياء: ١٠٧].

عن جابرٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ: «المُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ». رواه الدارقطني في (الأفراد) وحسنه الألباني، انظر السلسلة (٤٢٦).

غِرَاسُ هَيْئَاتِ مَنَافِعِ الْمَجْتَمَعِ

● مَقْدَمَةُ الْهَيْئَاتِ :

لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَبْلُغَ مَا نُرِيدُ فِي هَذَا الْغِرَاسِ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ عَلَى أَعْلَى مُسْتَوَى وَأَوْسَعِ نِطَاقٍ . . . إِلَّا بِإِحْدَاثِ تَحَوُّلٍ صَغِيرٍ فِي عُمُقِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَسْلَمَةِ يُثْمِرُ تَحَوُّلاً عَظِيماً عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ ، فَتُصْبِحُ الْعَقْلِيَّةُ وَهِيَ تَسْتَقْبِلُ الْكَلِمَةَ النَّبَوِيَّةَ الْوَارِدَةَ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ جَاهِزَةً لِتَصُوعَ مِنْهَا - فِي لَمَحِ الْبَصْرِ أَوْ بَعْدَ غَوْصٍ فِي الْفِكْرِ - هَيْئَةً بَرُمَتِهَا ، أَوْ مُؤَسَّسَةً كَامِلَةً ، أَوْ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ .

إِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَجَاوُزِ الْعَقْلِيَّةِ الْفَرْدِيَّةِ الْمَتَوَقِّفَةِ عِنْدَ حُدُودِ التَّطْبِيقِ الشَّخْصِيِّ .

عِلْمًا بِأَنَّ أَصْلَ الْعَمَلِ الْجَمَاعِيِّ عَمَلٌ فَرْدِيٌّ ، وَيَسْبِقُ الْإِنْطِلَاقَ الْمَجْتَمَعِيَّ - عَادَةً - تَطْبِيقُ

فردِي . . . إِنَّ أَوَّلَ ذَلِكَ كُلِّهِ فِكْرَةٌ تَسْتَقَرُّ فِي عَقْلِ فَرْدٍ يُفَكِّرُ بِعَقْلِ فَرْدٍ، أَوْ يُفَكِّرُ بِعَقْلِ جَمَاعَةٍ، أَوْ عَقْلِ قَرْيَةٍ، أَوْ عَقْلِ مَدِينَةٍ أَوْ عَقْلِ بَلَدٍ، أَوْ عَقْلِ أُمَّةٍ . . . فَالْعَقُولُ أَوْعِيَةٌ تَصْغُرُ وَتَكْبُرُ بِحَسَبِهَا، لَكِنِهَا مَهْمَا كَبُرَتْ فَإِنِهَا سَتَجِدُ أَنَّ الْكَلِمَةَ الْقُرْآنِيَّةَ أَوْ النُّبُوَّةَ أَكْبَرُ مِنْهَا، وَأَنَّهَا تَفِيضٌ عَلَى مِقْدَارِهَا مَهْمَا اتَّسَعَ كَمَا تَسِيلُ الْأَمْطَارُ عَلَى مَقَادِيرِ الْأُودِيَةِ: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

فإذا تجاوزَ المسلمُ الطريقةَ الشخصيةَ الفرديةَ في التفكيرِ والتلقِّي والتفعليلِ والإنتاجِ، وأعادَ تأملَ جُلِّ الأحاديثِ «بالفكرِ الأوسعِ والأبقى والأَنْفَعِ» فإنه سوفَ يرى أَنَّ بإمكاننا أَنْ نخدمَ كتابَ اللَّهِ تعالى وسُنَّةَ النبي ﷺ خِدْمَةً لَمْ يَسْبِقْ لَهَا مِثْلٌ فِي عَصْرِ التردِّي هذه، من حيثِ التطبيقِ، وسوفَ يرى أَنَّ بإمكاننا أَنْ نُنشِئَ مَوْسَسَاتٍ عَظِيمَةً تَفِيضُ بِالْخَيْرِ

على العالمين، ولأصبحت هذه المؤسسات أقرب الصُّورِ لتحقيقِ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وذلك مِنْ خِلالِ إنْشاءِ المؤسساتِ الكَثيرةِ والتي تُعْطِي كلَّ مجالاتِ الحياةِ، وكلَّ مؤسسةٍ منها تَنْشَأُ - أساساً - مِنْ نَصِّ صحيحٍ أو كَلِمَةٍ ثابتَةٍ مِنْ كَلِمَاتِ الوحيِ أَحْسَنًا تَلْقِيهَا كما أَحْسَنًا تَفْعِيلُهَا وصياغَتُهَا فِي الحياةِ العَمَلِيَّةِ .

إِنَّ لَدِينَا بُدُورًا - هِيَ تِلْكَ الكَلِمَاتُ فِي تِلْكَ النُّصُوصِ - فَمالْنَا لا نَغْرِسُهَا فَنَجْعَلُ مِنْهَا أَشْجارًا عَظِيمَةً أَصْلُهَا ثابِتٌ وَفِرْعُها فِي السَّماءِ؟!!

ولدينا أمطارٌ غزيرةٌ فمالْنَا نَتعاملُ مَعها كَقَطراتٍ ولا نَجْعَلُ مِنْها حِياضًا عَظِيمَةً، وَسُدودًا كَبيرةً، وَبِحيراتٍ تَقومُ عَلَيْها حِياةٌ بِلادٍ وَأُمَّمٍ بِأَكْمَلِها..؟! ولدينا أَحجارٌ كَثيرةٌ، فمالْنَا نَتْرِكُها هَكَذا ولا نَصْنَعُ مِنْها سَدًّا تَقومُ عَلَيْهِ الحِياةُ..؟!!

أنا لا أريدُ أَنْ أَلْقنَ القارئَ مَشاريعَ مُؤَسَّسِيَّةٍ مِنَ الآياتِ وَالأَحاديثِ، لَكِنْ بُوَدِّي أَنْ أَتْرِكَ القارئَ

المكرمَ يُقَعِّدُ في ذهنه التفعيلَ المؤسسيَّ وإن شئتَ
قلتُ الفكرَ الأُمِّيَّ لتلك النصوصِ عندَ تناوله
للكتابِ والسُّنةِ في أيِّ مكانٍ وأيِّ زمانٍ . . .

وتطبيقاً عملياً لهذا الأمرِ العظيمِ، أرجو من
القارئِ المكرمِ أن يقرأ كتاباً من كُتُبِ السُّنةِ، أو
كتاباً مُتَخَصِّصاً في الترغيبِ والترهيبِ وفضائلِ
الأعمالِ، وليُنظِرْ كيفَ سَتَنْفَرِجُ أمامَ عينيه
الآفاقَ، وتتفَجَّرُ بينَ يديه الأعمالُ الكُبرى . . .
ولا بأسَ أن أضربَ لذلكِ مثلاً في مفرداتِ
حديثِ واحدٍ: فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله
قال: «يُضْبِحُ على كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ
صدقةً، فكلُّ تَسْبِيحَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تَحْمِيدَةٍ
صدقةٌ، وكلُّ تَهْلِيلَةٍ صدقةٌ، وكلُّ تَكْبِيرَةٍ صدقةٌ،
وأمرٌ بالمعروفِ صدقةٌ، ونَهْيٌ عن المنكرِ صدقةٌ،
ويُجْزَى من ذلكِ ركعتانِ يركعُهُما مِنَ الضُّحَى» ^(١).

(١) رواه مسلم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب
استحباب صلاة الضحى .

إِنَّ الْكَثِيرَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَوْسَسَاتِ الْكُبْرَى كَامِنَةٌ
 فِي بُدُورِ حَيَّةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
 تَنْتَظِرُ مَنْ يَنْتَقِيهَا وَيَسْقِيهَا حَتَّى تُصْبِحَ مَوْسَسَاتٍ
 يَعْمُ الْبَشَرِيَّةَ نَفْعُهَا، وَيَعْمُ صَاحِبَهَا أَجْرُهَا،
 وَالْمُؤْمِنُ تَحْتَ ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...
 فُلْيُوسَعُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ ظِلِّهِ مَا يَشَاءُ.

الغراس الخامس عشر

غراسُ هيئةِ الشافعيْنَ

العيون الساقية... لغراس هيئة الشافعين

﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ .

عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: «أرخص النبي ﷺ في رقية الحية لبني عمرو» قال: أبو الزبير: وسمعت جابر بن عبد الله يقول: لدغت رجلاً منا عقرباً، ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ، فقال رجلٌ يا رسول الله! أرقي؟ قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل» .

رواه مسلم (٢١٩٩)

غراسُ هيئةِ الشافعيّ

● ضرورةُ الفكرة:

حوائجِ الناسِ بابٌ مفتوحٌ لا يُمكنُ إغلاقُهُ،
 والسَّعيدُ مَنْ جَعَلَهُ اللهُ باباً لحوائجِ الناسِ،
 وشَرَّفَهُ بَوَجْهِهٖ مقبولٍ يُقدِّمُهُ لقضاءِ حوائجِ الناسِ،
 ورَفَعَهُ عَن أَنْ يسألَ بهِ الناسُ حاجةً لنفْسِهِ .

وقد اتسَعَتْ بلادُ المسلمينَ، وقلَّتِ المعرفةُ
 والثقةُ، وأصبَحَتْ حاجةُ الناسِ أكبرَ مِنْ أَنْ
 يسُدَّها فردٌ أو أفرادٌ.

ولو أننا انتَقينا مِنْ هذهِ الوجوهِ الكريمةِ في كلِّ
 بلدٍ ومدينةٍ وقَرْيَةٍ وحيٍّ وجوهاً خاصةً، جمعناها
 في مؤسسةٍ واحدةٍ غايتها السَّعيُّ في قضاءِ حوائجِ
 الناسِ، وأسميناها: «مؤسسةُ الشفاعةِ المقبولة»،
 أو «شفعاءُ الخير»، أو «شفاعةُ الدنيا» أو «مؤسسةُ

الشافعين» أو نحو ذلك من أسماء، ثمَّ جعلنا لهذه المؤسسة إدارةً مُستقلَّةً تُقدِّمُ لها طلباتُ الشفاعةِ مِنْ قِبَلِ المحتاجين، ويُنظَرُ في كلِّ طلبٍ على حِدَةٍ، ثمَّ تُعْرَضُ الطلباتُ المقدَّمةُ على مجلسها مع لقاءاتٍ شخصيةٍ، ما بين أفرادِ اللّجنةِ «الشفعاء» وما بين صاحبِ الحاجةِ، فإن وافقت عليه اللّجنةُ كان أمامها واحدٌ من ثلاثة خياراتٍ لقضاءِ حاجةِ المحتاجِ:

أولها: توجيهُ صاحبِ الحاجةِ بنفسه إلى المكانِ المطلوبِ مع كتابٍ خاصٍّ من الهيئة.

والثاني: قضاؤها عن طريقِ المراسلِ أو المُمثِّلِ .

والثالثُ: أن يذهبَ بعضُ الشفعاءِ بنفسه لقضاءِ حاجةِ هذا المحتاجِ من الوزارةِ المَعيّنةِ أو المؤسسةِ أو الشركةِ أو المحسِنِ أو نحو ذلك .

فضابطُ ذلكَ هو قضاءُ حاجةِ المحتاجِ بكلِّ طريقٍ مشروعَةٍ .

● منافعُها:

أولاً: كما تُقدِّم هذه اللّجنةُ لأهلِ الحاجيّاتِ حاجيّاتِهِمَ فإنَّها تُعفُّهُمَ عن طَرَقِ أبوابِ الناسِ وردِّ وجوهِهِمَ، وتُحَمِّي أهلَ العِزَّةِ والشرفِ المنكوبينَ . . . من الإهانةِ .

ثانياً: تكونُ ملاذاً آمناً لأصحابِ المؤسساتِ والشركاتِ والدوائرِ والوزاراتِ ممَّن لهم حاجةٌ إلى موظفينَ من مُختلفِ المستوياتِ، وذلكَ لأنَّ طالبَ الوظيفةِ مُزَكَّى من قِبَلِ هذه اللجنةِ الثقةِ .

ثالثاً: تُخفِّفُ من ظاهرةِ التسوُّلِ التي فَشَّتْ في كثيرٍ من المجتمعاتِ الإسلاميةِ . . . فكثيراً ما نجدُ من هؤلاءِ المتسوِّلينَ شباباً قادرينَ على العملِ لكنَّهُمَ يمتهنونَ التسوُّلَ، فالحلُّ هو بالتحويلِ على هذه اللجنةِ للتحققِ من مُصدقيَّتِهِمَ، وقضاءِ حاجياتِهِمَ، أو التحذيرِ منهم إذا اقتضى الأمرُ ذلكَ .

رابعاً: فيها حمايةٌ لدينِ العديدِ من الناسِ الذين

يعملون تحت مسئولين غير مسلمين، وحاقدين على الإسلام، ممن إذا أسلم واحد من موظفيهم طردوه من عمله فيصبح بيته الشارع، يتكفف الناس، ويفترش الأرضية... وقد رأيت بنفسي أكثر من مرة من أسلم فمارس أصحاب الشركات ضغوطاً عليه وعلى أهله حتى ضعف وارتد وانقلب على عقبه خسر الدنيا والآخرة - إن مات على رذته عياداً بالله -!

وفيهما كذلك نجدة لأناس أصيبوا بضرورة طارئة، أو جائحة مهلكة، أو إنقاذ عرض يُبذل طلباً للرزق، وليس بعيداً عن ذلك ما نراه من مسلمات صغيرات وكبيرات تدخلن إحداهن المكاتب لتعرض حاجتها معها ذلتها، وربما عرض ضعيف الإيمان حاجته منها وعرض ماله!

خامساً: إن الأحاديث الواردة في الشفاعة تجعل المسلم يفكر بأحسن طريقة لتطبيقها، وأوسع مجال حتى يعم خيرها ونفعها.. فربما تكون في صورة

هيئة، وربما مؤسسة أو دائرة وتُعطى من الصلاحيَّات ما هي حقيقةً به، وليس كثيراً عليها أن تُعطى من صلاحيَّاتِ الرأسِ الأعلى والأقوى في البلد، أو المدينة، أو القرية ذلك أن النبي ﷺ كان هو بنفسه يمارسُ هذا الدور...

عن رجلٍ من أهلِ المدينة قال: كَتَبَ معاويةُ ﷺ إلى عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أن اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَاباً تُوصِينِي فِيهِ، وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكُتِبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلى معاويةَ: سلامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ التَّمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخِطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخِطِ اللَّهِ، وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ» والسلامُ عَلَيْكَ (١).

وفي روايةٍ لابنِ حِبَّانَ: وَلَفْظُهُ: قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ التَّمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخِطِ

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤)، كتاب الزهد. باب حفظ اللسان، وصححه الألباني.

الناس، رضي الله عنه وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»^(١)

● وإليك باقة زاهية من الأحاديث النبوية...
ولك بعدها أن تصنع منها ما تشاء...

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن لله تعالى أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقرها فيهم ما بذلوا؛ فإذا متعواها،

(١) رواه ابن حبان (٢٧٦)، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢) كتاب المظالم - باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، ومسلم (٢٥٨٠)، كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم.

نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ» (١).

عن عبدِ اللهِ بنِ عَمْرِو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعْمًا أَقْرَبَهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ، فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ» (٢).

وعن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ» (٣).

وَصَحَّ عَنْهُ مَرْفُوعًا «وَلَا أَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي

(١) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن ابن عمر، قال الألباني: حديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة (١٦٩٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨٣٥٠) وقال الألباني: حسن غيرهِ، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٦١٦).

(٣) رواه الطبراني بإسناد جيد في الأوسط (٧٥٢٩)، انظر صحيح الترغيب (٢٦١٨).

مسجد المدينة - شهراً» (١) .

عن أبي بُرْدَةَ بنِ أبي موسى عن أبيه رضي الله عنه قال :
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ
 حَاجَةٌ قَالَ : «اشْفَعُوا تُؤَجَّرُوا، وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى
 لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم مَا شَاءَ» (٢) .

وعن ابنِ المنكدرِ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : «مَنْ
 أَفْضَلَ الْعَمَلِ إِدْخَالَ السَّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَقْضِي
 عَنْهُ دَيْنًا، تَقْضِي لَهُ حَاجَةً، تُنْفَسُ عَنْهُ كُرْبَةً» (٣) .

عن عُمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
 قَالَ : «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِأَنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا
 شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني أنظر
 الصحيحة برقم (٩٠٦) .

(٢) رواه البخاري (١٤٣٢)، كتاب الزكاة، باب التحريض على
 الصدقة والشفاعة فيها، ومسلم (٢٦٢٧)، كتاب البر والصلة
 والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام .

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٧٢٤٧)، وصحح إسناده الألباني
 في صحيح الجامع رقم (٥٨٩٧) .

بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله،
 تخبرنا من هم؟ قال: هم قومٌ تحابُّوا بروح الله،
 على غير أرحام بينهم، ولا أموالٍ يتعاطونها،
 فوالله إنَّ وجوههم لنورٌ، وإنهم على نورٍ، لا
 يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزنَ
 الناسُ وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
 خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] (١).

وأخيراً... فكَم هو الفارقُ عظيمٌ بينَ أن يتلقَى
 المسلمُ هذه الأحاديثَ فيحاولُ أن يعملَ بها في
 نفسه فيشفعَ لهذا وذاك، وبينَ أن يعملَ بالحديثِ
 ثم يُنشئَ له مؤسسةَ شفاعَةٍ متخصصةً متفرَّغةً
 للعملِ به!

وكم هو الفارقُ عظيمٌ بينَ ذاك الذي يشفعُ بنفسه
 مُنفرداً إذا جاءه طالبُ الشفاعَةِ، وبينَ من يؤسِّسُ

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٧)، كتاب الإجارة - باب في الرهن،
 وصححه الألباني.

هيئة تُقصدُ مِنْ أصحابِ الحاجياتِ المختلفةِ في
المجتمعِ!

كم هو الفارقُ عظيمٌ بينَ مَنْ يَسْتَنْفِدُ كلَّ طاقتهِ
في هذا السبيلِ، وبينَ مَنْ يَحْشُدُ طاقةَ وُجْهائِ
المجتمعِ للشفاعةِ في حاجةِ المحتاجينِ!

إنها هيئةٌ لحفظِ عِزَّةِ المحتاجينِ المسلمينِ
المتعففينَ، هيئةٌ لحمايةِ ماءِ وجوهِ المسلمينِ
السائلينَ، هيئةٌ تَنْتَظِمُ وُجْهائِ وُجوهِ المسلمينِ
الشافعينَ، هيئةٌ تُنْفِذُ وتُنَاشِدُ كلَّ هيئةٍ ومؤسسةٍ نيابةً
عَنْ كلِّ فردٍ مسلمٍ مُحتَاجٍ، هيئةٌ كَشَفِ عنِ عِصَابَاتِ
التسولِ التي أَضَرَّتْ بالمحتاجينِ الحقيقيينِ .

نَعَمْ في كلِّ خيرٍ . . . سواءَ كانَ جُهداً فردياً أم
جماعياً . . . لَكِنْ أَيْنَ مَنْ يُعْطِي بذرَةَ لِتُؤَكَّلَ،
مَمَّنْ يَغْرِسُ رياضاً لِتَبْقَى، وَتَبْقَى إلى يومِ الدينِ!

الغراسُ السادسَ عشرَ

غراسُ هيئةِ الإصلاحِ

العيون الساقية... لغراس هيئته الإصلاح

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا
 مَنَ أَمْرَ بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ
 وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ
 أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
 أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ
 الشَّيْطَانَ قَدْ أَيَسَ أَنْ يُعْبَدَهُ الْمَصْلُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ،
 وَلَكِن فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». . رواه مسلم (٢٨١٢)

غِراسُ هَيْئَةِ الإِصْلاحِ

أُدْرِكُ جَيْدًا أَنَّ البَعْضَ حِينَ يُمُرُّ بِهَذَا الغِراسِ
يَظُنُّه بِلا ظِلٍّ ولا ثَمَرٍ.. !

ولو أنه جعلَ هذا الغِراسَ غَرَسَهُ، وتَبَنَّاهُ
بِنَفْسِهِ... لَعَلِمَ أَيَّ ثَمَرٍ عَظِيمٍ فِي هذا الغِراسِ !
فَمِنَ المَقْطُوعِ بِهِ أَنَّ النَّاظِرَ فِي صُورَةِ شَجَرَةٍ
مُثْمِرَةٍ مُعَلَّقَةٍ عَلى جِدارٍ، غَيْرُ صاحِبِ الشَّجَرَةِ
الغِراسِ لَهَا، المَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، الجانِي
لثَمَرِها... ولذا فَإِنِّي لا أرى الحارثَ الهامَّ بَعْدَ
قِراءَةِ هَذِهِ الفِكرَةِ إِلا مُتَحَوِّلاً مِن مَوقِعِ النَّاظِرِ
لِصُورَةِ الشَّجَرَةِ، إِلى ظِلِّ الشَّجَرَةِ الوارِفَةِ
المُثْمِرَةِ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ صاحِبُها وِراعيها... .

إِنَّ دِواعِيَ إِنشاءِ هَيْئَةِ الإِصْلاحِ بَينَ المُسْلِمِينَ أو
هَيْئَةِ إِصْلاحِ الخِصُوماتِ ضَرُورَةٌ لِثَلَاثَةِ أَسبابٍ
كُبرى غَيرِ الأَسبابِ الأُخْرى:

● السببُ الأولُ: الأسبابُ الشرعيةُ ومنها:

عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: «بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني عمرو بن عوفٍ بقباء كان بينهم شيءٌ فخرج يُصلحُ بينهم في أناسٍ من أصحابه فحُبِسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحانت الصلاة، فجاء بلالٌ إلى أبي بكرٍ رضي الله عنهما فقال يا أبا بكرٍ: إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد حُبِسَ وقد حانت الصلاة فهل لك أن تؤمَّ الناسَ؟ قال: نعم إن شئتَ، فأقام بلالٌ الصلاةَ وتقدَّمَ أبو بكرٍ رضي الله عنه فكبَّرَ للناسِ، وجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يمشي في الصفوفِ يشقُّها شقًّا حتى قام في الصفِّ فأخذ الناسُ في التصفيحِ - قال سهلٌ: التصفيحُ هو التصفيقُ - قال: وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه لا يلتفتُ في صلاته، فلما أكثرَ الناسُ التفتَ فإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأشارَ إليه يأمره أن يُصَلِّيَ، فرفعَ أبو بكرٍ رضي الله عنه يده فحمدَ اللهَ ثم رجعَ القهقري وراءه حتى قام في الصفِّ، وتقدَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فصلَّى للناسِ، فلمَّا فرغَ أقبلَ على الناسِ فقال: «يا أيُّها الناسُ ما لكم

حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ بِالتَّصْفِيحِ (١)
 إِنَّمَا التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ
 فَلْيُقِلْ: سَبْحَانَ اللَّهِ»، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ لِلنَّاسِ
 حِينَ أَشْرْتُ إِلَيْكَ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا كَانَ
 يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ (٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 ﷺ: «لَا تَقَاطِعُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا،
 وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ» (٣).

- (١) التصفيح والتصفيق واحد، وهو من ضرب صفحة الكف على
 صفحة الكف الآخر، وقد وقع في بعض الروايات لفظ
 (التصفيق). انظر: شرح النووي علي مسلم (٤/١٤٥).
- (٢) رواه البخاري (١٢١٨) كتاب العمل في الصلاة، باب رفع
 الأيدي في الصلاة لأمر ينزل، ومسلم (٤٢١) كتاب
 الصلاة - باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر
 الإمام ولم يخافوا مفسدة بالتقديم.
- (٣) رواه مسلم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة. باب تحريم الظن
 والتجسس والتنافس.

ولربّما يقول قائل: هذه الأدلة موجودة من قبل فلم لم تُوجد هيئة أو لجنة عند السلف الصالح، اللهم إلا لأنها قضية فردية متروكة لاجتهاد الناس!

والجواب عن هذا من وجهين:

أما الوجه الأول: فهو أن الإصلاح مأمور به بإطلاق، وقد جعله الشارع هدفاً وغاية كقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٨٢].

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله سبحانه: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩].

فالله تعالى حدّد الغاية وهي تحقّق الإصلاح، وترك وسيلة تحقيق هذه الغاية لاجتهادنا... بل إن الله تعالى أباح للمُصلِح الكذب لأجل بلوغ

هذه الغاية والكذب حرامٌ . . .

فَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أُمَّ كُثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ
 بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمَهَاجِرَاتِ
 الْأُولَيَاتِ اللَّاتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرْتُهُ أَنَّهَا
 سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ
 الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُ خَيْرًا
 وَيَنْمِي (١) خَيْرًا» (٢).

قال ابن بابويه: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ أحبَّ الكذِّبَ
 في الإصلاح، وأبغضَ الصدقَ في الفساد) (٣).

وبعدَ هذه الأدلة فإنَّ ثمة أدلةً أُخرى هي عامَّةٌ
 بعملِ الخيرِ شاملَةٌ لخصوصِ هذا النوعِ من

(١) ينمي: بدون تشديد بمعنى نقل ما فيه خير وإصلاح،
 وبالتشديد الإفساد .

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢) كتاب الصلح - باب ليس الكاذب
 الذي يصلح بين الناس، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر
 والصلة والآداب - باب تحريم الكذب وبيان المباح منه
 واللفظ لمسلم .

(٣) منهاج الصالحين للبليق (٤٢٠) .

الإصلاح الجماعي من باب أولى كقوله تعالى :
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

أو كقوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وكقوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي
خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وأما الوجه الثاني: فهو وجود الأدلة الصحيحة
الصريحة على مشروعية القيام بدور جماعي
بهدف الإصلاح، ومن ذلك تشريع الإصلاح
الجماعي بين الزوج وزوجته إذا تخصصما . . .

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه ،
أن النبي صلوات الله وسلامته عليه «كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار
«أن يعقلوا معاقلهم، وأن يفدوا عانيهم»^(١)

(١) العاني : الذليل والأسير.

بالمعروف، والإصلاح بين المسلمين»^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

وما سارت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالمسلمين في تلك الصورة الجماعية - في الفتنه المعروفة - ولا خرجت من بيتها إلا إرادة للإصلاح...

فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أكثر من رواية على أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما خرجت إلا للإصلاح، وأنها ما كانت تعلم بحديث ذي الثدية الخارجي الذي قتله علي:

«روى الحافظ أبو بكر البيهقي في الدلائل عن مسروق قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عندك علم عن ذي

(١) رواه أحمد (٢٤٤٣)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، وقال الهيثمي في المجمع (٣٧٣/٤): رواه أحمد، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو مدلس لكنه ثقة.

الثديّة الذي أصابه عليّ في الحرورية؟ قلتُ؟ لا،
 قالتُ: فاكْتُبْ لي بشهادةٍ مَنْ شَهِدَهُمْ، فرَجَعْتُ
 إلى الكوفةِ وبها يومئذٍ أسباعُ، فكَتَبْتُ شهادةَ عَشْرَةِ
 مِنْ كُلِّ سُبُعٍ ثُمَّ أَتَيْتُهَا بِشهادَتِهِمْ فقرأتها عليها،
 قالتُ: أَكُلُّ هؤُلاءِ عاينوه؟ قلتُ: لَقَدْ سألْتُهُمْ
 فأخبروني بأنَّ كُلَّهُمْ قد عاينوه، فقالتُ: لَعَنَ اللهُ
 فلاناً إنه كتبَ إليّ أَنَّهُ أصابَهُمْ بليل مصر! ثم أَرَحْتُ
 عينيها فبَكَتْ فلَمَّا سَكَتَتْ عَبَرْتُهَا قالتُ: رَحِمَ اللهُ
 علياً لَقَدْ كانَ على الحقِّ وما كان بيني وبينه إلا كما
 يكونُ بين المرأةِ وأحمائها»^(١).

● السبب الثاني: الخصومات الواقعية، ومنها:.

إنَّ الخصوماتِ الواقعةَ بينَ المسلمينَ اليومَ أكبرُ
 بكثيرٍ مِنْ أنْ يحتويها جهْدُ أفرادٍ مُتناثرينَ وإنْ
 خَلَصَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَجَدَّ سَعْيُهُمْ.

فلَقَدْ شاعَتِ الخصوماتُ حتى أصبحتُ أكبرَ مما

(١) البداية والنهاية (٧ / ٣٠٥).

يَتَصَوَّرُ الكَثِيرُ ابتداءً مِنَ الخصوماتِ الزوجيةِ،
وانتهاءً بالخصوماتِ الحدوديةِ بين الدولِ
الإسلاميةِ، وما بَيْنَ ذلكِ مِنْ دمَاءِ الثاراتِ،
والنِّعْرَاتِ بَيْنَ العوائلِ، والعشائرِ، والقبائلِ . . .
واقِعٌ لا يُمَكِّنُ للأفرادِ الوقوفُ في وجهِهِ . .
والمصيبةُ الكُبرى أَنه أَصْبَحَ واقِعُ التخاصمِ المؤلمِ
بَيْنَ مَنْ يُنْتَظَرُ مِنْهُمُ الإِصْلَاحُ، مِنْ أَهْلِ الدِّعْوَةِ
والإِصْلَاحِ والعِلْمِ .

لَقَدْ قابِلْتُ يوماً أَخاً فِي اللّهِ، وَقَدْ كَانَ يَرْفَعُ شِعَارَ
الإِصْلَاحِ بَيْنَ الجِماعَاتِ الإِسلاميةِ حَتَّى أَصْبَحَ
الإِصْلَاحُ بَيْنَهُمُ شُغْلَهُ الشاغلَ - وَأُنْعِمَ بِهِ مِنْ شُغْلِ
- لَكِنَّهُ جَاءَ مَرَّةً وَقَدْ بَلَغَ بِهِ اليأسُ مَبْلَغاً عَظيماً
لِفَشْلِهِ فِي إِتْمَامِ الإِصْلَاحِ بَيْنَ جِماعَتَيْنِ إِسلاميَّتَيْنِ
كَبيرَتَيْنِ فِي بِلَدِهِ الخَلِيجِيِّ، وَقَالَ: لَقَدْ اجْتَمَعْتُ
مَعَ القِياداتِ فَلَمْ أَجِدْ فارقاً حَقيقياً يَسْتَحِقُّ هَذَا
الخصامَ، وَكَلَّمَا أَوْشَكْتُ عَلَى إِنْهاءِ الاتِّفاقِ وإِتْمَامِ
الإِصْلَاحِ قامَ شَخْصٌ مَعروفٌ بِإِثارةِ فِتْنَةٍ أَوْ إِحياءِ
نَعْرَةٍ أَوْ تَخويفِ باطلٍ مِنْ اتِّحادِ عَلَى حِسابِ

مبادئ... وبذلك ينسف كلَّ جُهدنا، وهكذا يصنع
بُخْبِثٍ خَفِيٍّ في كلِّ مرّةٍ، وما يزال هذا الشخصُ
موضعَ الثقةِ والاستشارةِ في جماعتهِ !

هذا مختصرُ ما كانَ يحدثنا به أخونا المصلحُ
ذاك، ومثله في العالم الإسلاميِّ مِنَ المتحرِّقين
الكثيرِ، ومثلهم مِنَ الساعينَ في الإصلاحِ قليلٌ،
ومثلُ ذاكِ المفسِدِ قليلٌ كذلك، لكنَّ التجاوبَ
معهم كبيرٌ، ولا تزالُ الجماعاتُ الإسلاميةُ
تحصدُ ثمارَ دسائسِهِم آلاماً وخصوماتٍ
مُستَحِكِمَةً، وما هؤلاءِ إلا ورثةُ صِنْفٍ مِنَ أهلِ
المدينةِ مرَدُوا على النفاقِ لا يعلمُهم أكثرُ الناسِ،
ومن يدرى ما حقيقةُ واقعِهِم، فمنهم مُندسٌّ بينَ
الصفوفِ بثيابِ الناسِكينِ وما هو إلا مُوظَّفٌ
يأخذُ على عَمَلِهِ هذا أجراً، ولا يخفى ما صنعَ
هؤلاءِ المندسُّونَ في الجزائرِ وغيرها..

ومنهم أسارى الشهوةِ الخفيةِ من حُبِّ الرئاسةِ،
فإنَّ أخوفَ ما يخافونه ذهابُ رموزِهِم العتيقةِ
العتيقةِ .

● السببُ الثالثُ : تصاعدُ الخلافاتِ .:

تُبَيِّنُ الدراساتُ الميدانيةُ أنَّ الخلافاتِ بين المسلمينَ في تزايدٍ مُطَّردٍ، وأنَّ آثارها في تصاعدٍ، وأنَّ خرابها في ازديادٍ . . . ابتداءً من ارتفاعِ نِسبِ الطلاقِ، وانتهاءً بالفتائلِ الموقوتةِ على حدودِ الدولِ الإسلاميةِ . .

فِيصْبِحُ خطيبُ الجمعةِ مَرَكزَ إصلاحِ عملياً للخصوماتِ، وبذا يكونُ دوره أكبرَ من نصفِ ساعةٍ . . . ويصبحُ إمامُ الحيِّ مَرَجَعَ إصلاحِ يومياً، ويصبحُ وُجْهًا الأحياءِ مصدرًا عظيمًا من مصادرِ الإصلاحِ حينَ تُسْتَثْمَرُ وَجَاهَتُهُم في هذا السبيلِ، وَيُصْبِحُ الطفلُ في بيتهِ مُطْفِئُ نارِ طلاقٍ وشيكةِ الاشتعالِ بينَ الوالدينِ، وذلكَ بتعليمِهِ وسائلِ الإصلاحِ النافذةِ إلى القلوبِ في غَمْرَةِ الغضبِ . . . فلعلَّ الابتسامةَ البريئةَ مِنَ الطفلِ أو الطفلةِ رباطٌ جديدٌ، ووقايةٌ مِنَ طلاقٍ أكيدٍ، أو لعلَّ الدمعةَ يذرفانها آنذاك سحائبُ بَرْدٍ وسَلامٍ على نارِ الخصامِ، ورُبَّما كلماتٌ قصيرةٌ يَتَمَتُّمُ بها الصغيرُ

خيرٌ من محاضرةٍ طويلةٍ لقاضٍ أو مُصلِحٍ . . .

وهكذا تُستثمرُ النساءُ المسلماتُ في الإصلاحِ،
فما أكثرُ المُفسداتِ بينهنَّ . . .

إذا كانَ هذا هو دورُ هؤلاءِ المباركينِ، فكيفَ
سيكونُ دورُ الدعاةِ إذاً في الإصلاحِ . . .؟!

هذه إشاراتٌ تمثلُ منهاجَ عمَلِ أردتُ أنْ أضعَ
من خلالها هدفَ الهيئةِ، ووسائلَها، والعاملينَ
فيها. . . والله تعالى يقولُ: ﴿إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا
يُوفِقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

إن الدورَ الحقيقيَّ للهيئةِ هو الوقايةُ من
الخصوماتِ بإشاعةِ الثقافةِ الشرعيةِ في مجالِ
الاحتكاكِ والخصوماتِ، فإنَّ مجالاتِ الاحتكاكِ
معلومةٌ سلفاً، وأسبابُ الخصوماتِ معروفةٌ
ومكررةٌ . . . ولكنها ولعدمِ وجودِ الوقايةِ منها
أصبحتِ هذه المشكلةُ التافهةُ قضيةً جديةً كبرى
لا يُمكنُ حلُّها إلا بمَحكمةٍ، ثم تُصبحُ مشكلةً
يتوارثها الأبناءُ والأحفادُ . . .

فالأزواجُ الجددُ لا بدَّ لهم من دورةٍ قصيرةٍ
يَدْخُلونها، يأخذانَ فيها سُبُلَ التعاملِ الصحيحِ مع
مختلفِ ظروفِ الحياةِ القادمةِ . . .

والشركاءُ لا بدَّ لهم من دورةٍ في الشراكةِ
يَدْخُلونها، ولا بدَّ لهم من كتابةِ عَقْدٍ يضبطُ
الحقوقَ بينهم، ولو كانوا إخوةً أشقاءً.

والمقترضُ لا بدَّ له من معرفةٍ ثقافيةٍ الاقتراضِ
وأحكامِهِ . . . وهكذا الجيرانُ بعضهم مع بعضٍ،
وكذا الأرحامُ وحقوقهم، والأحياءُ والقرى والبلاذُ.

ألا يَكْفِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ
يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

الغراسُ السابعُ عشرُ

غراسُ هيئةِ الغارمين

العيون الساقية... لغراس هيئة الغارمين

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَفَةَ فَلُوْبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ
وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ
مُعْسِرًا، فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الدَّيْنُ،
فَإِذَا حُلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِيهِ صَدَقَةٌ».
رواه أحمد (٢٣٠٤٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده
صحيح على شرط مسلم .

غراسُ هيئةِ الغارمين

أَلَمَنِي كَثِيرًا طَلَبُ بَعْضِ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ دَيْنًا
لِضُرُورَاتٍ لَا يُمَكِّنُ تَأْجِيلُهَا فَهَاتِفْتُ أَخِي فِي اللَّهِ
«أَبَا سَيْفِ مُحَمَّدًا» عَنْ فِكْرَةٍ نُنَقِذُ فِيهَا الْمَدِينِينَ
الْغَارِمِينَ، وَنُخَفِّفُ فِيهَا وَطْأَةَ الدَّيْنِ، وَتَقْأَحِمِ
النَّاسِ عَلَيْهِ لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ . . . فَثَارَتِ الْفِكْرَةُ فِي
الْمِهَاتِفَةِ أَكْثَرَ، وَتَوَسَّعَتْ وَتَطَوَّرَتْ فِي الذَّهْنِ
أَكْثَرَ، فَكَانَ هَذَا الْغِرَاسُ . . .

● أسبابُ المشروعِ وأهدافُه:

● السببُ الأولُ: عمومُ المبتلين.

لَمَّا كَانَتِ الدِّيُونُ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الْفَقْرِ، وَكَانَ
الْغُرْمُ مِنْ دَوَاعِي الزَّكَاةِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ مِنْ
مُسْتَحْقِيهَا «الْغَارِمِينَ»، كَانَ سَدُّ هَذَا الْبَابِ سَدًّا
لِبَابٍ كَبِيرٍ مِنْ أَبْوَابِ الْاسْتِحْقَاقِ، وَكَانَ عِلَاجُ هَذَا
السَّبَبِ عِلَاجًا جَذْرِيًّا لِأَصْلِ مِنْ أَصُولِ الْفَقْرِ . . .

● السبب الثاني: تنوع الضحايا.

تفاقم أعداد ضحايا هذا الصنف من الناس حتى إن السالم منه قليل، فمنهم غارمون في السجون، ومنهم في دور المجانين، ومنهم ركرام قد حبسهم الدّين وهمّه في البيوت . . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدّين هم بالليل مدلة بالنهار»^(١) ومن القليل أن يسلم أحد في مجتمعاتنا من الدّين.

● السبب الثالث: حماية للغارمين.

فلئلا يُظلم هؤلاء الغارمون، ويُؤخذوا في تيار الحملة المستعرة ضدّ الأموال المحوّلة للإرهاب - كما تُسمّى - أصبح إنشاء هذه الهيئة ضرورة، فهي هيئة ليس في إنشائها أيّ مخاطرة قانونية، أو مخالفة نظامية أو اجتماعية . . .

● فضل هذا المشروع:

يقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) رواه الديلمي (١٥٢/٢)، وقال الألباني ضعيف جداً.

أُولِيَاءَ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

[التوبة: ٧١].

* عن عبدِ اللهِ بنِ أبي قتادة رضي الله عنه ، أَنَّ أبا قَتَادَةَ
طَلَبَ غَرِيماً لَهُ ، فَتَوَارَى عَنْهُ ، ثُمَّ وَجَدَهُ ، فَقَالَ :
إِنِّي مُعَسِرٌ ، قَالَ : أَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَلَيْهِ ، قَالَ : فَإِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ
اللَّهُ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلْيَنْفُسْ عَنِ مُعَسِرٍ ، أَوْ
يَضَعُ عَنْهُ» ^(١) .

* عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :
«تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مَمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،
فَقَالُوا : أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا ، قَالُوا :
تَذَكَّرْ ، قَالَ : كُنْتُ أَدَايِنُ النَّاسِ ، فَأَمْرُ فِتْيَانِي أَنْ
يُنْظَرُوا الْمُعَسِرَ ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ :

(١) رواه مسلم (١٥٦٣) كتاب المساقاة، باب فضل إنظار
المعسر.

قال الله عز وجل تجاوزوا عنه»^(١) .

* عن أبي اليسر رضي الله عنه قال: «.. أشهدُ بصراً عينيَّ هاتينِ (ووضع إصبعيه على عينيَّه) وسمعتُ أُذنيَّ هاتينِ، ووعاهُ قلبي هذا (وأشار إلى مناطِ قلبه) رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^(٢) .

* عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ، كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣) .

فإذا كانَ هذا أَجْرَ مَنْ فَكَّ كُرْبَةَ غَارِمٍ وَاحِدٍ، أَوْ صَبَرَ عَلَى غَارِمٍ وَاحِدٍ، أَوْ خَفَّفَ عَنْ مُعْسِرٍ وَاحِدٍ،

(١) رواه مسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر.

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٦)، كتاب الزهد، باب: حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر.

(٣) رواه أحمد (٢٢٥٥٩) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

أَوْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ بَمَنْ أَقَامَ عَلَى
أَرْضِ الْوَاقِعِ مُؤَسَّسَةً مَتَخَصَّصَةً فِي بَلَدِهِ لَمْ يُسَبِّقْ
إِلَيْهَا، لِلتَّفْرِيجِ عَنْ كَرِبَاتِ آلَافِ الْمَعْسِرِينَ،
وَآلَافِ الْمَكْرُوبِينَ، وَالْمَنْكُوبِينَ، فَجَمَعَ إِلَى ذَلِكَ
الْخَيْرِ إِجْرَاءَ السُّنَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي سَنَّهَا!

● محاورُ العلاج:

أولاً: وليُّ الأمرِ (الرعاية، القرار، والقوة..).

ثانياً: البنوك (إلغاء الربا - القرض الحسن -
التبرُّع).

ثالثاً: أصحابُ الدثور (الزكاة - الصدقة -
الإقراض).

رابعاً: الإعلامُ (التوعية - التحذير - الحضُّ).

خامساً: المساجدُ (الترغيبُ والترهيبُ - التَّوعِيَةُ).

وسوف نتحدثُ عن المَحَوْرِ الأوَّلِ على وَجْهِ
الْخُصُوصِ تَفْصِيلاً، وَنَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَحَاوِرِ
الْأُخْرَى ضَمْنًا.

[وليُّ الأمر]

١ - يُصَدِّرُ - وليُّ الأمر - قراراً بتشكيلِ مجلسِ إدارةٍ أو هيئةٍ أو نحو ذلك، والتي تحمِلُ هدفها في شعارٍ يقول مثلاً: [بلادُ بلا غارمين] أو [صندوقٌ لإعانةِ الغارمين]، أو [تطهيرُ البلادِ من الغُرم] . . . وستحدثُ تفصيلاً عن هذا المجلسِ إن شاء الله تعالى . . .

٢ - يُصَدِّرُ - وليُّ الأمر - قراراً بالتشديدِ في إقراضِ البنوكِ للأفرادِ، والتحذيرِ مِنَ الترخيبِ في الاقتراضِ والدعايةِ له، كما يُصَدِّرُ قراراً يُحددُ نسبةَ القرضِ، فبدلَ أن يُعطيَ البنكُ ثلاثينَ ضعفاً لملكيةِ المقترضِ أو مُرتبهِ الشهري - كما هو معمولٌ به في بعضِ البلادِ - يُخفِّضُ إلى نسبةٍ ثمانيةِ أضعافٍ على أعلى تقديرٍ، كما يحددُ الفئاتِ التي يُمنَعُ عليها الاقتراضُ. (ونحنُ إذْ نقولُ هذا فإننا معاذُ الله أن نُقرَّ للربِّا صوراً، أو لنسبةٍ منه إباحةً، وإنما لتخفيفِ ضررٍ إذْ لم

نستطعُ إزالته، مع العزمِ على إزالته عند الاستطاعة - بإذن الله -).

٣ - يُؤَسَّسُ قِسْمٌ في هذا المجلسِ هدفُهُ تحصيلُ الديونِ لأصحابِها، ويكونُ له قوَّةٌ مُستَمدةٌ من قرارِ الحاكمِ وثقله، بحيثُ تكونُ غايتهُ الإصلاحُ، والتوفيقُ، فيُسْقَطُ عن هذا شيئاً وَيَرْفَعُ عن ذاك شيئاً حتى يصلَ إلى حلِّ توفيقِيٍّ يلتزمُ فيه الطرفُ المُسدِّدُ بأحدِ أمرين: إما بتسديدِ المبلغِ المتفقِ عليه حالاً وإما بشيكاتٍ نهائيةٍ . . . على أن يأخذَ قِسْمُ تحصيلِ الديونِ نسبةً تتراوح ما بين ١٠٪ إلى ٥٠٪ من الديونِ المحصَّلةِ لصالحه حَسَبَ مَبْلَغِ الدَّيْنِ وتقادُمه ووثائقه . . . وما يتحصَّلهُ هنا إنما يُجْعَلُ للتسديدِ عن غارمين آخرين، ولتسييرِ أمورِ الهيئةِ، أو جعله في احتياطاتِ الهيئةِ، وبمجردِ الإعلانِ الرسميِّ عن هذا القسمِ في هذه الهيئةِ فسوفَ يتقدَّمُ أعدادٌ كثيرةٌ جداً بديونِ كبيرةٍ جداً، وسوفَ يكونُ هذا مصدراً ضخماً من مصادرِ الهيئةِ.

٤ - يرعى الحاكم - أو شخصيات لها ثقلها وقبولها في المجتمع - حملةً علنيةً، وأخرى شخصيةً، مُرغِّبةً في إعانة الغارمين تمرُّ على البنوك لضمان مشاركتها الفاعلة ومساهمتها الثمينة في هذا الصندوق، والأولى إلزام البنوك بنسبة ثابتة من مدخولاتها، وهكذا تمرُّ على الشركات كما تمرُّ على أصحاب رؤوس الأموال بحيث لا تنقص مدخرات الهيئة النقدية عن خمسين مليون دولار.

٥ - يمنح الحاكم أراضي تجارية مميزة لهذه الهيئة، ويساهم في البناء من يشاء، وتوزع نسب المشاركة على شكل أسهم لتبقى لكلِّ مشارك صدقةً جاريةً، ويشترى الحاكم أول الأسهم تحفيزاً، وقدوةً لنضمن استمرارية هذه الهيئة، فلا تنتهي بنفاد الأموال النقدية المجموعة لديها في حملتها الأولى.. ثم تحتاج إلى حملة أخرى و أخرى وهكذا...

● مشروعيةُ الهيئةِ :

عن قبيصةَ بنِ مُخارقِ الهِلالِيِّ رضيَ اللهُ عنه قال :
 تحمَّلتُ حمالةً ، فأتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم أسألهُ فيها
 فقالَ : «أقمِ حتى تأتينا الصدقةُ فنأمرَ لكَ بها» ثم
 قالَ : «يا قبيصةُ إنَّ المسألةَ لا تحلُّ إلا لأحدٍ
 ثلاثةٍ : رجلٌ تحمَلُ حمالةً فحلَّتْ له المسألةُ حتى
 يُصيبها ثمَّ يُمسِكُ ، ورجلٌ أصابتهُ جائحةٌ
 اجتاحتُ مالهَ فحلَّتْ له المسألةُ حتى يُصيبَ قوامًا
 من عيشٍ أو قالَ : سدادًا من عيشٍ ، ورجلٌ
 أصابتهُ فاقةٌ حتى يقومَ ثلاثةٌ من ذوي الحِجَابِ من
 قومه : لقد أصابتُ فلانًا فاقةً فحلَّتْ له المسألةُ
 حتى يصيبَ قوامًا من عيشٍ أو قالَ : سدادًا من
 عيشٍ ، فما سواهنَّ من المسألةِ يا قبيصةُ ! سُختًا
 يأكلُها صاحبُها سُختًا»^(١)

عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنه : (أنَّ أباهُ قُتِلَ يومَ

(١) رواه مسلم (١٠٤٤) كتاب الزكاة ، باب من تحل له
 المسألة .

أُحِدَ شَهِيدًا وَعَلَيْهِ دَيْنٌ فَاشْتَدَّ الْغُرَمَاءُ فِي حَقْوِقِهِمْ ،
فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا تَمْرَ حَائِطِي
وَيُحَلِّلُوا أَبِي فَأَبَوْا ، فَلَمْ يُعْطِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ
حَائِطِي ، وَقَالَ : « سَنَعُدُّوْا عَلَيْكَ » ، فَعَدَا عَلَيْنَا
حِينَ أَصْبَحَ فَطَافَ فِي النَّخْلِ وَدَعَا فِي ثَمَرِهَا
بِالْبُرْكَهٖ فَجَدَدْتُهَا ، فَقَضَيْتُهُمْ ، وَبَقِيَ لَنَا مِنْ
تَمَرِهَا (١) .

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا
يُصَلِّي عَلَى رَجُلٍ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، فَأُتِيَ بِمَيْتٍ
فَقَالَ : « أَعَلَيْهِ دَيْنٌ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ دِينَارَانِ ، قَالَ :
« صَلُّوْا عَلَى صَاحِبِكُمْ » ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ
الْأَنْصَارِيُّ : هُمَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَصَلَّى
عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ،
قَالَ : « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَنْ تَرَكَ

(١) رواه البخاري (٢٣٩٥) كتاب الاستقراض وأداء الديون
والحجر والتفليس ، باب إذا قضى دون حق أو حلله فهو
جائز .

دَيْنًا فَعَلِيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»^(١).

مع ظهورِ هذه الأدلةِ على مشروعيةِ هذه الهيئةِ إلا أنه لا بدَّ لي أن أوكدَ أنه ليسَ بدعةً أن تُنشأَ هيئةٌ متخصصةٌ في إعانةِ الغارمينَ . . . وذلكَ بدَل أن يبقَى الغارمونَ يتكفَّفونَ الناسَ، هذا يرُدُّهم وذاك يطرُدُّهم وثالثٌ يعتذرُ إليهم . . . !

وخصوصاً وأنَّ الغارمينَ - في العادةِ - من أعزَّةِ القومِ الذين أذلَّهم الدينُ، وممَّن تشعبتَ عليهم الديونُ، فدائئوهم مُتعدِّدونَ، إذ إنهم عادةً ممَّن يُحاولونَ التخلُّصَ مِنَ الدَّيْنِ الأوَّلِ بدينٍ آخَرَ وآخَرَ وهكذا . . .

ثم إنَّ تحمُّلَ دَيْنِ الدائنينِ أو إعانتهم من قِبَلِ هيئةٍ لَهُوَ مَنْهَجٌ شرعيٌّ له أصله، فالنبيُّ ﷺ قد أعانَ كثيراً من المدنيين . . .

(١) رواه أبو داود (٣٣٤٣) كتاب البيوع باب التشديد في الدين، وصححه الألباني.

إِنَّ إِنْشَاءَ هَذِهِ الْهَيْئَةِ سُنَّةٌ شَرْعِيَّةٌ لَهَا أَصْلُهَا
الشَّرْعِيُّ الثَّابِتُ لَوْلِيِّ الْأَمْرِ خَاصَّةً، فَلَوْ جَعَلَ
الْقَارِئُ نَفْسَهُ فِي مَقَامِ الْوَلَايَةِ لَرَأَى أَنَّ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ
بِهِ ﷺ السَّعْيَ فِي قَضَاءِ غُرْمِ الْغَارِمِينَ، وَقَدْ
صَرَّحَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ
مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَعَلِيَ قِضَاؤُهُ،
وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»^(١).

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ دَعَا الصَّحَابَةَ لِلذَّهَابِ مَعَهُ
بِشَكْلِ جَمَاعِيٍّ لِسَدَادِ دَيْنِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ كَمَا
مَرَّ مَعَنَا .

وَمَا «الْعَاقِلَةُ» إِلَّا اجْتِمَاعُ جُهُودِ الْعَائِلَةِ وَأَمْوَالِهِمْ
لِدَفْعِ الدَّيَّةِ عَنِ الْقَاتِلِ .

وَهَلْ إِذَا احْتَجَّ الْمُسْلِمُونَ لِأَمْرٍ فِيهِ نَفْعُهُمْ
وَمَصْلَحَتُهُمْ مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ

(١) رواه أبو داود (٣٣٤٣) كتاب البيوع باب التشديد في الدين،
وصححه الألباني .

نُعْطَلُ نَفْعَ الْمُسْلِمِينَ لِهَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْ تِلْكَ بَدْعَوِي
أَنَّ هَذِهِ الْمَوْسُسَةَ أَوْ الْهَيْئَةَ أَمْرٌ لَمْ يَرِدْ بِهَا دَلِيلٌ
خَاصٌّ وَهِيَ لَيْسَتْ فِي بَابِ الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ .!؟

إِنَّ هَذَا مِنْ أَشَدِّ أَنْوَاعِ الشَّلَلِ وَالْعَطَلِ الَّذِي
أَصَابَ الْعَقْلِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ وَهِيَ لَا تَشْعُرُ ! فَبَيْنَمَا
الشَّرْعُ يَفْتَحُ الْأَبْوَابَ وَالطَّرِيقَ لِلْعَقْلِ الْمُسْلِمِ لِيَبْلُغَ
بِالنُّصُوصِ أَعْلَى وَأَعْظَمَ دَرَجَاتِ التَّطْبِيقِ، فَإِنَّ
هَذَا يَضَعُ الْعَوَائِقَ فِي عَقْلِهِ، وَالْحَوَاجِزَ الَّتِي تَمْنَعُهُ
مِنَ الْمَجَاوِزَةِ . . !

إِنَّ مَجْرَدَ إِزَالَةِ هَذِهِ الْحَوَاجِزِ الرَّاسِخَةِ فِي الْعَقْلِيَّةِ
الْمُسْلِمَةِ يُعَدُّ فَتْحًا عَظِيمًا فِي الْعَصْرِ الْحَاضِرِ،
وَبِمَجْرَدِ تَحْقِيقِ هَذَا الْفَتْحِ فَلْيُبَشِّرِ الْمُسْلِمُونَ بِفَتْوحِ
عَظِيمَةٍ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا .

وَمَا إِنْشَاءُ هَذِهِ الْهَيْئَةِ إِلَّا مِثَالٌ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْثَلَةِ
الكَثِيرَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ وَاسِعٍ، فَإِنِّي لَا
أَشْكُ فِي أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي ذَكَرْنَا
أَوَّلًا إِنَّمَا هِيَ أُسُسٌ لِإِقَامَةِ هَيْئَاتٍ وَمَوْسُسَاتٍ

على أعلى وأوسع مُستوى . . . وما رعايةُ النبي ﷺ لمثل هذه الأعمالِ إلا لبيانِ مشروعيةِ رعايةِ وليِّ الأمرِ لمثل هذه الأعمالِ، وبيانِ أمورٍ أُخرى كثيرة .

لكنَّ المصيبةَ الكبرى تكمنُ في عقليةِ التلقِّي أو تلقِّي العقليةِ المسلمةِ للنصوصِ، فهي تفرضُ عوائقَ مُتوهمةً مُستحكمةً وتقفُ خلفها وقفةُ العاجزِ !

وللقارئِ المكرَّم أن يتصورَ حديثَ إعانةِ النبي ﷺ لجابرٍ في قضاءِ دينه . . . وليتصورَ أصنافَ المتلقِّينَ من المسلمينَ بعد النبي ﷺ لهذا الحديثِ . . .

فإنَّ من تلقَّاهُ بالعقليةِ الفرديَّةِ قالَ: إنَّ إعانةَ المسلمِ لأخيه المسلمِ في قضاءِ دينه أمرٌ مشروعٌ، وإعانة . . .

وهذا مبنيٌّ على فهمِ الحديثِ فهماً فردياً . . . وهذا حقٌّ .

ومن تلقاه كهُمامٍ يحمِلُ همَّ الغارمينَ قالَ: لا بدَّ من تكاتُفِ الجهودِ لقضاءِ غُرمِ الغارمينَ وذلكَ بإنشاءِ هيئةٍ أو نحوها... وهذا حقٌّ .

ومن تلقاها كوليٍّ أمرٍ - بالمؤمنينَ رفيقٍ رحيمٍ - قالَ: (مَنْ ماتَ وعليه دينٌ فأنا وليُّه)، وأمرٌ بحلِّ هذه المشكلَةِ من جُذورها... وهذا كذلكَ حقٌّ .

ومن تلقاها بالفهمِ السطحيِّ، المحبوسِ بجزئيةٍ من ظواهرِ النصوصِ، المعجُونِ بالنفسيَةِ المحبِطَةِ التي ترى في تجاوزِ الظاهرِ الفرديِّ مخالفةً شرعيةً قالَ: هذا أمرٌ غيرُ مشروعٍ، ولو كانَ مشروعاً لفعله النبيُّ ﷺ! ولماذا الغارمونَ دونَ الأصنافِ الثمانيةِ المستحقَةِ للزكاةِ؟!

ونحو هذه الدعاوى المتمسِّحةِ بظواهرِ الأدلَّةِ التي هي في أساسها ضدَّ دعواهم وعلى هذا تنشأُ عقلياتٌ، وتوردُ الأدلَّةُ، وأصحابُها يحسبونَ أنهم يُحسِنونَ صنْعاً بالأدلَّةِ، وما هي إلا إهدارٌ للأدلَّةِ الثابتةِ؟ وهدرٌ للعقليةِ الإنتاجيةِ، وتضييعٌ لتعاونِ

المسلمين ، وتَضَيِّقُ عَلَيْهِم!

فَفَوْقَ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنَ النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فِي
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ
الْمُسْلِمِينَ هُوَ الرَّفْقُ بِهِمْ وَنَفْعُهُمْ . . . وَالنَّفْعُ لَيْسَ
لَهُ حَدُودٌ فَهُوَ مُطْلَقٌ يَنْتَهِي بِبُلُوغِ الْحَدِّ الشَّرْعِيِّ
وَبِانْتِهَاءِ الطَّاقَةِ وَنَفَادِ الْإِسْطَاعَةِ لِقَوْلِهِ ﷺ : «مَنْ
اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١)

وَمِنْ دَوَاعِي إِنْشَاءِ هَذِهِ الْهَيْئَةِ كَذَلِكَ أَنَّ الْكَثِيرَ
مِنَ الْأَغْنِيَاءِ لَا يَعُدُّ أَكْثَرَ الْغَارِمِينَ مُسْتَحِقِّينَ لِلزَّكَاةِ
أَصْلًا: وَذَلِكَ لَمَا يُعْرَفُ عَنْهُمْ مِنَ الْغِنَى قَبْلَ الْغُرْمِ!
وَمِنْ دَوَاعِي إِنْشَائِهَا كَذَلِكَ هُوَ أَنَّ نَجْدًا لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ
مُؤَسَّسَاتٍ وَهَيْئَاتٍ وَلَكِنَّا لَا نَجِدُ لَهُؤُلَاءِ الْغَارِمِينَ
مِثْلَهَا، كَمَا أَنَّ بَعْضَ الْغَارِمِينَ مُتَمَكِّنٌ مِنْ سَدَادِ
دَيْنِهِ حَسَبَ الْأَقْسَاطِ الَّتِي جُعِلَتْ عَلَيْهِ، لَكِنَّهُ يَبْقَى

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٣٠) كتاب الصدقات ، باب القرض
وحسنه الألباني .

مُعْطَلاً عن مشاريع الحياة، والتوسع والتطور حتى ينتهي مما عليه من أقساطٍ، ومثلُ هذا يُعانُ شرعاً ليتجاوزَ محنته إلى ما بعدها من زواجٍ، وحجٍّ، ومشاريعٍ تجاريةٍ ونحو ذلك .

● تكوينُ صندوقِ القرضِ الحَسَنِ :

* مَصَادِرُ الْقَرْضِ :

المصدرُ الأولُ: لعظيمِ الفضلِ الواردِ في القرضِ الحَسَنِ يتمنى الكثيرُ من الأغنياءِ أنه خَصَّصَ جُزءاً من ماله لأجلِ القرضِ . . . ومن تلكِ الفضائلِ الواردةِ ما رواه ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يُقرضُ مسلماً قرضاً مرتين ، إلا كان كصدقِها مرةً ^(١) ، وفي إيجادِ هذا الصندوقِ في هذه الهيئةِ إيجادٌ للمكانِ الذي يتمنى الأغنياءُ أن يَضَعُوا فيه أموالهم ليُقرضوا منها فيبقى أصلُ المالِ إلى ما شاء الله ، وتَتَوَاصَلُ

(١) رواه ابن ماجه (٢٤٣٠) كتاب الصدقات، باب القرض، وحسنه الألباني .

الأجورُ إلى يومِ القيامةِ .

المصدرُ الثاني: تلتزمُ البنوكُ الإسلاميةُ والرَّبويَّةُ بإنشاءِ صندوقٍ للقرضِ الحسنِ في داخلِ البنكِ . . . ولا بأسٌ أن يكونَ الإشرافُ على الصندوقِ والصرفِ عائداً إلى هيئةِ إعانةِ الغارمينِ، أو يكونَ للهيئةِ ارتباطٌ مباشرٌ بهذا الصندوقِ . . . بحيثُ يكونُ من حقِّ الهيئةِ أن تُعطيَ سنداتِ صرفٍ لأيِّ مَصْرِفٍ من تلكَ المصارفِ، وليس في هذا تعدُّ على البنوكِ تلكَ، فحقُّ البلدِ عليها أكبرُ، ثمَّ إنَّ ما يزيدُ عندها من أرباحٍ من أموالِ الناسِ كثيرٌ .

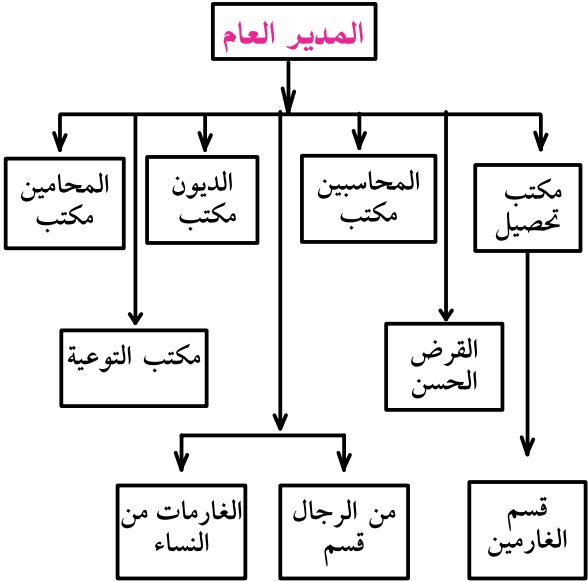
وليس من الشرطِ أن يتكفَّلَ صندوقُ القرضِ الحسنِ بسدادِ ديونِ الناسِ جميعها فليكلَّ حالةَ ظروفها . . فأحياناً يكونُ من المصلحةِ أن يُسَدَّ عن الغارمينَ جميعُ ديونهم، وأحياناً أخطرها وما يتعلقُ منها بالمحاكم، وقضايا أخرى عاجلة، وأحياناً يوحدُها ولا يَقْضِي منها شيئاً، فيسُدُّ

لجميعِ الأطرافِ ويجعلُ دَيْنَهُ عِنْدَهُ وَسَدَادَهُ إِلَيْهِ،
فَإِنَّ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينِينَ وَكَانَ سَبَبًا فِي
عَجْزِهِمْ عَنِ السَّدَادِ هُوَ كَثْرَةُ الدَّائِنِينَ، فَبَعْدَ أَنْ
كَانَ الدَّائِنُ وَاحِدًا أَصْبَحَ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةً، فَهُوَ كَمَنْ
يُرِيدُ أَنْ يُرَقِّعَ خَرْقَ الثَّوْبِ بِتَخْرِيقِ مَكَانٍ آخَرَ
وَتَرْقِيعِهِ، فَلَا يَزَالُ فِي تَخْرِيقٍ وَتَرْقِيعٍ حَتَّى يَقْطَعَ
ثَوْبَهُ كُلَّهُ، ثُمَّ يُصْبِحَ عُريَانًا!

فتوحيدُ الدَّيْنِ لِحِجَّةٍ هَذَا الصَّنَدُوقِ أَمْرٌ مُهِمٌّ
جَدًّا، وَلَكِنْ لِأَبَدٍ مِنْ أَخْذِ الْإِثْبَاتِ الْقَانُونِيَّةِ عَلَى
ذَلِكَ الْمُقْتَرَضِ لئَلَّا يُفْلِسَ هَذَا الصَّنَدُوقُ سَرِيعًا.

هيكل إعانة الغارمين

مجلس الإدارة



● مجلس الإدارة:

يتكون مجلس الإدارة من شخصيات تتصفُ

بالآتي:

- (١) الأَسْبِقِيَّةُ بالخيراتِ والاحتسابِ .
- (٢) المِكانَةُ الاجتماعيَّةُ .
- (٣) الحِلْمُ الكَبِيرُ مُكْتَمَلًا بالتجربةِ في حلِّ الخصوماتِ .

● صورُ الغارمينِ وأسبابُ الغرمِ :

- (١) الغارِمونَ لشِدَّةِ الفقرِ، ونقصِ المدخولِ عن تكاليفِ الحياةِ .
- (٢) الغارِمونَ للزواجِ وتكاليفِهِ .
- (٣) الغارِمونَ لتكاليفِ الدراسةِ .
- (٤) الغارِمونَ للعلاجِ من الأمراضِ .
- (٥) الغارِمونَ لسَفَهِهِ سَابِقٍ، أو قُرُوضِ رَبَوِيَّةٍ تَبَّ مِنْهَا .

● طرائقُ إعانةِ الغارمينِ :

- (١) السَّعْيُ في سَدادِ الديونِ بالشفاعةِ .
- (٢) السَّعْيُ في تخفيضِ الديونِ بالوَجاهَةِ .

- (٣) السعي في إسقاط الأرباح الربوية بالتصالح،
وإلا فإسقاط الجزء المستطاع منها .
- (٤) توحيد الديون في جهة واحدة بدلاً من
توزعها على جهات .
- (٥) تسديد جزء من الدين أو تسديده كاملاً .
- (٦) يُشترطُ فيمن يُسدّدُ عنه دينٌ ربويٌّ أن يتوبَ
فيتعهدَ ألا يعودَ لمثله أبداً . . .

● قسم التوعية :

- أن يتكفل بوضع منهج كامل للوقاية من الغرم أساساً، وفكّ غرم الغارمين بعد ذلك .
- يصوغ خطاباً كاملاً للمؤسسات والتجار والبنوك يبيّن فيه فكرة المشروع ويحضّهم على المساهمة .
- يقوم بالدور الكافي في إقناع الشخص بالتوبة من ديون الربا، وترك الاستدانة إلا في حالات خاصة .

- تنظيمُ الجهودِ الإعلاميةِ و السياسيةِ و الاجتماعيةِ
لتحقيقِ أهدافِها. . . و مِنْ أهمِّها:
أولاً: تسديدُ الديونِ.

ثانياً: التنازلُ عن بعضِ الدَّينِ أو عنه كلُّهُ .

ثالثاً: التصالحُ عَمَّا وَقَعَ مِنْ حُصوماتٍ بسببِ
الدَّينِ .

وأخيراً فإننا لم نأت لتفصيلِ دَوْرِ المسجدِ وهو
من أهمِّ الأدوارِ لما قد مرَّ معنا في ذلك في مواضعٍ
متعددةٍ.

الغراسُ الثامنَ عشرَ

غراسُ نِظارَةِ الوُقُوفِ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ نظارةِ الوَقْفِ

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٦١].

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما ، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال
لِعُمَرَ بنِ الخطابِ لَمَّا اسْتَنْصَحَهُ فِي أَرْضِهِ بِخَيْرٍ:
«إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَضْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا» .
رواه البخاري [٢٧٣٧] ، ومسلم (١٦٣٢) .

غراسُ نِظارَةِ الوَقْفِ

كان «العُمُّ أبو محمد» يتفكَّرُ في نَفْسِهِ كثيراً...
 وكان يردُّ دائماً ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ويقولُ: كيفَ أشكرُ
 اللهَ، كيفَ أشكرُكَ يا رَبِّ..؟!!

رَزَقْتَنِي الأولادَ والبناتِ، الأملاكَ، العُمَرَ
 الطويلَ، الأمنَ والأمانَ..؟

ثم يَلْتَفِتُ إليَّ ودمعُهُ يتحدَّرُ ويقولُ: يا شيخُ: لو
 رأيتَ ما أصابنا مِن قَبْلُ..؟! إيه: ما أطولَ الطريقَ
 إلى الاستِقرارِ في الجَنَّةِ أو النَّارِ؟! نَسألُ اللهَ الجَنَّةَ
 ونَعوذُ بِهِ مِنَ النَّارِ.

كان يرى ضرورةً أنَّه لا بدَّ أن يُقدِّمَ...
 لا بدَّ... لكِنَّه ما كان يَعْرِفُ كيفَ يُقدِّمُ..!

حتى استمعَ إلى خطبةِ جُمُعَةٍ عَنِ الوَقْفِ،
 واستمعَ إلى الخطيبِ وهو يقولُ: سيخِفُّ

المصابُ بفقدِكَ بمرورِ الأيامِ بعدَ رحيلِكَ، سوفَ تتأكلُ العاطفةُ نحوَكَ مِنْ ذاكِرَةِ أَهْلِكَ شيئاً فشيئاً..! تذكّرْ نفسَكَ الآنَ بِنفسِكَ.. قدّمْ لِنفسِكَ بِنفسِكَ، أَيُمْكِنُ أَنْ تَرى فِي الظُّلْمَةِ إِنْ جَعَلْتَ نوركَ خَلْفَ ظَهْرِكَ..!؟

اشترِ نوراً بِمالكِ الآنَ.. قبلَ أَنْ يَكُونَ مالِكَ عَلَيْكَ حِملاً ثَقِيلاً فِي الظُّلْمَةِ، وَظُلْمَةً فَوْقَ ظُلْمَةٍ وَأَنْتَ فَوْقَ الصُّرَاطِ وَتَحْتَكَ جَهَنَّمُ تَتَلَاظِمُ.. لا، لَنْ تَجِدَ خيراً أَبْقَى مِنْ أَنْ تُوقِفَ شيئاً، أَوْ تَبْنِي وَوَقفاً..

قرّرَ «العمُّ أبو محمد»، وجاءَ يسألُ عَنِ الوُقْفِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الفِكرَةُ.. . وَكَانَ هَذَا السَّنْدُ. (فَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ لِلوُقْفِ فِي العَصْرِ الحَدِيثِ صُوراً كَثِيراً، وَمُؤَسَّساتٍ مُتَنَوِّعةً).

فَمِنْهُ الوُقْفُ التَّخَصُّصِيُّ الجَماعِيُّ، بِمعْنى أَنْ تُؤَسَّسَ مُؤَسَّسَةٌ لِلوُقْفِ المَتَخَصِّصِ لِلحِجَاجِ مِثْلاً عَنِ طَرِيقِ بَطاقاتِ اشْتِراكِ تَشْتَرِي بِقِيميَةِ البَطاقَةِ

مائةِ دِرْهَمٍ، أو ديناراً واحداً مثلاً، حتى يُجمَعَ مبلغٌ يشتري به مَبْنى، فيكونُ رِيعُهُ السنويُّ لتَحجيجِ مَنْ لَمْ يَحجَّ أو يَعْتَمِرَ مِنْ قَبْلُ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُعْمَلَ مِثْلُ ذَلِكَ الوَقْفِ التَّخْصِصِيُّ لِحَفْرِ الآبَارِ، وَلِكِفَالَةِ الدَّعَاةِ، وَلِدَعْوَةِ الجَالِيَاتِ، وَلِطَبَاعَةِ المِصَاحِفِ، وَطَبَاعَةِ الكُتُبِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُعْمَلَ مِثْلَهُ صَدَقَةً جَارِيَةً مَوْضُوعِيَّةً، كَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الوَقْفُ وَقْفاً لِلْعَقِيدَةِ بِحَيْثُ يُكْفَلُ مِنْ خِلالِهِ عِلْمَاءٌ مُتَخَصِّصُونَ، وَطِلَابٌ عِلْمٍ، وَدَعَاةٌ لِنَشْرِ العَقِيدَةِ، وَطَبَاعَةُ كُتُبِهَا. . . وَهَكَذَا يَكُونُ وَقْفٌ آخَرٌ لِلقُرْآنِ وَعِلْمِهِ، وَلِلْحَدِيثِ وَعِلْمِهِ، وَلِلفِقْهِ وَعِلْمِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَحَذَارِ أَنْ يُجَازِفَ أَحَدٌ بِآخِرَتِهِ حِينَ يَتَّخِذُ وَقْفاً لِإثْبَاتِ بَاطِلِهِ عَقِيدَةً، أَوْ عِبَادَةً، أَوْ ابْتِدَاعاً فِي دِينِ اللَّهِ، فَتَبْقَى لَهُ سَيِّئَةٌ جَارِيَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ!

كَمَا يُمكِنُ أَنْ يُعْمَلَ وَقْفٌ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَوَقْفٌ لِابْنِ السَّبِيلِ، وَهَكَذَا لِبَقِيَةِ أَصْنَافِ

مُصْرَفِي الزَّكَاةِ . . .

وتسهيلاً للراغب في الوقف، فقد جعلتُ هنا
سنداً جاهزاً لمن أراد إيقافَ شيءٍ من أمواله . . .

سَنَدُ نِظَارَةِ وَقْفٍ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصلاةُ والسلامُ على
عبدِهِ ورسولِهِ مُحَمَّدٍ:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ
سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ
يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا

تُظَلَمُونَ ﴿ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿ [البقرة: ٢٦٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم! أنفق أنفق عليك»، وقال: «يُمِينُ اللَّهُ مَلَأَى - وقال ابن نُمَيْرٍ: ملآن - سحَاءً، لا يَغِيضُهَا شَيْءٌ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»^(١).

وعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقته حتى يُفصلَ بين الناسِ»^(٢).

رغبةً فيما عند الله، وابتغاءً وجهه الكريم، واتقاءً عذابه الأليم، وإطفاءً لغضبه، وتقديماً لنفسه يوم أن ينقطع عمري وعملي، ونفعاً

(١) رواه مسلم (٩٩٣)، كتاب الزكاة - باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف.

(٢) رواه أحمد (١٧٣٣٣) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

للمسلمين والمسلمات أينما كانوا، واتباعاً لسنة رسول الله ﷺ الذي قال لعمر رضي الله عنه لما استنصحه في أرضه بخيبر: «إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»^(١).

فإنني أنا الموقع أسفله:

أشهد الله أنني قد أوقفت العقار المملوك لي وما عليه وأنا في كامل أهليتي وتمام عقلي وعافيتي المرقم بموجب السند رقم على الأرض الواقعة في منطقة رقم القطعة رقم الحوض وقفاً منجزاً أحسبُه عند الله تعالى، ويكون الحكم عند التنازع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مصادقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) رواه البخاري (٢٧٣٧) كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف، ومسلم (١٦٣٢) كتاب الوصية. باب الوقف.

فإن كان الأمرُ اجتهادياً فَيُتَّخَذُ القرارُ بالأغلبية مع ضرورة الرجوع إلى أهلِ العِلْمِ والخبرة في هذا المجال، على أن يكونَ مع نُظَّارِ الوقفِ مستشارٌ شرعيٌّ عالمٌ أمينٌ يحضُرُ الاجتماعاتِ ويقضي في المنازعاتِ ويُشيرُ بما يراه حسناً، ويُستشارُ في وُجوهِ الإنفاقِ والاستثمارِ.

● ضوابطُ الوقفِ:

١- وجوبُ المحافظةِ على الوقفِ بحيثُ تكونُ صيانتهُ من ريعه، وصيانتهُ الوقفِ مُقدَّمةً على الإنفاقِ .

٢- ضرورةُ تنميةِ مواردِ الوقفِ في مشاريعِ وصفقاتِ استثماريةٍ مُربحةٍ بما لا يزيدُ عن ٣٠٪ من إيراداتِ الوقفِ، وتكونُ هذه الأعمالُ والمشاريعُ والصفقاتُ وأرباحُها وقفاً لله يُعْمَلُ فيها ما عُمِلَ بالأصلِ .

٣- أن أتولَّى بنفسِي نظارةَ الوقفِ في حياتي، إلا إذا أوكلتُ ذلكَ لأحدِ أبنائي أو غيرهم ممن

أراه أهلاً لذلك ويكون لي الاستغناء عنه متى رأيت ذلك لمصلحة الوقف، على أن يكون عمل الأبناء^(١) في الوقف تطوعاً لله تعالى، وهذا هو الأفضل عندي، لأنه الأفضل عند الله ورسوله ﷺ، والأبقى لهم، إلا إن رغب بعضهم أو كلهم بأخذ نسبة مقابل عملهم في الوقف فلا بأس بذلك، ولا يأخذ بأي حال من الأحوال نسبة تزيد عن ٥٠٪ من أرباح ما يقومون باستثماره، وإن لم يكن الأبناء، فلي أن أعين من أشياء من أهل العلم والأمانة .

٤- إن رأى نظار الوقف تفرغ بعض الموظفين أو العاملين خدمة للوقف الأصلي أو استثماراته وتنميتها فلا بأس بذلك، ولا بأس من إعطاء العاملين مكافأة أو مرتباً مقابل ذلك من ريع الوقف .

(١) يمكن الاستغناء عن ذكر الأبناء هنا لمن لم يكن عنده أبناء قادرين على إدارته حقيقة أو حكماً .

٥- ألا تُودَعَ أموالُ الوقفِ في البنوكِ الربويةِ،
 أو المشاريعِ المحرَّمةِ والمشبوهِةِ، كشركاتِ
 التأمينِ المحرَّمةِ وغيرها، فإنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبلُ
 إلا طيِّباً، واللهُ تعالى يقولُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ
 الْأَرْضِ ط وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ
 إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَكِيمٌ﴾
 [البقرة: ٢٦٧].

٦- أوكدُ على نُظارِ الوقفِ بضرورةِ إرفاقِ
 التوجيهِ الشرعيِّ الملتزمِ بكتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ
 رسوله ﷺ مع الصدقةِ جنباً إلى جنبٍ، ما
 استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

فليسَ الهدفُ هو إنشاءُ مسجدٍ، ولا مَبْنَى
 مدرسةٍ، أو بناءُ مركزِ إسلاميٍّ فحسبٍ، بل لا بدَّ
 مِنَ الاطلاعِ على منهاجِ المدرسةِ، وأنه موافقٌ
 لكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسوله ﷺ، ولا بدَّ أن يكونَ
 المسجدُ كذلكَ مِنْ حيثُ الإمامُ، والدروسُ التي

تقام فيه، والمكتبة الملحقة به، وهكذا الأمر في المركز الإسلامي ونحو ذلك من المشاريع .

٧- تُوزَعُ المساعدات والصدقات وإقامة المشاريع حسب الشروط الشرعية... ولا تمنع عن أناس وتُعطى لأناس حسب الأهواء والتوجهات!

٨- أن يحذر نظار الوقف من كل ما يبطل الصدقة، أو يقلل من أجرها، لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

● مصاريف الوقف:

يُخَصَّصُ للمشاريع ما لا يقل عن ٧٠٪ سواءً باشر الأبناء تصريف شؤونه أو أسندوه لمن فيه الكفاءة بإشرافهم .

وتكون مصاريف الوقف في كل ما يحبه الله

ويرضاهُ، وفي أيِّ مكانٍ مِنْ أرضِ الله .

وأذْكرُ نِظارَةَ الوَقْفِ ببعضِ أوجهِ الخَيْرِ التي لا حَصرَ لها ومنها هذه الأوجهُ الثابتةُ بالأحاديثِ الصحيحةِ المَسندةِ إلى رسولِ الله ﷺ :

* بناءُ المساجِدِ والمساهمةُ في تَعميرِها، رغبةً في تحقيقِ الثوابِ الذي أخبرَ به رسولُ الله ﷺ فيما رواه أبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنه : قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : «مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قِطَاةِ بَنِي اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١)

ومِثْلُ بناءِ المساجِدِ فَرشُها وصيانتُها وخدمَتُها .

* تفرِغُ ومساعدةُ طلبةِ العِلْمِ في طلبِ العِلْمِ رغبةً في قولِهِ رضيَ اللهُ عنه عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه أنَ النبيَّ ﷺ قالَ : «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢) .

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (١٦١٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) في كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

وإنني لأرجو أن يكونَ في تسهيلِ هذه الطريقِ لهم حصولُ الأجرِ لنا كما هو لهم سواءً في طلبهم العلمَ أو في عملهم به أو في تعليمهم الناسَ تصديقاً لقولِ الرسولِ ﷺ كما رواه عنه ابنُ مسعودٍ رضي عنه أنه قالَ: «الدَّالُّ على الخيرِ كفاعله»^(١).

* تنفيسُ كُرباتِ المسلمينَ، رغبةً في تنفيسِ الكُرباتِ الكبرى عنَّا يومَ القيامةِ، يقولُ الرسولُ ﷺ في الحديثِ الذي رواه أبو هريرة رضي عنه: «مَنْ نَفَّسَ عَن مَوْمِنٍ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِّنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

* كفالةُ أيتامِ المسلمينَ أينما كانوا رغبةً في مُرافقتِهِ ﷺ في الجنةِ فهو الذي يقولُ: «أنا

(١) رواه أحمد (٢٢٣٦٠)، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) في كتاب الذكر الدعاء - باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر.

وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا» وأشار بالسبابةِ
والوُسْطى وفرَجَ بينهما شيئاً^(١).

* كفالةُ الدعاةِ إلى الله، من المسلمينَ الذين
يدعونَ إلى الله في غاباتِ إفريقيَّة، وفي غيرها
من أرضِ الله، فإنَّها أفضلُ الأعمالِ، يقولُ
تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
[فصلت: ٣٣]، ويقولُ الرسولُ ﷺ: «لأنَّ يهْدِي
اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ
حُمْرُ النَّعَمِ»^(٢).

* خِدْمَةُ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، مساهمةً في الطباعةِ،
توزيعاً وتحفيظاً، أو تفرغُ بعضِ الحفظةِ الذين

(١) رواه البخاري (٥٣٠٤) في كتاب الطلاق - باب اللعان،
ومسلم (٢٩٨٣) في كتاب الزهد والرقائق - باب
الإحسان إلى الأرملة واليتيم.

(٢) رواه البخاري (٣٧٠١) في كتاب فضائل الصحابة. باب
مناقب علي بن أبي طالب، ومسلم (٢٤٠٦) في كتاب
فضائل الصحابة. باب من فضائل علي.

يُحَفِّظُونَ الشَّبَابَ وَالنَّاشِئَةَ لَهُ، عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ» (١)

* إِفْطَارُ الصَّائِمِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَغْبَةً فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا» (٢). وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا أَوْ جَهَّزَ غَازِيًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ» (٣).

* إِطْعَامُ الطَّعَامِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ

(١) رواه مسلم (٨٠٣) كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.

(٢) رواه الترمذي (٨٠٧) كتاب: الصوم، باب: ما جاء في فضل من فطر صائماً، والحديث صححه الألباني.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٦٧) وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (٦٤١٤).

طَمَعاً فِي قَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِذَا لَقِمَةً لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ» ^(١).

وإن تمكَّنَ نَظَارُ الوُقُوفِ مِنَ المِساهِمَةِ، فِيمَا يَكُونُ صَدَقَةً جَارِيَةً فِي الطَّعَامِ كَانِ أَوْلَى، مِثْلُ شِراءِ البِساتينِ أو مِزارعِ الدِواجِنِ أو بُحَيْرَاتِ الأَسْمَاكِ.. وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَإِيقَافُهَا عَلَى المِسلمينَ المِستَحقينَ.

* دَعْمُ المِشاريعِ الإِسلاميةِ وَالمُؤسَّساتِ الخيريةِ الموثوقةِ، وَأَعْمَالِ البِرِّ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

* الحِرصُ عَلَى إنِشاءِ الصَّدقاتِ الجاريةِ كحِفرِ الأَبارِ للمِسلمينَ، لِقَوْلِ سَعِدِ بنِ عُبَادَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ.

(١) رواه الترمذي (٦٦٢) في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، حديث حسن صحيح.

قلتُ: يا رسولَ اللهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ ماتتْ فأبى الصدقةِ أفضلُ؟ قال: «الماء»، فحفرَ بئراً، وقال: هذه لأمِّ سَعْدٍ^(١).

* إذا احتاجَ الأبناءُ أو أحدهم - لا قدرَ الله - لشيءٍ من رِيعِ الوَقْفِ فهم الأُولى به، خاصَّةً إذا احتاجوا للسكَنِ، فلهم السكَنُ بلا أُجرَةٍ .

* وأيُّ عملٍ يرى الأبناءُ فيه خيراً لنا فلا حرجَ عليهم في ذلك، كالمساعدةِ في إرسالِ مريضٍ مُضطربٍ، أو إعانةِ مُتَعَفِّفٍ يريد الزواجَ ولا يقدرُ عليه، والحاجةُ تُقدَّرُ بقدرِها.

* وأسألُ اللهَ أن يتقبلَ هذه الأعمالَ مِنِّي بقبولِ حَسَنٍ، ويُنْبِتَها نباتاً حَسَناً، ويجعلَها صدقةً جاريةً لي، وتكونَ سُنَّةً حَسَنَةً يفتدي بها المؤمنونَ المقتدرونَ .

(١) رواه أبو داود (١٦٨١) كتاب الزكاة - باب في فضل سقي الماء، قال الألباني: حديث حسن.

وَإِنِّي إِذْ أُوقِفُ هَذَا الْوَقْفَ لِلَّهِ تَعَالَى فَإِنِّي أَحْرَجُ
عَلَى مَنْ يُحَاوِلُ الْعُدْوَانَ عَلَيْهِ قَاصِدًا، أَوْ مَصَادِرَتَهُ
بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سَائِلًا إِيَّاهُ أَنْ يُعَجِّلَ مِنْهُ نِقْمَتَهُ،
وَيَأْخُذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، وَاللَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ
عَلَيْهِ. . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

التاريخ: في يوم: للهجرة
الموافق: / / للميلاد

الشاهد الأول الشاهد الثاني

الاسم: الاسم:

التوقيع: التوقيع:

الواقف:

التوقيع:

وتشبيهًُا لغراسِ هذا السَّنَدِ وتسهيلًا للعملِ به
أقولُ: كَمَ مِنَ الْإِخْوَةِ الْمُقْتَدِرِينَ عَلَى الْوَقْفِ
سَيَأْخُذُ هَذَا السَّنَدَ مَأْخُذَ الْعَمَلِ فَيَكْتُبُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ

الغراسُ التاسعَ عشرَ

غراسُ المركزِ الدَّعَوِيِّ

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ المركزِ الدَّعَوِيِّ

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لعلي رضي الله عنه : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حُمُرُ النَّعَمِ» .
رواه البخاري (٣٧٠١) ، مسلم (٢٤٠٦)

عن أبي موسى قال كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا بعثَ أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: «بَشُرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا». رواه مسلم (١٧٣٢) .

غراس المركز الدعوي

من المفترض أن يكون لمركز الدعوة النصيب الأوفى والحظ الأوفر من اسمه الدعوي، ذلك أن من أولويات عمله أن يعلم الناس إنشاء الصدقات الجارية بمفهومها الشامل في زمانه ومكانه الذي هو فيه، فهذا هو تخصصه، لكنني أذكر من باب الإعانة صوراً لما يمكن أن يقوم به مركز الدعوة:

● أولاً غراس الإصدارات:

بإمكان مركز الدعوة أن يُصدر إصدارات توضح للناس صدقات جارية عملية مناسبة ومحددة...

وليس ت مواعظ عامة فحسب، ويستطيع كل مركز أن يستفيد كثيراً من مراكز الدعوة في البلاد الإسلامية الأخرى، وغير الإسلامية كذلك، هذا فضلاً عن بلاده التي هو فيها، وبناءً عليه يُمكنه

أَن يَأْخُذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاكِزِ مَشَارِيعَ مَدْرُوسَةٍ دَرَسَةً دَقِيقَةً مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا الشَّرْعِيَّةِ، وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالْمَادِيَّةِ، وَالْمُسْتَقْبَلِيَّةِ، وَالإِنْتَاجِيَّةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا وَيَعْرِضُهَا عَرَضًا مَنَاسِبًا... عَرَضًا خَاصًّا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ، أَوْ عَرَضًا عَامًّا فِي نَشْرَةٍ أَوْ كُتَيْبٍ، بَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْمَعَ فِي كُتَيْبٍ وَاحِدٍ عَشْرَاتِ الْمَشَارِيعِ ثُمَّ يَعْرِضُهَا عَلَى الْقَادِرِينَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ، وَيَخْتَارُ كُلُّ وَاحِدٍ مَا يَشَاءُ مِنْهَا، أَوْ أَنْ يَعْرِضُهَا عَلَى مَجْمُوعَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ حَيْثُ يَشْتَرِكُونَ فِي الْمَشْرُوعِ الْوَاحِدِ، أَوْ يَعْرِضُهَا مَسَاهِمَةً، وَيُحَايِنُ أَنْ تُؤَسَّسَ شَرِكَاتٌ صَغِيرَةٌ مَسَاهِمَةٌ تَخْصِيهِ وَعَامَةٌ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْمَشَارِيعُ مُتَنَوِّعَةً، تَصْلُحُ لِجَمِيعِ الْمَسْتَوِيَّاتِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَشَارِكَةَ الْفِعْلِيَّةَ فِيهَا فَلَا أَقْلًا مِنْ أَنْ يَحْرُكَ هِمَّتَهُ، وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ، فَيَأْخُذَ هَذَا الْكُتَيْبَ وَيَسِيرَ بِهِ فِي النَّاسِ، وَيَمْشِي بِهِ بَيْنَ الْقَادِرِينَ .

● ثانياً: تدريب الدعاة:

رُبَّمَا تَأَسَّسَتْ مراكز الدعوة في العالم الإسلامي وغير الإسلامي وكبرت، ثم هاجرت أو هُجرت، وأصبحت البلاد من بعدها قفراً لا يوجد من يخلفها، والسبب في هذا أن جُلَّ همها هو أن توزع كتباً، وتُعلّق ملصقات، وتتصل بالشخصيات.

وقد كان من أعظم الواجبات عليها إنشاء رجال دعوة حقيقيين متكاملين مُستقلين غير مائلين إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء بل سالكين هدى سيد المرسلين ﷺ القائم على: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

دعاة عندهم التأصيل العلمي الواجب توافره في الداعية . . .

دعاة من أهل البلاد التي يُقيم فيها ذلك المركز حتى إذا ما رحل المركز خلف من بعده مراكز

في صورةِ دعاةٍ إلى الله تعالى بلُغةِ قومِهِم، ومن بني جِلْدَتِهِم..

● ثالثاً: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام:

من أولويات مراكز الدعوة الإسلامية في البلاد الإسلامية دعوة غير المسلمين إلى الإسلام الحنيف، وسأذكر دواعي هذا المشروع أولاً ثم أذكر أسلوبه إن شاء الله: -

● أ- دواعي دعوة غير المسلمين في بلاد المسلمين:

١ - قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «أنفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُرُ النعم»^(١).

(١) رواه البخاري (٣٧٠١) كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب علي رضي الله عنه، مسلم (٢٤٠٦) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب.

٢ - سقوط الواجب في دعوتهم، وفراراً من مُحاجَّتهم لنا يومَ القيامةِ حيثُ كانوا بين أظهرنا ولم نَدعهم، فقد أعطيناهم من دُنْيانا ولم نُعْطِهم من دِيننا! وعاتبناهم إن قَصَّروا في دُنْيانا، ولم نُعَاتِبْ أنفسنا لتقصيرنا في دَعْوَتِهم.

٣ - توفيرُ الدعاةِ في الخارجِ: فلكم نُوفِّرُ على أنفسنا من جُهدٍ حينَ نُعيدُ إلى بلادٍ غيرِ المسلمينَ أبناءَ جِلْدَتِهم الذينَ جاؤونا كفرةً فأسلموا، نُعيدُهم دعاةً إلى الله تعالى... ولو تمَّ ذلك فِعْلاً فسيكونُ مِنَ الفتحِ الإسلاميِّ الحقيقيِّ!

٤ - مقاومةُ النشاطِ التَّنصيريِّ الذي يُركِّزُ على بلادنا من خلالِ هؤلاءِ الكفرةِ الذينَ غزَّونا في بلادنا، بل الذينَ جعلونا أقليَّةً في بعضِ بلادِ المسلمين!

فما أعظمَ المكسبَ إذا أعدنا لهم أبناءهم يَحْمِلُونَ دِينَ اللهِ دُعاةً!؟

ب - الأسلوبُ: إنَّ للمراكزِ الإسلاميةِ أساليبها

العتيدة وتجارِبها الكثيرة في مجال دعوة غير المسلمين إلى الإسلام وما أريد التركيز عليه هنا هو:

١ - ضرورة التجديد بوسائل تُناسب كل قوم، وتخرق تكتلات غير المسلمين في بلاد المسلمين .

٢ - الوصول إلى غير المسلمين في مواقع عملهم، ومساكنهم، وتجمعاتهم، وعدم انتظار مجيئهم وزيارتهم للمراكز الإسلامية الدعوية .

ومن أجل تحقيق هذين الهدفين هناك وسائل عديدة، وأصحاب المراكز الإسلامية أدرى بها، ولكنني سوف أطرق بعض الجوانب وأذكر بعض الوسائل المهمة والمحددة:

* توظيف جهود المسلمين في دعوة غير المسلمين: فما من مسلم أو مسلمة إلا وهو يحب دينه، ويغار عليه، ويتمنى لو أن كافراً أسلم على يديه .

والسؤال هو: هل يستطيع (مركز الدعوة) تحويل أمنيّة كل المسلمين إلى عمل ملموسٍ نافع؟
نعم إنه يستطيع وبسهولة - بإذن الله تعالى -
وذلك من خلال المساجد أولاً.

فلو أن مركز الدعوة اتفق مع المؤثرين من أئمة المساجد من خلال خطب الجمعة أولاً، والدروس العامة ثانياً على تحريك همم المسلمين لدعوة غير المسلمين تحريكاً قوياً، ومدروساً، ومتعمقاً...
لتحوّل هذا التحريك إلى تيارٍ دعويٍّ كبيرٍ...
وبعدّه يجيء مركز الدعوة ليُبأشِرَ استثمارَ جهود هؤلاء المسلمين... بحيث يتكفّل المركز بكلّ شيء، وكلّ ما يحتاجه المركز من المسلم أو المسلمة هو المتابعة فقط، وإن لم يُتابع فلا أقلّ من أن يسمح للمركز بالمتابعة....

نعم إنّها بهذه السهولة... فإنّ ما يحتاجه المركز هنا: إنّما هو الخطوة الأولى والاتصال الأول وإن شئت قلت: الاختراق الأول.

ولابدَّ أن يوجدَ عندَ المركزِ الكادرَ الذي يستطيعُ استيعابَ الأعدادِ القادمةِ عليه، ويستطيعُ المركزُ من أجلِ تثبيتِ الخطوةِ الأولى أن يُوزعَ ورقةَ استبانةٍ فيها استكشافُ الرغبةِ في دخولِ الإسلامِ، أو الرغبةِ في معرفةِ الإسلامِ، أو الرغبةِ في المحاورَةِ والمَحَاجَّةِ، أو الرغبةِ في مُعاداةِ الإسلامِ، ثم تُوزَعُ هذه الاستباناتُ على المصلِّينَ وفيها بياناتٌ محددةٌ عن اسمِ الراغبِ في دخولِ الإسلامِ أو مَنْ تَتَوَسَّمُ فيه ذلكَ، وعُنوانه كاملاً ودرجةَ رغبته، وقوتها، والأسئلة التي يُثيرها، والعوائق التي تَعترضُه، والشُّبُهات التي تُصدُّه، والجانب الذي لَمْ يقتنع به.

ثم يُحضِرُها صاحبُ العملِ إلى المركزِ أو إلى المسجدِ في الجمعةِ التي بعدها أو يتَّصلُ بالمركزِ فيأتي مراسلُ المركزِ فيأخذها، أو تُرسلُ إلى المركزِ بالفاكسِ أو بالبريدِ أو عن طريقِ البريدِ الإلكتروني.

ويستطيع المركز أن يوظف الجهود... كل بحسبه فإن التوظيف الذي ذكرته آنفاً إنما هو توظيف لعموم المسلمين وإليك التركيز على مجموعة من الحالات التي تشمل كل المجالات تقريباً:

١ - أصحاب المؤسسات والشركات: قليلاً ما يُستخدم الوعي المؤثر من قبل أصحاب رؤوس الأموال من مُلاك الشركات والمصانع لدعوة عامليهم إلى الإسلام... فإنَّ الهمَّ المطبق عند عموم هؤلاء إنما هو نجاح العمل، ومقدار الأرباح وقلة المشاكل بين العَمال والموظفين ونحو ذلك، ويحسبُ أربابُ العمل أن هؤلاء الدعاة يُسببون لهم الخسارة!

ومع هذا فإنَّ توعية أصحاب الدُّثور بدورهم وتعريفهم بواجبهم إنما هو واجب مركز الدعوة أساساً، ولا بد من الوصول إلى غير المسلمين في أماكنهم.

فَلِمَ لَا تُخَصِّصُ سَاعَةً وَاحِدَةً بَعْدَ الْعَمَلِ لِهَذَا
الْغَرَضِ ، وَذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ رَاحَتِهِمْ ، وَلَرُبَّمَا لَوْ
كَانَتْ غَيْرَةً صَاحِبِ الْعَمَلِ عَلَى دِينِهِ بِالْمَسْتَوَى
الْمَطْلُوبِ لِأَخِذَتْ هَذِهِ السَّاعَةَ مِنْ وَقْتِ الْعَمَلِ
وَلَكَانَتْ أَوْقَعَ فِي قُلُوبِهِمْ . . . فَلَوْ تَصَوَّرَ أَنَّهُ يَأْخُذُ
مِنْ كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ دَقَائِقَ فَقَطْ وَجَمَعَهَا فِي يَوْمٍ أَوْ
قَسَمَهَا عَلَى يَوْمَيْنِ لَكَانَتْ سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ سِتَّةِ
أَيَّامِ عَمَلٍ ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ فَمَا الْمَانِعُ أَنْ
تَكُونَ دَعْوَةً فَرْدِيَّةً فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ ، وَذَلِكَ مِنْ
خِلَالِ تَرْشِيحَاتِ صَاحِبِ الْعَمَلِ أَوْ الْمَسْئُولِ
الْمُبَاشِرِ لِمَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْعَامِلِينَ .
وَمَا الْمَانِعُ أَنْ تَجْتَمِعَ كُلُّ تِلْكَ الْأَسَالِبِ؟

ولعلَّ الداعيةَ يتمكَّنُ مِنْ رِبْطِ هَؤُلَاءِ
بِالْمَرْكَزِ . . . فَتَكُونُ الزِّيَارَةُ الْأُولَى ثُمَّ
الْمَوَاصِلَةُ . . . ثُمَّ الْإِسْلَامُ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - ثُمَّ
التَّربِيَّةُ عَلَيْهِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ .

٢ - رَبَّاتُ الْبَيْوتِ: لَعَلَّ الْحَمَاسَةَ الْمُتَوَقِّدَةَ

الموجودة عند كثير من ربّات البيوت أكثر بكثيرٍ منها عند الرجال . . . وتوظيفُ هذه الحماسة واجبٌ على المراكزِ الدعوية .

وهذا أمرٌ يسيرٌ جداً، فلو أنّ المركزَ وظّفَ عنده كادراً من الداعياتِ الواعياتِ لاستطاعَ من خلالهنَّ الوصولَ إلى أغلبِ البيوتِ، وإنَّ الداعياتِ الواعياتِ لديهنَّ الرغبةُ القويّةُ في العملِ مع مركزِ الدعوة، لا يُردنَّ من المركزِ جزاءً ولا شكوراً، وبتوجيهٍ من المركزِ، ومتابعةٍ، واستثمارٍ لجهودهنَّ يمكنُ أن يُجنّى من وراء ذلك الخيرُ الكثيرُ.

وإذا ما أرادَ المركزُ معرفةَ حقيقةِ ما أقولُ فليحاولُ أن يعرفَ ربّاتِ البيوتِ الواعياتِ الداعياتِ بأنَّ المركزَ يرغبُ في العملِ لدعوةٍ غيرِ المسلماتِ للإسلام، فمن كانتَ لديها الرغبةُ فلتصلِ بداعياتِ المركزِ على الهاتفِ الآتي . . .

وعندها ستجدُ بإذنِ الله أنَّ كثيراً من البيوتِ وفي مناطقٍ مختلفةٍ تتحولُ إلى مراكزٍ فرعيةٍ لدعوةٍ غيرِ

المسلماتِ ، وهذا فتحٌ عظيمٌ مِنَ اللَّهِ تعالى ، فَلَوْ أَنَّ
المركزَ - لا قَدَرَ اللَّهُ - أُغْلِقَ في البلدِ لأَيِّ سَبَبٍ
مِنَ الأسبابِ فَإِنَّ الدعوةَ التي مِن أَجلِها قامَ
المركزُ لَنَ تنقَطَعَ .

وحذارِ أَن يُفْهَمَ المرادُ بدعوةٍ غيرِ المسلماتِ
أنهنَّ الخادِماتُ فحسبُ! نعم إِنَّ الخادِماتِ مادةٌ
خِصْبَةٌ للدعوةِ إلى اللَّهِ تعالى ، ونحنُ لا نَحْتَقِرُ
أحداً ، ولكِنَّ المدعوَّاتِ يَشْمَلْنَ الشرائحَ النسائيةَ
من غيرِ المسلماتِ كالموظفاتِ في المكاتبِ ،
والشركاتِ ، والوزاراتِ بمختلفِ المستوياتِ .

٣ - دعوةُ السياحِ : هذه الدعوةُ تبتدئُ مِن
المطارِ ، وتمرُّ بالفنادقِ ، وتنتشرُ في الأسواقِ ،
وتنتهي بالمركزِ . . .

كثيرٌ مِنَ السياحِ هدفُهم الاطلاعُ على الجديدِ في
البلادِ . . . إمَّا العمرانِ وإما غيره . . . فلمَ لا يكونُ
من الجديدِ الذي يُعْرَضُ عليهم هذا الإسلامُ
العظيمُ؟!!

لعلّ المركز يستطيع الاتفاق مع شرطة الآداب - مثلاً - بهذا الخصوص... وهذا ما يُوفّر له الحماية الكاملة بإذن الله تعالى من اعتراض بعض أصحاب الفنادق، والمعارضة في الأماكن العامة... مع ضرورة فقهِ الدعوة عند الدعاة هنا على وجه الخصوص .

هذا من جهة... أمّا من جهة أخرى فإنّ كثيراً من السياح القادمين إلينا - هذه الأيام - إنما هم من أصول إسلامية... كالسياح الشرقيين القادمين إلى الخليج، وهذا ما يُوفّر جهداً كبيراً على الدعاة إلى الله تعالى، فلو أنّ المركز جعل إعلانات مناسبة - من جميع النواحي - لمحاضرات باللغة الروسية مثلاً وجعلها في الساعة التاسعة مساءً في قاعة المركز، أو قاعة الفندق الفلاني... ووزّع بعدها عشاءً خفيفاً وأشرطة بلعّتهم، وزوّدهم بعنوان المركز وعناوين مراكز الدعوة في بلادهم، وبيّن لهم أنّ باب المركز مفتوح في كلّ الأوقات، أو في الأوقات التالية في الأيام التالية، فللرجال

دعاةً رجالاً، وللنساءِ داعياتٍ منهنَّ، ثمَّ حاولَ بطريقته رَصْدَ التأثيرِ والاستجابةِ الفعليةِ لوجدَها بإذنِ الله تعالى أحسنَ مما توقَّعَ.

وهكذا يستطيعُ المركزُ أن يعملَ محاضراتٍ بلُغاتٍ مختلفةٍ، فإن لَمْ يكنْ لديه هذا الكادرُ استطاعَ إحصارَ كادرٍ متخصصٍ من مراكزِ الدعوةِ في تلكَ البلادِ، أو كانَ إحصارُهم مؤقتاً أو فضلياً كاستقدامهم في فصلِ الصيفِ لكثرةِ السياحِ، ويمكنُ استثمارُ وجودهم استثماراً طيباً ومكثفاً... كما تفعلُ المراكزُ الإسلاميةُ في الخارجِ تماماً... حينَ تُحضِرُ بعضَ الدعاةِ إلى الله تعالى لتلكَ البلادِ من خارجها ثم تستثمرُ جهودهم.

٤ - تبادلُ الدعاةِ: جلستُ مع أخ كريمٍ متفرغٍ للدعوةِ إلى الله تعالى في بلادِ الفلبينِ وقد أعادَ اللهُ على يديه وأيدي أصحابه الكثيرَ الكثيرَ من أهلِ تلكَ البلادِ إلى الإسلامِ، وعسى اللهُ سبحانه وتعالى أن

يبارك جهود أولئك الدعاة المهاجرين ويتقبل
منهم . . .

وكان من ذلك أن سألتُه عن إمكانية إحضار دعاة
كموظفين إلى بلادنا العربية، فقال: إنهم موجودون
عندنا ولله الحمد، وهم أعرف الناس بدعوة
أقوامهم، ولدينا الاستعداد لتزويديكم بأي عدد من
هؤلاء، سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً.

وهكذا الحال بالنسبة إلى من عرفنا من إخواننا
الدعاة في (بنجلادش والهند) وغيرهما من البلاد.
إنّ توظيف هؤلاء له ثمرات كثيرة حيث سهولة
اختراق هؤلاء لصفوف أقوامهم وبلوغ قلوبهم، فإنّ
(الفلبينية) مثلاً تستطيع وبسهولة دخول تلك
البيوت بدافع الزيارة، فكيف إذا كان برغبة من
صاحبة البيت؟ وهكذا الأمر بالنسبة للذكور.

٥ - رُصدُ وكشفُ النشاطِ التَّنصيريِّ: رَضِيَ
المركزُ أمّ أبي فإنّ العدوَّ الأكبرَ له في بلادِ
المسلمين وخارجها غالباً إنما هو النشاطُ

التَّصْيِيرِيُّ . . . ومحاولةُ التأثيرِ على أصحابِ القرارِ في كثيرٍ من البلادِ، ولذا فإنَّ كَشْفَ أهدافِهِم، وإظهارَ وسائلِهِم والتحذيرَ منها، يكشفُ الاعتزازَ الذي وقعَ فيه كثيرٌ من المسلمينَ، بل إنَّ الخطورةَ الكبرى لهم هي التأثيرُ على عقيدةِ البراءِ منهم، فكيفَ وقد وقعتْ!؟

إن إظهارَ حقيقةِ هؤلاءِ - بما لا يضرُّ بالمركزِ - ضرورةٌ .

إن شاباً يعملُ في مركزِ مراقبةِ وزارةِ الإعلامِ لأشرطةِ التسجيلِ المرئيةِ قال لي: إنَّ الجِنْسَ هو أهونُ ما يمرُّ علينا من الممنوعاتِ! وذلك بالنسبةِ لأشرطةِ التَّنْصِيرِ والهندوسيةِ والبُودِيَّةِ وغيرها.

وكثيرةٌ أساليبُ اكتشافِ أولئك المُنْصَّرِينَ، فالصحافةُ، ومراقبةُ الرسائلِ وصناديقُ البريدِ، والشبابُ المتعرِّضُ لأنشطتهم، وغيرها الكثيرُ . . . وكلُّها تساعدُ على ذلكِ .

٦ - العملُ الدعويُّ طوالَ الليلِ والنهارِ: ﴿قَالَ﴾

رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ [نوح: ٥] يَتِمَكَّنُ الْمَرْكَزُ مِنَ الدَّعْوَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِأَسَالِيبَ كَثِيرَةٍ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَزْوِيدِ الدَّاعِيَةِ بِهَاتِفِ نَقَالٍ مَعَهُ، وَيُعَلَّنُ عَنْ رَقْمِ هَذَا الْهَاتِفِ وَأَنَّهُ مَفْتُوحٌ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً لِمَنْ أَرَادَ الْاسْتِفْسَارَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَيُنْتَقَلُ كُلَّ يَوْمٍ هَذَا الْهَاتِفُ مَعَ الدَّاعِيَةِ الْمُنَاوِبِ . . . وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ يُعْمَلُ بِهَا عِنْدَ اَزْدِحَامِ الطَّلِبَاتِ وَكَثْرَةِ الدَّعَاةِ .

٧ - السعيُّ في تحوِيلِ مَنْ أَسْلَمَ إِلَى دُعَاةٍ: إِنَّ الْمَلَاخِظَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ مَرَاكِزِ الدَّعْوَةِ يَكْتَفِي بِإِعْلَانِ الدَّاخِلِ فِي الدِّينِ الشَّهَادَتَيْنِ وَإِعْطَائِهِ شَهَادَةَ رَسْمِيَّةً بِذَلِكَ . . . وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ كَانَ ﷺ يَسْتَشْمِرُ جِهَادَ هَوْلَاءِ وَيُعَلِّمُهُمْ مَا يَحْتَاجُونَهُ، وَيُعِيدُهُمْ إِلَى بُلْدَانِهِمْ دُعَاةً، وَكَانَ ﷺ يَسْتَوْعِبُ حِمَاسَتَهُمُ الْفَوْرِيَّةَ فَوْرًا، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي نَادَى مِنْ خَلْفِ الصَّفُوفِ وَالرَّسُولُ ﷺ يَخْطُبُ الْجُمُعَةَ فَقَالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنِ دِينِهِ لَا

يدري ما دينه، قال فأقبل عليّ رسولُ الله ﷺ وتركَ خُطْبَتَهُ حتى انتهى إليّ فأُتِيَ بكرسيٍّ حَسِبْتُ قوائِمَه حديدًا، قال فقعدَ عليه رسولُ الله ﷺ وجعل يُعَلِّمُنِي مما علّمه الله ثم أتى خُطْبَتَه فَأَتَمَّ آخِرَهَا»^(١).

٨ - الشفاعةُ للقادمين الجُدِّدِ للعملِ: كثيراً ما يُعاقَبُ الداخلُ إلى الإسلامِ بحرمانه من العملِ أو بالتضييقِ عليه من قبلِ الشركاتِ الأجنبية غيرِ المسلمة، ولا أقلَّ من أن يشفعَ المركزُ لأمثالِ هؤلاءِ.

٩ - الأنديةُ الرياضيةُ: تستحقُّ الأنديةُ الرياضيةُ دراسةً خاصَّةً تفصيليةً وعمليَّةً وذلك لأسبابٍ كثيرةٍ منها:

أ- أنه لا يوجدُ ازدحامٌ شبابيٌّ بعد المدارسِ مثل الأنديةِ الرياضيةِ .

(١) رواه مسلم (٨٧٦)، كتاب: الجمعة، باب: حديث التعليم في الخطبة.

ب - أنه المكان المهمل من قبل الدعوة إلى الله تعالى .

ج- كثرة انتشار المنكرات في كثير من الأندية! فماذا يتوقع من مجتمع للشباب من مختلف الأعمار، كاشفي الأفخاذ، ولايسي أحسن الثياب، قد انبهر الصغار والافتتان بمن هو أكبر منهم وأقدم في اللعبة... ولك أن تتوقع الأسوأ إذا كان الأقدم رجل سوء، وهذا موجود وواقع في البعض...؟!!

د- تتميز الأندية بالقوة المادية، وهذا يُعطي مجالاً لتسخيرها فيما ينفع.

● ومن المقترحات للأندية الرياضية الآتي :-

١ - استغلال فترة الصيف استغلالاً مخصصاً.

٢ - استحداث وظائف جديدة في النادي

مثل :-

أ- مستشار شرعي ذو علم وورع: أكبر مهامه

إصلاح الإدارة والإشراف والمساهمة في استصدار قرارات وقوانين تنصب في إصلاح الجيل .

ب - حافظ مُحَفِّظٌ للقرآن الكريم .

ج - مُرَبِّ مُتَخَصِّصٌ: أعظم مهامه إصلاح السلوكيات الفاسدة .

د- عالمٌ أو طالبٌ عِلْمٍ مَنهَجِيٌّ مُتَمَكِّنٌ: أولى مهامه تَكْمُنُ في انتقاء مجاميع من شباب النادي، حيث يُدرِّسُهُم بالطريقة المنهجية، ويُعِدُّهم إعدادًا كَي يَكُونُوا المَصْلِحِينَ الحَقِيقِينَ القَادِمِينَ .

٣ - إنشاء مكتبة إسلامية شبابية جذابة .

٤ - إنشاء مكتبة صوتية ومرئية .

وأخيراً فإن من المهم جداً أن يكون لمركز الدعوة وقف استثماري ثابت، أو أسهم في بعض الشركات .

أرجو ألا يكون في عرضنا هذا تطفلاً أو تدخلاً في شؤون أهل الاختصاص، فإن المنتظر من مراكز

الدعوة تزويد المسلمين عموماً، وطلاب العلم والدعاة خصوصاً بأفكار الدعوة، ومُستجدات الدعوة، ومحاذير الدعوة، وإبداعات الدعاة، كذلك ينتظر من مراكز الدعوة إيواء المهجرين من الدعاة، ورصد حركة الدعوة، واستقراء مُستقبلها. . . دون انزواءٍ بفكرٍ، أو تحجيرٍ للإسلام. . .

وما هذا إلا تعاونٌ على البرِّ والتقوى. . .

الغراسُ العشرونُ

غراسُ المكتبةِ الإسلاميةِ

العيون الساقية... لغراس المكتبة الإسلامية

قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ بُدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «اكتبوا لأبي شاه». رواه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

غراسُ المكتبةِ الإسلاميةِ

إن تطویرَ أسلوبِ المكتبةِ الإسلاميةِ باستمرارٍ... أمرٌ في غايةِ الأهميةِ... ذلكَ أنَّ المكتبةَ الإسلاميةَ مركزُ دعوةٍ، والدعوةُ وسيلةٌ وأسلوبٌ... كما أنَّ المكتبةَ الإسلاميةَ جزءٌ من السوقِ، والسوقُ في تطوُّرٍ دائمٍ وتجديدٍ، وبما أنَّ الناسَ في إقبالٍ على الدنيا وإدبارٍ عن الآخرةِ، فإنَّ على المكتبةِ الإسلاميةِ أن تبذلَ جهداً مضاعفاً لتكسبَ قارئاً وسامِعاً ولتنشرَ دعوةً، وتزيدَ من رُوادِها، وتزيدَ مبيعاتِها... وتتخطَّفَ المسارعينَ إلى الدنيا قبلَ سقوطِهِم فيها.

ومن الوهم أن يتصورَ القارئُ... أو يتصورَ زائرُ المكتبةِ الإسلاميةِ أنَّ أصحابَ المكتبةِ «أدرى بهذا الأمرِ» كما يُقالُ، ولو سألَ الزائرُ للمكتبةِ نفسه منذ متى لم تأتِ المكتبةُ بجديدٍ؟ لَعَلِمَ

مقدارَ التخلفِ وضعفِ الإبداعِ في المكتبةِ
الإسلامية!

لكنَّك أيها المراجعُ للمكتبةِ الإسلاميةِ لو جعلتَ
من همِّك تطويرَها كُلمًا دخلتَها، لأفدتهم بالكثيرِ،
بل لأفدت نفسك ودينك وفتحتَ في صحيفتكِ
صدقاتٍ جاريةً من بوابةِ «العلم الذي ينتفع به»،
وبوابةِ: (إن الله وملائكته ليصلون على مُعلِّمي
الناسِ الخيرِ) وبوابةِ الدلالةِ على الهدى، وبوابةِ
فضائلِ العلمِ وتعلُّمه وتعليمه، وأنت لا تدري...
حاولُ أن تُضيفَ لها جديدًا ولو من خلالِ:
الإضاءةِ في المكتبةِ، أو لوحةِ عرضٍ مُستنيرةٍ
بالألوانِ، أو تغييرِ في الفهرسةِ الظاهريةِ، أو
تيسيرِ الوصولِ إلى الكتابِ أو تطويرِ العرضِ على
بوابةِ المكتبةِ، أو حتى الإفادةِ من سقفِ المكتبةِ
المهمَلِ عادةً، أو فتحِ مكتبةٍ مثلها أو فرعٍ لها في
حيٍّ ليس فيه مكتبةٌ، أو إنشاءِ مكتبةٍ متحركةٍ،
أو اتخاذِ صندوقِ مكتبةٍ آليةٍ ذاتيةٍ ثابتةٍ في

الطرقَاتِ مثلِ ثلاجاتِ المشروباتِ الباردةِ المنتشرةِ في الأسواقِ أو نحوِ ذلكَ ، ومكتبةِ آليّةِ باللغاتِ الأجنبيّةِ وخصوصاً في الأسواقِ التي يرتادُها غيرُ المسلمين في مختلفِ اللغاتِ .

نعمَ لا بدَّ أن يكونَ ذلكَ جزءاً منِ الهمِّ . . . لأنه من الدعوةِ للإسلامِ ، وترسيخِ الإسلامِ ، وتأتي من بابِ نشرِ الإسلامِ ، وإعلاءِ رايتهِ . . . وإنه لتحدُّ شَعَرَتَ بِهِ أيها القارئُ أم لَمْ تَشْعُرْ . . . فهل يجوزُ لك أن تقِفَ مُتَفَرِّجاً!؟ .

إنَّ ما تستطيعُ تقديمه للمكتبةِ الإسلاميةِ والدعوةِ الإسلاميةِ كثيرٌ كثيرٌ . . . إنه رباطٌ وثيقٌ ينبغي أن يُعَدَّى أكثرَ فأكثرَ ، فإنَّ نجاحَ المكتبةِ الإسلاميةِ نجاحٌ للدعوةِ الإسلاميةِ .

ومن هذا البابِ سوفَ أذكرُ بعضَ الأساليبِ التي أحسبُ فيها الجِدَّةَ والتطوِيرَ وما هي إلا أفكارُ فردٍ يُنادي بقيةَ الأفرادِ أن: «هَلُمُّوا إلى التطويرِ» ويُقرُّ بأنَّ في ازدحامِ العقولِ خيراً كثيراً .

● وإليك بعض هذه الأساليب:

١ - ضرورة تطهير المكتبة من الكتب والأشرطة المخالفة للعقيدة الصحيحة.

٢ - إظهار كتب إحياء الأمة، وإحياء العقيدة، وإحياء ما اندرس من الدين.

٣ - عمل جزء منفرد من المكتبة يختص ببعض المراجع الشرعية الضرورية للاستعارة المجانية من كتب أو أشرطة علمية مُسلسلة، فلعلَّ طالب علم مُجدِّداً طموحاً يُقيِّد العجز المادي طموحه الشرعي عن إيجاد المراجع أو شرائها، فيجد ضالته وطموحه فيها...

كما يُمكن أن يكون هناك نوعٌ تعاونٍ مع المكتبات العامة ولو بمعرفة المراجع الموجودة لديها لإرشاد طلبة العلم المحتاجين لها... ولا بأس أن تدفع المكتبة الإسلامية قيمة التأمين الذي تأخذه المكتبة العامة على الكتاب المستعار منها إن عجز طالب العلم عن ذلك.

٤ - تستطيعُ المكتبةُ الإسلاميةُ توظيفَ جهودِ بعضِ العلماءِ ممَّن قدرتهمُ على العطاءِ أضعافُ عطائهمُ في نشرِ العلمِ والدعوةِ من خلالِ عملِ دروسٍ مُسَلَّسَةٍ أو مُنفصلةٍ على أن تَبْنَى المكتبةُ الإسلاميةُ الإعلانَ عنها، والدعوةَ لها، ورعايتها، وإحضارَ كتبها إن اقتضى الأمرُ ذلك، كأن يكونَ الدَّرْسُ مِنْ كتابٍ كذا فَتُحْضِرُ المكتبةُ الكتابَ وتُوزِّعُه أو تبيعهُ بسعرٍ رمزيٍّ، أو تنفقُ مع بعضِ الميسورينَ على شرائه وتوزيعه .

٥ - إدامةُ استنفارِ جهودِ العلماءِ: وذلكَ من خلالِ الكتابةِ إليهم باسمِ المكتبةِ وختمها وورقها المطبوعِ باسمِها كتابةً مستمرةً ومُنظمةً حولَ ما يستجدُّ من إصداراتٍ وأشرطةٍ، ونَشْرَاتٍ، وكتاباتٍ صُحُفِيَّةٍ، وكُتُبٍ مطبوعةٍ، أو تحتَ الطبعِ مما هو ضارٌّ أو نافعٌ، والكتابةُ للعلماءِ بالردِّ على ما يستحقُّ الردَّ عليه مما يُنَشَرُ أو يُحَاضَرُ فيه مع التكلُّفِ بالطباعةِ والنشرِ، أو

السعي في ذلك حتى يبقى العالم حاضراً ومُتفاعلاً،
وحتى تبقى الساحةُ الشرعيةُ محروسةً بالعلماءِ . . .
وعند الكتابةِ للعلماءِ لا بدَّ أن تُراعى أمورٌ منها:
أن تكونَ لدى المكتبةِ صياغةٌ رصينةٌ ومحددةٌ
تُناسبُ مقامَ العالمِ وتُناسبُ المطلوبَ، وألا
تكونَ خاضعةً لاجتهادِ المرسلِ في كلِّ مرةٍ، فإذا
أريدَ من العالمِ تقيُّمُ كتابٍ فإنَّ الصياغةَ تختلفُ
عما إذا أُريدَ من العالمِ نقدُ كتابٍ وهذا يختلفُ
عن التقريظِ، وهكذا . . . وفي كلِّ مرةٍ يُرفقُ مع
الرسالةِ الكتابِ المعنيُّ أو النشرةُ أو الشريطُ أو ما
شابه ذلك .

٦ - استكشافُ علماءِ قُدماءِ جُدِّدٍ: قُدماءُ حقيقةً
وجُدِّدٍ من حيثِ إنتاجهم العلميِّ.

حينما ذهبْتُ إلى (راوا البندي) في (باكستان)
وجالستُ بعضَ علمائها علمتُ أنَّ ثمةَ علماءِ
عُظماءِ في قُرى باكستان، وبنجلاديش،
وأفغانستان، وفارس، والهند، لم يَعْرِفهمُ إلا

أهلُ القريةِ وسيموتون كما ماتَ الكثيرُ منهم ولم يعرفهم أحدٌ .

وأعتقدُ جازماً أنَّ المكتبةَ الإسلاميةَ - وبطُرُقٍ كثيرةٍ ويسيرةٍ - تستطيعُ استكشافَ أمثالِ هؤلاءِ واستثمارَ جهودِهِم، وسأوضحُ هذا الأمرَ أكثرَ في آخرِ الجزءِ الثاني من غراسِ أهلِ العلمِ في فصلٍ مستقلٍ من خلالِ مشروعِ إحياءِ وترجمةِ العلومِ الشرعيةِ إلى اللغةِ العربيةِ إن شاء اللهُ تعالى .

٧ - كفالةٌ بعضِ النوابغِ من طلبةِ العلمِ... ولو كان طالباً واحداً... أو حتى السعِي في كفالتهِ وذلك بدلالةٍ من يريدُ الكفالةَ ... أو تبني مثلِ هذا المشروعِ، ثم تَبَنَّى المكتبةُ الطالبَ طَوَالَ رحلتهِ في طلبِ العلمِ من حيثِ إمدادهِ بالمالِ وبالكتبِ، والمعلوماتِ، حتى يتفرَّغَ تماماً لطلبِ العلمِ ثم التَّمَشُّيخِ فيه، ذلك من خلالِ رِيعِ المكتبةِ، أو ما أُوقِفَ للمكتبةِ من محلاتٍ في

نفسِ المبنى كما هو واقعٌ في بعضها ، أو من خلالِ
الموسرينِ من أهلِ الخيرِ .

٨ - تخصيصُ قسمٍ من المكتبةِ ولعلّه تخصيصُ
معنويٍّ أكثرَ منه حسيٍّ ، لكنّه عمليٌّ أكثرَ منه نظريٌّ ،
فإن هذا القسمَ يختصُّ بنشرِ الإسلامِ بين غيرِ
المسلمين في بلدكِ وخصوصاً الباحثينِ
والمستشرقين ، وتبني متابعه من أسلمَ منهم .

وهذا القسمُ رَغْمَ ضخامةِ الدورِ المناطِ به إلا أنّه
لا يحتاجُ إلى جُهدٍ كبيرٍ ، ولا إلى مالٍ كثيرٍ . . .
وعلى قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ . . . وعلى قدرِ
الإخلاصِ يكونُ التوفيقُ ، وفضلُ اللهِ أعظمُ .

ولعلَّ هذا القسمَ يحتاجُ إلى الآتي :

أ- الإفادةُ من المراكزِ الإسلاميةِ في الخارجِ
بحيثُ يجلبُ موظفٌ من الدعاةِ من الذين
يُجيدون الإنجليزيةَ ويُحسنونَ الدعوةَ فإنَّ لهم
مِراساً بها ومعرفةً ببني قومهم .

ب- كتب وأشرطة مسموعة ومرئية تُعنى بالدعوة إلى الإسلام.

ج- غرفة بجوار المكتبة أو في داخلها، أو في غرفة المسجد إن كان ثمة مسجد لصيق أو حتى في البيت أو في النادي بحيث يُستخدم: لعرض الأشرطة الصوتية، وإلقاء بعض الدروس الأسبوعية.

د- الاتفاق مع المتخصصين المتطوعين من العرب والأجانب أصحاب القدم الراسخة في دعوة الأجانب لإلقاء بعض الدروس أو الندوات، والحوارات... وذلك بوضع برنامج طويل لا يقل عن ستة أشهر حتى لا يكون عفويًا تعثره المشاغل والمشاكل والأهواء، فالإغلاق.

إن هذا الذي ذكرت لا يكلف شيئاً، ولا يستعظمه إلا صاحب هممة مُتدنية، أو عقبة رسمية كأداء .

فاستحضر يا أخي أجر «لأن يهدي الله بك

رَجُلًا»^(١) ، ثم استعن بخبرة إخوانك الشرعيين ، وبأصحاب مراكز الدعوة ، واجعل لنفسك مذكّرة أو ملفاً تُسجّل فيه كلّ ما تجد وكلّ ما يمرُّ بك في هذا المجال .

فلا تجعل عملك عفويّاً ولا فوريّاً فحسب ، بل ينبغي أن يكون دقيقاً ودائماً ، ثم يكون صدقةً جاريةً لمن يريد الانتفاع .

بل إنني أقول إنّ هذه الفكرة يستطيع عملها كثيرٌ من المسلمين ممّن ليس لهم مكاتب ، ومع هذا فإنني لا أزعّم أنّ مكتبةً إسلاميةً واحدةً بإمكانها تطبيق كلِّ الأفكار الثمانية المكتوبة ، ولكنني أخاطب جنس المكتبة الإسلامية ، وكلُّ على حدة يأخذ منها ما يناسبه ويُفصل ويزيد ويُنقص ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٦] .

(١) رواه البخاري (٣٧٠١) كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولعلَّ مكتبةً إسلاميةً واحدةً تقومُ بذلكَ
وزيادةً... ومن أرادَ ذلكَ فلنَ تُعجزهُ الوسيلةُ
وسيجدُ اللهَ نِعَمَ المولى ونِعَمَ النصيرِ...

وَمِنَ الْمُهِمِّ أَنْ تَكْتَشِفَ الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ طُرُقًا
لِلدَّخْلِ غَيْرِ بَيْعِ الْكُتُبِ وَالْأَشْرَطَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَتِمَّكَنَ مِنَ الْقِيَامِ بِتِلْكَ الْمَهَامِّ، كَأَنْ تُعْلِنَ عَلَى
نطاقها عَن كِفَالَةِ طَالِبِ عِلْمٍ، أَوْ إِمدادها بِالْكُتُبِ،
أَوْ الْأَشْرَطَةِ الْمُنْهَجِيَّةِ أَوْ أَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ
الإعانةِ العِلْمِيَّةِ والدَعْوِيَّةِ.

وأخيراً نَعْرِضُ هذِهِ الْأَسْئَلَةَ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى
المُقْيَاسِ الصَّحِيحِ لِتَعْرِفَ الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ
مستوى نجاحها:

س: هل جَدَّدَتِ الْمَكْتَبَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَسَائِلَ
عَرْضِها فِي إِصْالِ الْكِتَابِ الْإِسْلَامِيِّ وَالشَّرِيْطِ
الْإِسْلَامِيِّ بِوَسِيْلَةٍ حَدِيثَةٍ كَالْتَلْفِزِيُونِ، وَالْفِيْدِيُو،
وَالْإِنْتَرْنِتِ وَجِهَازِ الْهَاتِفِ؟

س: هل ارتبطت المكتبات الإسلامية بعضها ببعض بالكمبيوتر مثلاً؟

وهل أصبح فيما بينها تنسيق بحيث يُصَبَّحُ نفع هذا التنسيق عائداً على الدعوة الإسلامية ومن ثمَّ زيادة المردود التجاري؟ إن هذا التنسيق ضروريٌّ لخدمة الإسلام ومحاربة أعدائه، ولم لا تُكوَّن المكتبات فيما بينها رابطةً، ليعرف كلُّ طالب علم فهرس كلِّ كتابٍ إسلاميٍّ موجودٍ في الساحة وكلِّ مخطوطةٍ موجودةٍ في العالم الإسلامي، حتى ترتبط هذه المكتبات بالمكتبات العامة، والمكتبات الجامعية والمكتبات الأهلية... ويكون لهذه الرابطة دخلٌ من خلال اشتراك.

س: هل اقتحمت المكتبة الإسلامية المدارس بجميع مستوياتها من رياض أطفال، وابتدائي، وإعدادي وثانوي وجامعي؟

س: هل اقتحمت المكتبة الإسلامية أماكن ما يُسمَّى برعاية الأحداث، والسجون، وتأهيل

المدمنين ، وسجونِ النساءِ . . . إلخ؟

إن هذا هو المجالُ الخصبُ للتَّوبَةِ والتائبين . . .
ومجالُ خصبٌ للقراءةِ والسماعِ .

س: هل اقتحمتِ المكتبةُ أماكنَ التجمعاتِ
والاحتفالاتِ والمهرجاناتِ ونحوِ ذلك من
الأماكنِ التي يكثرُ فيها الحضورُ ويشتدُّ فيها الزحامُ؟

إن هذا الاقتحامَ ضرورةٌ ، وإن أساليبه ميسورةٌ
وكثيرةٌ ، فمنها: أن تتفقَ المكتبةُ مع المدرسةِ على
إيجادِ لوحةٍ عرضٍ زُجاجيةٍ أو شاشةٍ تلفزيونيةٍ
ظاهرةٍ للطلابِ الداخلينَ والخارجينَ ، ويُختارُ
لهذه اللوحةُ ما يُثيرُ الشبابَ من العناوينِ وما
ينفعُهم ، كتلكِ الكتبِ التي تتعلقُ بالمخدراتِ ،
والإيدزِ ، والقَصصِ البطوليةِ ، والقَصصِ الواقعيةِ
المؤثِّرةِ كقصصِ الضياعِ ، وفي مقابلِ ذلك لا بدَّ
مِن ذِكرِ القَصصِ الإيجابيةِ للغراسِ الصالحِ مِنَ
البعيدِ والقريبِ وأعلاها قَصصُ الأنبياءِ والقَصصُ
القرآني والنبويُّ وَمَن سارَ على هديهم ... مع

إيضاح عنوانِ المكتبةِ وهاتِفها.
 ومن خلالِ عملِ زيارَتِ من المدرسةِ إلى المكتبةِ ،
 يتمُّ تقديمُ الهدايا العِلْميةِ والتربويةِ للمتفوقينَ ،
 وبهذه الأساليبِ ونحوها يتمُّ الرِّبْطُ . . .
 وإنَّ من الضروريِّ الإفادةَ من الإذاعةِ المدرسيةِ
 والتي من خلالها يُمكنُ عملُ الكثيرِ .

س : هل افتحمتِ المكتبةُ الإسلاميةُ مراكزَ
 التدريبِ في الجيشِ ، وذلك من خلالِ الدوراتِ
 التي يُعَدُّ فيها الشبابُ إعدادًا بدنيًا مركزاً؟

نعم إنَّ المكتبةَ الإسلاميةَ تستطيعُ ذلكَ من منافذَ
 كثيرةٍ ، من منفذِ القياديينَ الصالحينَ المتنفذينَ
 هناك ، وما أكثرهم ، ومن منفذِ التوجيهِ المعنويِّ
 في الجيشِ ، ومن منفذِ الشبابِ المتدربينَ
 أنفسهم ، وليس هذا من التحايلِ في شيءٍ ، بل
 هذه وسائلٌ حقيقيةٌ لإصلاحِ حقيقيٍّ لا للإفسادِ
 والتخريبِ . . .

س : وهل عمِلتِ المكتبةُ الإسلاميةُ كَشْفاً حسابياً

لإنجازاتها العلمية والدعوية، وكذلك الكشفُ الحسابيُّ التجاريُّ بحيثُ يحتوي على أعدادِ الذين أسلموا حديثاً بسببها، وأعدادِ المهتدينَ الجُددِ، وأعدادِ التائبينَ، وأعدادِ العلماءِ العائدينَ إلى الدعوة، وأعدادِ الداخلينَ إلى المكتبةِ مِنَ النِّساءِ وَمِنَ الصِّغارِ وَمِنَ الشُّبابِ وَمِنَ الكِبَارِ وَمِنَ غيرِ المسلمينَ ونحوِ ذلك؟ ثم بَنَتْ على ذلك دراساتٍ موسعةً لمضاعفةِ هذه الأعدادِ وزيادةِ انتفاعِها..؟

س: هل افتتحتِ المكتبةُ الإسلاميةُ لها فروعاً في بلادٍ يندرُ فيها الكتابُ الإسلاميُّ والشريطُ الإسلاميُّ، فإن لم تستطعِ ذلك رسمياً فهل اتخذتِ طُرُقاً أخرى حيثُ تُوفِّرُ لهم فيها الكتابَ بسعرٍ رخيصٍ وكمياتٍ وفيرةٍ ولو بالتصويرِ؟

س: هل ارتبطتِ المكتبةُ الإسلاميةُ مع شركاتِ الاتصالاتِ وشركاتِ المواصلاتِ التي تجوبُ البلادَ شرقاً وغرباً..؟

س: هل أقامتِ المكتبةُ الإسلاميةُ محلاتٍ لها

وَسَطَ الْأَسْوَاقِ الْمَرْكَزِيَّةِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، بَحَيْثُ يَصْبِحُ
الْكِتَابُ الْإِسْلَامِيُّ فِي مَتَاوَلِ الْمَتَسَوِّقِ الَّذِي خَرَجَ
لِلتَسَوِّقِ وَلَيْسَ فِي ذِهْنِهِ الْكِتَابُ، فَيَعُودُ وَمَعَهُ
الْكِتَابُ؟

س: هَلْ عُمِلَتْ لِلْمَكْتَبَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَسْوَاقٌ
دَائِمَةٌ؟ فَإِنَّ الْمَلَاخِظَ أَنَّ لِكُلِّ بَضَاعَةٍ أَسْوَاقًا كَثِيرَةً
أَمَّا الْمَكْتَبَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ، فَهِيَ آحَادٌ مَتَبَاعِدَةٌ غَرِيبَةٌ
لَيْسَ لَهَا سَوْقٌ وَاحِدٌ دَائِمٌ فِي أَغْلَبِ بِلَادِ
الْمُسْلِمِينَ .

نَحْنُ نَعْتَرِفُ أَنَّ الْمَكْتَبَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَسْبِخُ ضِدَّ
التِّيَارِ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَكِنَّهَا لَا يَنْبَغِي أَنْ
تَسْتَسَلِمَ لِتِيَارِ الْجَفَافِ وَالْجَفَاءِ مَا بَيْنَ الْمُسْلِمِ
وَالْكِتَابِ . . . فَالْكِتَابُ فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ رُبَّمَا
قَرَأَهُ آلَافٌ، بَيْنَمَا يَقْرُؤُهُ الْمَلَايِينُ عِنْدَ الْغَرِيبِينَ،
وَالْمُسْلِمُ يُهْدِرُ وَقْتَهُ بِالسَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ
سَرْحَانًا، أَوْ هَذِرًا، أَوْ زُورًا . . . بَيْنَمَا هُوَ فِي
بِلَادِ الْكَافِرِينَ لَا يَتَوَقَّفُ فِي قَاعَةِ انْتِظَارٍ وَلَا يَكُونُ

جالساً في قطارٍ أو طائرةٍ إلا والكتابُ رفيقٌ
يديه... في حينَ أنَّ الطفلَ المسلمَ تُغريه كلُّ
هديةٍ إلا الكتابَ..!

إنها مصيبةٌ عامةٌ، فالطالبُ لا يشعرُ أنَّ مدرَّسهُ
يتجاوزُ في قراءتهِ المنهجَ الدراسيَّ، والطبيبُ
يَبقى على معلوماته القديمة، والمهندسُ لا يعيشُ
عصرَ الإبداعِ بأساسياته وتفصيلاته، ويحضرُ
المدرَّسُ والمهندسُ والطبيبُ والعاميُّ والصغيرُ
والكبيرُ للجمعة، فلا يشعرونَ أن خطيبهم يرجعُ
للمراجع أو يقرأُ الجديدَ، ولولا وجوبُ الجمعةِ
ما حضرَ للأغلبية العظمى من الخطباءِ أحدٌ.

كلُّ هذا وأكثرُ في أمةٍ أولُ كلمةٍ أنزلتَ عليها
(اقرأ)..!؟

ومرجعُها اسمه (الكتابُ)، وربُّها (العليمُ
الخيرُ)...

ونبيُّها سيِّدُ مُعلِّمي الناسِ الخيرِ (محمد
...)

الغراسُ الحادي والعشرونَ

غراسُ مَرَكزِ استكشافاتِ دَعْوِيَّةِ

العيون الساقية... لغراس مركز استكشافات دعوية

﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ أُسْمِعَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا
سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ
وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ
مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ
هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ
عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ» رواه
البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

غراس مركز الاستكشافات الدعوية

زارني أخي في الله «أنور» وكان قد هاجر إلى (بولندا) مُضطراً، وبعد خمس سنوات من الغياب، عاد إلى البلاد، وبينما كنا نمشي سويًا إذ سمع الأذان... التفت إلى صاحبي فإذا عيناه تدرفان وهو يستمع إلى الأذان...

وجدت أخانا هذا أصبح يحملُ مزيجاً عسيرَ الهضم من الأفكار والعقائد... من أثر العيش في المجتمع البولندي... نفايات الأفكار الشيوعية، ومواليد الأفكار الرأسمالية وخلفيات إسلامية، وأخلاقيات متناقضة... لكن صاحبنا حاول أن يصبغها بصبغة إسلامية! ولعله قد انكشف عنه الزيغ الطارئ الذي قد أصابه في سنوات العُربة في زيارته هذه والحمد لله رب العالمين .

وكانت هذه الزيارة نافذة صغيرة تُلزِمُ السامِعَ أن يُطَلَّ من خلالها إلى ذلك العالمِ فلربُّما غرس صدقة جارية لَمْ يَكُنْ يحلُمُ بها في حياته .

فلقد خرجت من هذه القِصَّةِ الحقيقيةِ بفوائد علمية كثيرة أهمُّها:

أن تعملَ مراكز الدعوة الإسلامية، والتي مقرُّها البلادُ الإسلامية، والمراكز التي مقرُّها الخارجُ مَسْحاً شاملاً على خارطة العالمِ كلِّه، وسنكتشفُ عندها عجباً!

فلو أننا أسَّسنا مركزاً استكشافياً لرصدِ حركة الدعوة إلى الإسلامِ في خارجِ بلادِ المسلمين، ومدى بلوغِ الدعوة أو انحسارِها عن كثيرٍ من البقاعِ لأَفْضَى ذلك بنا إلى نوعٍ من التنسيقِ بين مختلفِ الدعاة المسلمين ومُختلفِ الجماعاتِ الإسلامية . . . ولَبَلَّغنا رسالةَ الله إلى أماكنِ وأناسٍ ما كُنَّا لنَصِلَ إليهم لولا فضلُ الله ثُمَّ هذا المسحُ، وبإمكانِ هذا المسحِ وهذا المركزِ أو

غيره أن يقوم بدراساتٍ واضحةٍ عن تلك البلاد . . .
عن مبادئها وأفكارها والحرية فيها . . . ومن ثمَّ
مستقبل الإسلام فيها .

وبإمكانه أن يُزوّد الدعاة بهذه الدراسات بل
بإمكانه أن يكون مركزاً استشارياً لتوجيه الدعاة
إلى هنا وهناك . . .

لعلَّ بعضنا يستكثرُ على نفسه أو على غيره
التفكير في هذا المشروع فضلاً عن تَبْيِيهِ . . . !

لكننا لو عُدنا إلى كثيرٍ من البلاد التي دخلها
الإسلام وانتشر فيها في هذا القرن فقط، ثم دققنا
النظر إلى بداية الأمر . . . لاكتشفنا أن أول لحظةٍ
في شروق الإسلام على أرضها كانت هي لحظةُ
هبوط الإسلام في مطارات ذلك البلد، أو رؤس
سفينة الإسلام على موانئها، أو نزوله من
قطاراتها، ولوجدنا أن البداية ربّما كانت فرداً
واحداً يُقال له فلان المطرود أو فلان المهاجر،
أو فلان الهاربُ بدينه، أو فلان التاجر، أو فلان

الداعية المتطوع، أو فلان المسترزق، أو فلان
أوفلان!

نعم، فلقد كانت البدايةً شخصاً واحداً أو
مجموعةً صغيرة! فبورك في البذر، وكبرت
الشجرة، وامتدت الظلال وكثر الثمر، فأصبحت
هذه الشجرة جنان الخير الممتدة هناك.

هذه نتيجة الجهود الفردية، حين بارك الله بها
بفضله ثم بإخلاص أصحابها، فطوبى والله
لأولئك الرجال... ومن حذا حذوهم!؟

نعم إنها جهود فردية... فكيف لو أننا أنشأنا
لهذا الغرض هذه المؤسسة الاستكشافية
الإسلامية، إنها مؤسسة التجارة العالمية الحقيقية
لإنقاذ البشرية.

معاشر القراء: من الموفق الذي سيقوم الآن،
ويضرب صدره بيده، قائلاً: أنا لها، أنا لها؟
يخبرنا أخونا «أنور» أن في مناطق أخرى في

(بولندا) يوجد مسلمون بولنديون أكثر لكن الإسلام عندهم مشوه، فهم لا يعرفون للصلاة أركاناً ولا سنناً . . . إذا كيف سيعرفون (الزكاة) أو غيرها من أركان الإسلام!؟

أما اللباس الشرعي فإنه لا يغطي الرأس ولا العنق ولا الساقين، وهم يعتقدون أنهم بذلك ملتزمون، كما يعتقدون أن الآخرين مُتَزَمِّتُونَ!

أولاً يحتاج هؤلاء إلى نوع خاص من الدعاة من طلبة العلم الهيين، الخبراء، المتقنين، المتقين؟ . . . وهنا يأتي دور هذا المركز الاستكشافي الذي سيختار لكل مكان من يناسبه من الدعاة، وسيزود الدعاة بزاد يناسبهم ويناسب مدعوهم.

كما أن عند أولئك من المراكز التبشيرية العديد العديد . . . فلم نستكثر عمل ذلك علينا؟ وعدم قيام الرسميين بذلك لهذا السبب أو ذاك لا يُعفي العلماء والدعاة وطلاب العلم!

أخي القارئ: إن عَجَزْتَ عَن عملِ المركزِ
بمفردك أفتعجِزُ أن تجعلَهُ شِركَةً دعوةً إلى الله
تجمعُ لها الجهابذة من أهلِ الغيرةِ والقُدرةِ
والدعوةِ ، وتُجندَ لها مراسلين من إخوانك
المغتربين المخلصين ؟!

أنا لا أشكُّ أنَّ عندَ بعضِ الطوائفِ المنحرفةِ التي
كَوَّنتْ دُولاً مثلَ هذا المركزِ بل مراكزِ، وهذا من
أعظمِ أولوياتِ مهامِّ كلِّ سفارةٍ من سفاراتِهِم في
العالمِ الإسلاميِّ والعالمِ غيرِ المسلمِ الآخرِ .

إنَّ وجودَ هذهِ المعلوماتِ على موقعٍ من مواقعِ
الإنترنتِ شيءٌ ، وتسييرُ الدعاةِ شيءٌ آخرٌ! .

كما أنَّ كتابتي لهُ على الورقِ شيءٌ ، وإنشاءُ مراكزٍ
لها ميزانياتٌ أو إحياءُ مراكزٍ قيِّمةٍ شيءٌ آخرٌ! .

إنَّ تنظيرنا ومقترحنا هنا شيءٌ ، وتفردُ الآخرينَ
بالساحةِ الدعويةِ الخارجيةِ شيءٌ آخرٌ! .

إن لم تستطع السفارات لأسبابٍ عديدةٍ القيام
بالدعوة - وكثيرٌ من أفرادها راغبون في ذلك -
فلا بأس من أن يُعينوا في هذا المجالٍ بطريقٍ غيرِ
مباشرةٍ، وما أكثرَ الوسائلِ والأساليبِ الناجحةِ
الميسورةِ إذا خلصتِ النوايا . . .

فاللهم اعفُ عَنَّا فقد قصّرنا في حَمْلِ رسالةِ
نبيك ﷺ التي بُعثَ بها، وبعثَ بها كتباً إلى
الملوكِ والرؤساءِ، وسارتَ لتحقيقِها على أرضِ
الواقعِ قوافلُ الدعاةِ وجحافلُ المجاهدينِ،
وسالتَ لأجلِها أنهارٌ من الدماءِ، وارتفعتْ أبراجُ
من الجَمَاجِمِ، وسارتَ قوافلُ من الأيتامِ
والأراملِ، وماتَ لأجلِها الرجالُ والنساءُ مُغتربينِ
في تلكِ البلادِ، وبقيتْ قبورُهم إلى اليومِ علينا
شاهدةٌ وهي لهم شاهدةٌ . . . حتى بلغوا نورَ اللهِ
تعالى . . . فأشرقَتْ بهم القلوبُ والبلادُ . . .

الغراسُ الثاني والعشرونُ

غِرَاسُ الْمَعَاهِدِ (*)

(*) لا يعني كون هذا هو الغراس الأخير من هذا الجزء أن لا يلحقه أغرسة أخرى فربما تتبعه أغرسة أخرى ولو بعد صدور الجزء الثاني والذي سيكون موضوعه «غراس أهل العلم» إن شاء الله تعالى .

العيونُ الساقيةُ... لغراسِ المعاهد

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم «أتاه رِعْلٌ، وذكوانٌ، وعُصَيَّةٌ، وبنو لحيانٍ، فزعموا أنهم قد أسلموا، واستمدَّوه على قومهم، فأمدَّهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار، قال أنسٌ: كنا نسَمِّيهم القراءَ يَخطَبونَ بالنهارِ، ويُصلُّونَ بالليلِ، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئرَ معونةَ عَدَرُوا بهم وقتلُوهم، ففَنتَ شهرًا يدعو على رِعْلٍ، وذكوانٍ، وبنو لحيانٍ». رواه البخاري (٣٠٦٤).

غراسُ المعاهد

● النوعُ الأولُ: المعاهدُ الكبرى: -

التقيتُ أخصاً مُتحمّساً لمواجهةِ الكافرينَ
والمنصّرينَ الذين يَجُوبون بلادَ الإسلامِ مرّةً...
والتقيتُ أمثاله كثيراً...

وجاءني مراراً من ثارتِ ثورتهُ لظهورِ المنكراتِ
في بلادِ المسلمين...

وكَمْ رأيتُ من طلابِ علمٍ وعامةٍ مَنْ يقولُ: لو
كنتُ خطيباً لفرغتُ حماستي في قلوبِ الناسِ من
على المنبرِ...؟!!

وهكذا ينطقُ واحدٌ من هنا، وينطلقُ واحدٌ من
هناك، ويتمنطقُ ثالثٌ بحزامِ الحماسةِ، ويلفظُ
رابعٌ لفظاً يسمعه غيري في كلِّ بلدٍ وبلدةٍ مثلَ ما
سمعتُ أو أكثر...!

فإلى متى لا نجدُ لهؤلاءِ المتحمسينَ القنواتِ

الصحيحة التي تستثمر عقولهم وعاطفتهم ولا
تخطئها، وتبنيها ولا تهدمها..؟!!

يبقى السؤال طويلاً، وكبيراً، وأليماً، إلى
متى..؟!!

وإلى متى سينفلت بعض هؤلاء بمغزلٍ عن المنهج
الصحيح في مواجهة المبشرين بغير الإسلام، وفي
إنكار المنكرات، وما إلى ذلك..؟!!

وإلى متى تبقى هذه الفراغات الشاسعة في كيان
الأمّة الشرعيّ، والدعويّ، والأخويّ.. إلّا من
صيحة فردٍ هنا وصيحة هناك..؟!!

يُمكنُ أن يتحمّس مسلمٌ لإدخالِ كافرٍ على يديه
الإسلام، ويحقّق الله على يديه ذلك..!!

يمكنُ أن يتحمّس آخرٌ للقيامِ بواجبِ الأمرِ
بالمعروفِ والنهي عن المنكر..!!

ويمكنُ أن يتحمّس مَنْ عنده علمٌ شرعيٌّ لأنَّ
يرتقي المنبرَ فيصبح خطيباً..!!

ويمكنُ أن يتحمسَ من عنده العلمُ الشرعيُّ
لتدريسِ طلابٍ في حلقةٍ .. !

ويمكنُ أن يتحمسَ رياضيُّ ملتزمٌ بأن يُدرِّبَ
إخوانه في الله على الرياضة النافعة .. !

لكنْ ألا يمكنُ لهذه الحماسة أن تفتُرَ قريباً،
وتمرُضَ بمرُضٍ صاحبِها، وتُحبَسَ
بِحَبْسِهِ، وتموتَ بموتِهِ .. ؟!

ولو أنها لم تفتُرَ فكَمَ كانت ستكونُ ثمرتها،
وإلى متى ستبقى .. ؟!

وأخيراً: أفلا يُمكنُ أن نُحوِّلَ هذه الأفكارَ
وننطلقَ من خلالها إلى منهجيةٍ أبقى، وتطبيقٍ
أوسعَ في صورة: مؤسسة، أو معهدٍ تدريبي، أو
نادٍ، أو حضانة، أو نحو ذلك .. .

مُدَّةُ الدراسة: سنتانِ دراسيتانِ ويُمكنُ أن تكونَ
ستة أشهرٍ، يُمنَحُ بعدها الطالبُ شهادةً «دبلومٍ
داعية» .. .

ولذا فإنني سأذكر مختصراً لفكرة واحدة من هذه الأفكار الخمس السابقة، وهي فكرة مركز أو منشأة دعاة الجاليات أو مركز دعوة الجاليات، أو مركز حوار الجاليات، أو مركز التبادل الثقافي للجاليات ..

هدف المركز: تكوين داعية متكامل من الرجال والنساء لدعوة غير المسلمين من الرجال والنساء ..

المنهاج:

أولاً: القرآن الكريم

١ - تعليم الطالب القراءة الصحيحة للقرآن الكريم كله . . .

٢ - حفظ الدارس ابتداءً ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم إن أمكن ولتكن الأجزاء الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والجزء الثلاثين . . .

٣ - تفسير سورة البقرة وآل عمران مع الحفظ

لمن استطاع... والآيات التي تتعلق بالأديان، والحوار، والدعوة، مع معرفة سبب نزولها، وتنزيلها على الواقع.

ثانياً: العقيدة: أساسيات العقيدة الإسلامية الصحيحة، وخصوصاً ما هو موطن اختلاف الإسلام مع الأديان المحرّفة.

ثالثاً: الحديث: الأحاديث الواردة مع شرحها في الأمور التالية: وجوب دعوة غير المسلمين، وسيرة النبي ﷺ.

رابعاً: الفقه: أساسيات في الفقه الإسلامي: أحكام أهل الكتاب وغيرهم من أهل الأديان.

خامساً: طرق دعوة تعتمد التدريب العملي، مع التعريف بالمصطلحات الخاصة في هذا المجال.

سادساً: كيف تُحاوَر وتُقنع، وذلك من كتب أجنبية ككتاب: [الحوارات الحاسمة] لكبير باترسون - جوزيف جريني، رون كميلان - سويتزلر.

سابعاً: تاريخُ الأديانِ .

ثامناً: مقارنةُ الإسلامِ بالأديانِ .

تاسعاً: «لماذا اخترتُ الإسلامَ»: ما السرُّ الذي أقنع هؤلاء بالإسلامِ من مختلفِ المستوياتِ والدياناتِ ؟

عاشراً: من الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسُّنةِ .

الحادي عشر: شُبُهَاتُ كلِّ قومٍ عنِ الإسلامِ وإبطالُها .

الثاني عشر: نقاطُ ضَعْفِ كلِّ مبدإٍ من هذه المبادئِ والأديانِ .

الثالث عشر: عمَلُ بحثٍ للتخرُّجِ .

الرابع عشر: جَوَلَاتُ ميدانيةٍ في التدريبِ على الدعوةِ الفرديةِ .

الخامس عشر: دروسٌ عامةٌ لغيرِ المسلمينِ .

● ثمرةُ هذا المعهد:

أولاً: تحويلُ الحماسةِ الدعويةِ إلى منْهجيةِ
دَعْوِيَةٍ ، أو دَعْوَةٍ منْهجيةٍ .. وتحويلُ الدعوةِ
الفرديةِ إلى دَعْوَةٍ جماعيةٍ ، وتحويلُ الدعوةِ من
دَعْوَةٍ عَفْوِيَةٍ إلى دَعْوَةٍ مبنيةٍ على أسسٍ علميةٍ
تجريبيةٍ ... ومن ثَمَّ فلا بدَّ أن تكونَ ثمرةُ المركزِ
أكبرَ وأكثرَ وأعمَّ - بإذنِ الله - فإن السجالَ ربما
يطولُ كثيراً كعادتهِ بين داعيةٍ إسلاميٍّ ومدعوٍّ غيرِ
مسلمٍ ، وربما تمتدُّ لأيامٍ وسنينَ ، ولا ثمرةَ ..!
وربما ينتهي بشجارٍ وعداءٍ بينهما ..!؟

لكن إن كانَ المحاورُ المسلمُ قد تأصَّلَ في
الدينِ، ودرَسَ نقاطَ ضعفِ تلكَ الأديانِ، ودرَسَ
أساليبَ الحوارِ والإقناعِ استطاعَ أن يضربَ وترَ
الاستجابةِ من أولِ الحوارِ، ويدقَّ بابَ القبولِ في
قلبه سريعا، فيفتحُ له القلبُ ويدخلُ الهدى بإذنِ
الله، بخلافِ ذلكَ المجتهدِ المتخبطِ ...

وعليه فإنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ الدعاةِ مِنْ خلالِ هذا المعهدِ يستطيعُ أن يتكفَّلَ بمنطقةٍ وحدَه، ويحاوِرَ مجموعةً وحدَه. . . وسوف نرى له ثَمرةً جديدةً كلَّ يومٍ جديدٍ بإذنِ اللهِ تعالى .

ثمَّ إنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ هؤلاءِ يستطيعُ - بإذنِ اللهِ تعالى - أن يُنشِئَ معهداً بنفسِه بعد ذلكَ لخبرتهِ وتجربتهِ وتخصُّصِه . . .

ثانياً: إنزالُ هؤلاءِ المتخرِّجينَ إلى الميدانِ ، حيثُ يُمكنُ عقدُ اتفاقاتٍ أو تفاهماتٍ ما بينَ أصحابِ الشركاتِ والعُمالِ الأجنبيِّ من غيرِ المسلمينَ وبينَ المعهدِ ليسمَحَ على أساسِه للداعيةِ الالتقاءِ بالعاملينَ، وحين يرى هؤلاءِ الملاكُ ثَمرةَ هؤلاءِ الدعاةِ في العاملينَ والموظفينَ في أخلاقِهِم وفي مُعتقدِهِم، ويعلمون أن هذا في ميزانِهِم يومِ القيامةِ فسوف يزدادون حماسةً واندفاعاً بإذنِ اللهِ تعالى .

* كما يُمكنُ إنزالُ هؤلاءِ الدعاةِ إلى مَوْطنِ

تجمعات الجاليات ، ويمكن أن تُعقد لقاءات فردية مع شخصيات كبيرة وصغيرة مع هؤلاء الدعاة ، ويمكن أن تُجعل إعلانات لكل من عنده رَجُل يريد إقناعه أو محاورته ، أو صديق أو خادمة أو مفكر أو نحو ذلك من أي ديانة موجودة .

ولا بد من عمل موقع على شبكة الإنترنت لهذا الغرض ، وكذلك موقع في اتصالات البلد العامة .

فوجود هذا المعهد بأفروع متعددة في البلاد التي يكثر فيها غير المسلمين أمر ضروري يعيد الكرة للمسلمين دَعْوِيًّا . . .

ثالثاً : اعتماد طريقة جديدة في التأليف الدَعْوِيّ لهداية أصحاب المِلل الأخرى . . فإن أغلب ما هو موجود إنما هو تأليفات فردية اجتهادية انبثقت من حماسة بقصد إبراء الذمة والتبليغ . . بينما المطلوب بالإضافة لذلك هو مؤلفات تخاطب كل قوم بمختلف طبقاتهم وبأساليب متنوعة ، ومن داخلهم ، مُنطلقة معهم من مبدأ (حَقُّكُمْ فِي

التفكيرِ وَطَرِيقُنَا الحَوَارِ)، مُسْتَخْرِجَةً كُلَّ شُبْهَةٍ يَقُولُونَهَا وَإِبْطَالَهَا، لَا بِأَسْلُوبِ الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَإِنَّمَا بِمَنْهَجِيَّةٍ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، آخِذَةً بِأَيْدِيهِمْ نَحْوَ الْهَدَايَةِ بِاللِّطْفِ طَرِيقٍ، مُوَصِّلَةٍ إِيَّاهُمْ لِيَحْمِلُوا هَمَّ الدَّعْوَةِ لِلْإِسْلَامِ، وَفَقَّ مَنْهَجِيَّةً: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، وَإِنَّ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْحَقِّ عِنْدَنَا مِثْلُهُ وَزِيَادَةٌ..

كُتِبَ تُظْهِرُ شِنَاعَةَ مَا عَلَيْهِ هُمْ مِنْ تَصَوُّرٍ عَنِ دِينِ بَاطِلٍ، وَكَمَالِ دِينِ الْإِسْلَامِ.

كُتِبَ لَا يَتِمَّ كُنُ الْقَارِئِ إِلَّا مِنَ الْاِسْتِسْلَامِ الْفَوْرِيِّ لِمَعْلُومَاتِهَا وَأَسْلُوبِهَا وَمَطْلُوبِهَا..

إِنَّ فِكْرَةَ هَذَا الْمَعْهَدِ تُسْقِطُ عَنِ كَاهِلِ الْكَثِيرِينَ مِمَّا فَرِيضَةُ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَهُؤُلَاءِ الضَّالِّينَ وَتُحَقِّقُ الْإِعْذَارَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى...

إِنِّي وَأَنَا أُسَجِّلُ هَذِهِ الْفِكْرَةَ لِأَشْعُرُ أَنَّ مَسْتَوَايَ

الدعويّ والإقناعيّ... من خلال معهد كهذا سيكون مختلفاً... ومعرفتي بنقاط ومواطن إقناع المذاهب الأخرى سيختلف كثيراً عما أنا عليه الآن وفي المستقبل لو بقيت هكذا من غير الدراسة فيه.

إنها فكرة معهد تولد منها معاهد، كلُّ معهد فيها يزيل عن كواهلنا تكليفاً شرعياً، ويحقق الدور على أوسع مدى وأكبر نطاق، ويخرجنا من الاجتهادات الفردية، والحماسات الشخصية الخاطئة أو الصائبة. فأين هذه الفكرة من مجرد حماسة فائرة، أو فائرة..؟!!

إنها فكرة معهد يمكن أن تنتج معاهد في جوانب مختلفة لطالما اعتمدنا فيها الاجتهاد الفرديّ.

فأين جهد خطيب واحد من تأسيس معهد خطابة متخصص، ذي هدف سام، وفكر أصيل، وفهم واسع، وغيره مؤصلة لإنشاء جيل جديد من الخطباء..؟!!

وأين طالب علم شرعيٍّ مُتَمَكِّنٍ يُعطي دروساً للعامَّةِ والشبابِ من إنشاءِ معهدٍ حكوميٍّ أو أهليٍّ له في كل منطقةٍ فرعٍ، لديه منهجٌ يغلبُ على حضوره المتزوِّجونَ، والموظفونَ، ويكون مسائياً أو صباحياً للمتقاعدَيْن والمتقاعداتِ أو القواعدِ ، ويكون هدفه تعليمَ الدارسين فيه «ما لا يسعُ المسلمَ جهله» في كلِّ بابٍ من أبوابِ العلومِ الشرعيةِ، بحيثُ يستطيعُ الدارسُ أن يجيبَ إذا ما سُئلَ عما يتعلقُ بضرورياتِ حياته، بما درسَ من علمٍ ويستطيعُ تعليمَ أهله ما لا يسعُهُم جهله فيعذرنا هؤلاء الراحلونَ إلى الله إذا سَبَقونا !؟

● النوعُ الثاني: المعاهدُ الصُّغرى «معاهدُ الدورات»: -

أبو محمد «عبدالله بن أحمد» منذُ سنينَ وأنا أراه بعدَ صلاةِ الجمعةِ يسلمُ عليَّ - كعادةِ سلامِ المصلِّينَ على الخطيبِ - ولم يأخذُ من انتباهي أيَّ مأخذٍ... حتى وقعَ حادثٌ لولدي «حامد»،

فزارني في المستشفى لعيادةٍ ولدي، فأخذتُ
 أسترجعُ الذاكرةَ نحوَ هذا الرجلِ، ولم أجد له
 مِن ذكرٍ في الذاكرةِ إلا «سلامَ الجمعةِ»...!
 رحَّبْتُ به وقرَّبْتُ ثم قلتُ له: كل، اشرب...
 قال: لا، إنما أريدُ زيارَتكم، ولا أريدُ الأكلَ
 ولا الشربَ.

وحينما أصررتُ عليه تبينَ لي أن «أبا محمد»
 يخشى أن يكونَ في أكله عندنا، أو شربه،
 تعجيلٌ لبعضِ أجرِ عيادتهِ المريضِ في الدنيا...!
 ويُقدِّرُ اللهُ أن يفتحَ الرجلُ معي، فأخرجَ من
 أسرارهِ العجيبةِ ما ادَّخره سنينَ طويلةً عن جميعِ
 الناسِ..

عمره الآن يناهزُ الخمسينَ، لكنَّه منذُ إحدى
 وعشرينَ سنةً وهو يُحافظُ على زيارةِ المستشفياتِ
 في «دُبي» أربعةَ أيامٍ كلَّ أسبوعٍ على الأقلِّ...!
 فأني طاقةٌ هذه، وأني التزامٌ هذا، وأني إحساسٌ

بحاجة هؤلاء المرضى هذا، وأيُّ ذكرياتٍ يحملها
هذا الرجلُ..؟!!

فهنيئاً لك يا «أبا محمد» بتشجيعِ الملائكةِ لك
ذاهباً وآيباً والنبيُّ ﷺ يقول «ما من مُسلمٍ يعودُ
مسليماً غُدوةً إلا صَلَّى عليه سبعونَ ألفَ ملكٍ
حتى يُمسي، وإنَّ عادَه عَشِيَّةً إلا صَلَّى عليه
سبعونَ ألفَ ملكٍ حتى يُصبحَ، وكانَ له خَريفٌ
في الجَنَّةِ»^(١)

ويقول: «مَنْ عادَ مريضاً لم يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ
حتى يَرْجِعَ»^(٢).

ويقولُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا
ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ
أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ

(١) رواه الترمذي (٩٦٩) كتاب الجنائز، باب عيادة المريض.
وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٨)، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة
المريض.

عبي فلاناً مرضَ فلمَ تُعْده؟ أما عَلِمْتَ أنك لو
عُدْتَهُ لوجَدْتَنِي عنْدَهُ؟»^(١).

أخذَ «عبدالله» بيدي في المستشفى، وأدخلني
على مَرَضِي من بلادٍ مختلفةٍ، في غرفٍ مختلفةٍ،
ولكلِّ واحدٍ قصةٌ مختلفةٌ، لكنَّ القاسمَ المشتركَ
أنَّ «عبدالله» كلما دَخَلَ على واحدٍ مِنْهُمْ تهلَّلَ
وجهُ المريضِ، وطفَحَ عليه البِشْرُ والفرْحُ، وكانَّ
العافيةَ التي يَنشُدُها دَخَلَتْ عليه..!

كنا إذا خَرَجْنَا مِنْ عنْدِ العديدي من المرضى،
تخَلَّفَ «عبدالله» عنْدَ المريضِ لَحْظَةً، راقبْتُهُ فإذا
به يذكِّرُهُ بالعهدِ الذي بينَهُ وبينَهُ.. وماذا كان
ذلكَ العهدُ..؟!

إنه يقولُ لَهُ في خُفْيَةٍ: اطلُبْ مني ما
تحتاجُ... فأنا خادِمُكَ..! هكذا يقولُ
للمريضِ..!

(١) رواه مسلم (٢٥٦٩)، كتاب البر والصلة، باب فضل عيادة
المريض.

ولطالما أتى لهذا المريض «ببطاقة هاتف» ليتَّصلَ بأهله في الداخل والخارج، وأتى لذلك بكرسيٍّ متحركٍ، وأتى لثالثٍ بطعامٍ يُحبُّه بحيثُ لا يخالفُ نظامَ المستشفى الغذائيِّ، وأوصى هذا باتِّباعِ أوامرِ الطبيبِ . . . وهكذا فهو خيرٌ يجري، بل نورٌ يسري . . .

لم آخذُ منه بعدُ كلَّ ما عنده مما جمعه منذُ أكثرَ من عشرين سنةً، فقد اختزنَ من القَصَصِ الأعاجيبِ، أسألُ اللهَ أن يُقرِّ عينه بما يفعلُ يومَ أن يلقاهُ . . .

لا يزالُ - عبدالله - يرمى رجلاً من أهلِ الثراءِ في المستشفى - وهو لا يعرفه - يقولُ وما كنتُ أقطعُ صلتهُ وكان يرجوني أن لا أقطعَ زيارتهُ، وذاتَ يومٍ دفع لي حُزْمَةً ضخمةً من النقودِ كلُّ واحدٍ منها خمسمائةِ درهمٍ، فأعدتها إليه، ثمَّ قلتُ له: إن فعلتها ثانيةً فلنَ أزوركَ أبداً، فلمَ يزالُ بي حتى خرجتُ من عنده مُغضباً، فقال: لا

تَغَضَّبُ فأنَا أَحِبُّكَ ، وَأَعَادَ نَقْوَدَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ :
إِذَا لَا تَقْطَعُنِي . . .

نعم : كان ثرياً أو ذا عيالٍ . . . وَلَكِنْ ما كانَ
أولادُهُ بررةً به ، فوجدَ في «عبدالله» عَوْضاً عن
الأهلِ والولدِ . . .

فكم في المستشفياتِ وأمثالها من رَجالٍ ونساءٍ
نَفَرَ عنهم أهلُهُم وفرُّوا منهم فِرَارُهُم من
المجدومِ ، بعدما أَكَلَ الجيلُ الحاضرُ ثمرةَ شبابِهِم
وحصادَ عافيتِهِم . . . !؟

تأخَّرْتُ يوماً عن عيادةِ ولدي «حامد» فإذا «بأبي
محمد» قد سبقني ، فوجدتُ وجهَهُ يطفحُ بالبشرِ ،
بل تكادُ الضحكةُ تسبقُ كلامَهُ لشدةِ فرجهِ ، فقالَ
لي : جئتُكَ الصبَاحَ هنا وما وجدتُكَ ، أردتُ أنْ
أخبرَكَ عن ذلكَ الإنجليزِيِّ الذي أهديتُهُ منذُ شهرينِ
كتابَ : «ترجمةُ معاني القرآن» وبعضَ الكُتبياتِ عن
الإسلامِ ، ثم قطعتهُ بعدما غضبَ عليَّ أبواه
وطرداني من عندهِ ومنعاني من زيارتهِ . . .

قال: عدتُ له اليومَ وإذا به يحدثني حديثَ المؤمنين، بعدما التَّهَمَ الكُتَبَ كُلَّهَا، وقرأ كتابَ «معاني القرآن» كلَّه، وقد أعلنَ الشهادتينِ بحمدِ الله تعالى . . .

والذي أثارَ استغرابَ «أبي محمد» حقيقةً هو استشهادهُ بالآياتِ والأحاديثِ وتعمُّهُ في الدينِ . . . ولا يزالُ «أبو محمد» يكرِّرُ لي ذلكَ ويُقَهِّقُهُ فرحاً، ولكن بهدوئه الفطريِّ . . .

فاستغربتُ - حقيقةً - لشدةِ فرحهِ هذا . . . حتى قلتُ له في خفاءٍ: يا «أبا محمد» هل هذا أولُ واحدٍ يُسلمُ على يديك . . .؟!!

فأسرَّ لي بأخفضَ منها: لا بل هم كثيرٌ والحمدُ لله . . .

قلتُ في نفسي: سبحانَ الله أفي كلِّ مرةٍ يتكرَّرُ معه هذا الفرحُ بهذه الطريقةِ . . .?!!

إنه الصدقُ، إنه التجردُ . . . إنه قولُ الله: ﴿قُلْ

بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، هذه والله هي الغنيمَةُ . .

إنه والله مدرسة في الاحتسابِ لله، في نسيانِ
حظوظِ النفسِ، وفي التجردِ لله تعالى، في
التخفيِّ بالقُرْبَاتِ، في الوَرَعِ، وفي الزهدِ في
الدنيا . . .

مدرسة في الدعوة إلى الله، وإن لم يضعه
الدعاة في قوائمِ الدعاة . .

فيا له من هدوءٍ في مشية، وتواضعٍ في ملبسٍ،
وتخفٍّ في عملٍ، وتخافتٍ في حديثٍ . . .

هنا طرأت لي فكرة . . . إنها فكرة «التخصُّصِ
الدَّعَوِيِّ» .

فمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ التَّخْصِصَ هُوَ أَدْعَى
لِلتَّعْمِقِ، وَدِقَّةِ الْفَهْمِ، وَكثافةِ الْإِنْتاجِ، وَسُرْعَةِ
بَلُوغِ الْهَدَفِ . . فَلِمَ لَا نُعَدُّ مَنَاهِجَ تَخْصِصِيَّةً
لِلدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَنُنشِئُهُمْ وَفَقَ ذَلِكَ

المنهج... منهج تخصصي في دعوة المساجين،
ومنهج تخصصي في دعوة المدارس، ومنهج
تخصصي في دعوة المعوقين، ومنهج تخصصي
في دعوة المرضى... ولا يضر أن يأخذ الداعية
أكثر من تخصص...

فكم نفوت على أنفسنا من فتوح حين نُؤخَّرُ
الدعوة عن وقتها الأنسب، فنؤخَّرُها حتى يخرج
هؤلاء مما هم فيه، فيعودوا إلى ما كانوا عليه من
قبل، إذ إنَّ حجاب الغرور في الحياة المعتادة مع
حجاب الجحود، مع حجاب الغفلة وما إلى ذلك
من حجب، تُكشَفُ غالباً في مثل هذه المواطن
والظروف، ونحن عن هذه المواطن في غفلة، إذ
إننا نُوكِّلُ الدعوة في هذه المواطن لجهود عارضة
من هنا وهناك.. مع أنَّ الدعوة هنا أَدْعَى
للقبول: فالمستشفيات موطن عبْرَة، وهي المعبر
الأكبر للدار الآخرة، وهي الموزع لجموع كثيرة
من الناس إما إلى الدنيا أو إلى المقبرة..!

فأَيُّ شَيْءٍ أَعْظَمُ مِنْ هِدَايَةِ رَجُلٍ لِلإِسْلَامِ، أَوْ
 إِعَانَةِ عَاصٍ عَلَى التَّوْبَةِ، أَوْ طَائِشٍ عَلَى
 الِاسْتِقَامَةِ، أَوْ قَانِطٍ سَاخِطٍ إِلَى الأَمَلِ بِاللَّهِ
 وَالرِّضَا بِقَدْرِ اللَّهِ، أَوْ تَارِكٍ لِلصَّلَاةِ جَهْلًا بِهَا
 لِلصَّلَاةِ، أَوْ مَرِيضٍ لَا يَحْسِنُ الصَّلَاةَ إِلَى تَعْلِيمِهِ
 صَّلَاةَ المَرِيضِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، أَوْ
 إِعَانَةِ مَرِيضٍ يِنَازِعُ لِرُوحِهِ النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ كَمَا
 صَنَعَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الوَلَدِ اليَهُودِيِّ . . .

إِنَّ الدَّاعِيَةَ المَتَخَصِّصَ يَزْدَادُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَجَالِ
 تَخَصُّصِهِ إِنتَاجًا، فَدَعْوَتُهُ تَنْضُجُ عَلَى نَارِ التَّجَارِبِ
 أَكْثَرَ، وَيَتَكَثَّرُ إِنتَاجُهُ أَكْثَرَ . . .

وأخيراً:

فليسَ غِرَاسُ المَعَاهِدِ مُقْتَصِرًا عَلَى هَذَيْنِ
 المَعْهَدَيْنِ فَحَسْبُ . . . إِذْ إِنَّ المَعَاهِدَ عُنْوَانُ
 النِّظَامِ الصَّحِيحِ، وَالتَّدْرُجِ السَّلِيمِ، وَالمَنْهَاجِيَّةِ
 العِلْمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَالِإِتِّمَاعِ وَالإِلتِزَامِ بِالمُنَاجِي

العِلْمِيَّة، والتَّثَبُّتِ مِنْ بَلُوغِ الْهَدَفِ . . .

وَلَكَّ أَنْ تَتَصَوَّرَ حَاجَتَنَا فِي كُلِّ مَجَالٍ مِنْ
الْمَجَالَاتِ، وَعَلَيْهِ فَلَكَّ أَنْ تَتَصَوَّرَ كَمَّ مَعْهَدًا
نَحْتَاجُ؟!

فبالإضافة لجميع العلوم الشرعية، اعمل مسحا
للعلوم الحياتية، واعمَلْ مَسْحًا لِلْمَعَاهِدِ فِي دَوْلِ
العالم الآخر، وأنواعها، وانقل على الورق ما
ترى أنَّ الأمة في حاجة إليه منها، وشاور أهل
العلم في إعداد الدراسات كل في تخصصه،
وأضف لمنهجها ما يضبط البناء الإيماني الخُلُقِيَّ
عند الدارسين، وضع ميزانية، واختر لكل معهد
رَجُلَهُ وَقَائِدَهُ، وقدم هذا المشروع لمن يغرسه
ويرعاه ويسقيه . . . سواء كان فرداً أم جهة أم
دولة . . .

أخي القارئ . . . إنك ستحوّل بهذه الفكرة
جموعاً كثيرة من الناس من عامة سلبيين، إلى
دعاة متخصصين متعمقين في الدعوة، مُنتَجِنِ

أعظمَ الإنتاجِ في أقصرِ الأوقاتِ وأقلِّ المجهوداتِ
وذلكَ في أصعبِ مناحي الحياةِ: ألاَّ إنَّها ظروفُ
الكُرباتِ .

فهلْ مِنْ غارسينَ في بلادِ المسلمينَ وغيرِ
المسلمينَ لهذا الغراسِ «غراسُ معاهدِ الدوراتِ
الدَّعويةِ المتخصَّصةِ»؟! . . . !



الخاتمة

هل أدركت قصدي..؟
بين ما كتبت... وبين ما أريد

هل أدركت قصدي...؟!

هذا هو السؤال الأهم... الذي تستطيع من خلال النظر فيه قياس مدى إدراكك لغاية البحث، مع علمي أنّ ثمة فئة قد أدركوا ما أريد وأكثر مما أريد..

لكن: إذا كنت تريد أن تعرف أدركت المراد الحقيقي من هذا الكتاب، أو لم تدركه، فانظر في هذه الآيات والأحاديث التي سأسوقها إليك... أنظر إليها بتدبر، وتوقف لحظة عند كل نص، وحاول أن تطبق عليها منهج البحث في هذا الكتاب، فلا أدري هل سيقع في نفسك ما أردت منك، أم أنك لم تصل بعد إلى ذلك؟ وبعدها سأصارحك بقصدي .

١ - يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ

سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

٢ - في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَ الصَّدَقَةُ اللَّفْحَةُ الصَّفِيُّ مَنَحَةٌ،
الشَّاةُ الصَّفِيُّ مَنَحَةٌ، تَغْدُو بِنَاءٍ وَتَرَوْحُ بِآخِرٍ» (١)

٣ - عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء
رجلٌ بناقةٍ مخطومة، فقال: هذه في سبيلِ الله،
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ، كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» (٢).

٤ - عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ
بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ
الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ
لِلرَّجُلِ الرَّدِيِّ البَصْرَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ

(١) رواه البخاري (٥٦٠٨) في كتاب الأشربة - باب شرب اللبن .

(٢) رواه مسلم (١٨٩٢) في كتاب الإمارة - باب الصدقة في سبيل

الله وتضعيفها .

الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة،
 وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» (١).
 إذا فهذا بعض دلو ماء .

٥ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطة بني الله له بيتاً في الجنة» (٢).

٦ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من منح منيحة لبن، أو منيحة ورق، أو هدى زقاقاً فهو كعتق رقبة» (٣).

- قوله: «منح منيحة ورق» إنما يعني به قرض الدرهم.

(١) رواه الترمذي (١٩٥٦)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في صنائع المعروف، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن حبان (١٦١٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٨٦١٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

- قوله: «أَوْ هَدَى زُقَاقًا» يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل.

٧ - عن محمد بن كعب القرظي، قال: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الْم﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» (١).

٨ - عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا وَكَافُلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا» (٢).

٩ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ أَجْرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بئْرًا، أَوْ

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر.

(٢) رواه البخاري (٦٠٠٥) كتاب: الأدب، باب: فضل من يعول يتيماً.

غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ» (١).

١٠ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَغْرِسُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ سَبْعٌ أَوْ طَائِرٌ أَوْ شَيْءٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ» (٢).

١١ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَفَرَ بئرَ ماءٍ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ كَبِدُ حَرَّى، مِنْ جَنِّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا طَائِرٍ إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

● وَالآن: أَعُودُ لِأَسْأَلُ:

ما الذي تركته هذه النصوص في نفسك وأنت تقرؤها، وتتفاعل معها؟

- (١) رواه البزار وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع (٣٦٠٢).
 (٢) مسلم (١٥٥٢) كتاب المساقاة باب: فضل الغرس والزرع.
 (٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٢)، وصححه الألباني، انظر صحيح الترغيب والترهيب (٢٧١).

أَرْجِعَ البَصَرَ الكَرَّةَ تَلَوُ الكَرَّةِ، وَأَمْعِنِ الفِكْرَ
المرّة بعد المرّة... قَبْلَ أَنْ تُجِيبَ .

لعلَّ إجابةَ البعضِ مِنَ القُرَّاءِ عِنْدَ تَلْقَائِي كُلِّ
حديثٍ هي أَنْ: أَحَاوِلَ العَمَلَ بِهَذَا الحَدِيثِ كي
أحوزَ الأجرَ الموعودَ به هنا .

فإذا كَانَ ذَلِكَ مُنتَهَى أَمَلِ البعضِ فَلَسَوْفَ أُخْبِرُهُ
بِأَسْفِي عَلَى عَدَمِ بَلوغِ سَهْمِهِ مَرَمَاهُ، فَلَقَدْ نَثَرْتُ لَهُ
جِعايَ بما أَخَذَ مِنْهَا إِلَّا لِنَفْسِهِ، وما وَقَعَ سَهْمُ
قوسِهِ إِلَّا عِنْدَ رِجْلِ فَرَسِهِ!

فيا أَيُّها البعضُ: أينَ تَأْسِيسُكَ عَقْلِيَّةَ التَّأْسِيسِ فِي
داخِلِكَ مِنْ خِلالِ رِحْلَةِ «الغراس»؟! . . .!

أينَ التَّحَوُّلُ الصَّغِيرُ - الَّذِي ذَكَرْنَا - فِي عُمُقِ
عَقْلِيَّتِكَ ذاكَ الَّذِي يُثْمِرُ أعْظَمَ تَحَوُّلٍ؟! . . .!

أينَ تَلْقَى الكَلِمَةَ القُرْآنِيَّةَ وَالنَّبَوِيَّةَ بِالعَقْلِيَّةِ
الهِمَامَةِ، وَالْأَيَادِي الحَارِثَةَ؟! . . .!

أينَ اتَّسَاعُ وادي عَقْلِكَ حَتَّى يَسَعَ بِلَدِّكَ،

وأُمَّتِكَ، ويمتدُّ إلى الأجيالِ التي مِن بعدِكَ..؟!
 مزيداً من احتمالِكَ لِعِتَابِي يجعلُنِي أَصَارِحُكَ
 فأقولُ لَكَ مُعْتَذِراً:

نعم، مازالتِ العوائِقُ التي ذكُرتُ لَكَ راسِخةً
 في عقلِكَ، لم تستطعْ تجاوزَها فَضْلاً عَن أن
 تستطيعَ اقتلاعَها..!

ولذا فإنِّي الآن لا أرى لك بُدّاً مِن إعادةِ المرورِ
 بـ «الغِراسِ» غِراساً غِراساً - مرّةً أُخرى - فلعلَّكَ
 تكتشفُ أن ما حَسِبْتَهُ مِن قَبْلُ حَبّاً مُنقى للقِرى،
 أو فسيلاً مُعدّاً للجُمّار والأكلِ، فأكلته
 وحدك..! إنما كان مُعدّاً للغِراسِ الباقي لِيُستَظَلَّ
 بظلهِ، ويؤكَلَ بعضُه، وَيَنْتَفِعَ منه أهْلُكَ، وبنو
 قومِكَ، وأُمَّتِكَ، والحيوانُ، والطيرُ، والناسُ مِن
 بعدِكَ إلى ما شاء اللهُ..

أفيليقُ بالقارئِ أن يَمُرَّ بكلِّ غِراسٍ من
 هذا «الغِراسِ»، فَتَقَدِّمُ لَهُ - في الخاتمة - كلُّ
 هذهِ النصوصِ المَعَدَّةِ للغِراسِ.. ثم هو لا يُفكِّرُ

إِلا بِنَفْسِهِ . . !

فأين «غراسُ الأحاسيسِ الحارثة» في أحاسيسِكَ؟

وأيْن حَرْتُ «غراسِ الهممِ الحارثة» في هَمَّتِكَ؟!!

ألم تمرَّ بـ «شجرة المؤمن» الباسقة فتري
المصانعَ تتناثرُ منها في كلِّ اتجاهٍ، وخيرُها يصلُ
إلى أبعدِ نقطةٍ في الدنيا؟!!

أم أنك ما رأيتَ الإمامةَ في فُصولِ «الغراس»
عندما مرَّرتَ بـ «غراسِ الإمامِ الداعية» . .؟!!

أم أنَّ الشيطانَ أنساكَ غِراسَ المصلِحين في
«مسجدِ الشيطان» ومجلىسه . .؟!!

أم أنك ما رأيتَ البناءَ الإيمانيَّ وكيف يُؤسَّسُ
ويشْمَخُ في رحلةِ «الوفدِ الطلابي» إلى الله؟!!

حقاً إنَّك بحاجةٍ لأن تُغوصَ بعقلِكَ ثانيةً إلى
أعماقِ بحورِ «عقليةِ اصطناعِ البدائلِ النافعة» . .

إنَّك بحاجةٍ لأن تعودَ ثانيةً لكلِّ غراسٍ وتوقفَ
في رياضِهِ قليلاً . . . وتُعيدَ - أسئلةً «بوابةِ

الغراس»-، الأسئلة الستة الأولى على نفسك . . .
 وإن قَبِلْتُ قولَكَ عن كلِّ ذلك، فلا أَدْرِي كيف
 يُمكنُ أن أَعْتَذِرَ لك عن نِسْيَانِكَ عنوانَ الغراس،
 إنه: «الغراس»! .

وكيف لَمْ يَسْتَقِرَّ في قلبِكَ شعارُ الكتابِ المتألقِ
 في أولِهِ - مِنْ دَاخِلِهِ - مِنْ قولِهِ ﷺ: «لا يَزَالُ اللَّهُ
 يَغْرِسُ في هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمَلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» . . .

نَعَمْ: مِنَ الْقُرَّاءِ مَنْ فَاقَ إدْرَاكُهُ مَا قَصَدْتُ،
 وَبَعَدَتْ رَمِيَّتُهُ عَمَّا رَنَوْتُ . . . وما هَذَا بِعِتَابٍ إِنَّمَا
 هِيَ دَعْوَةٌ لِلبَعْضِ لِيَبْلُغَ ذَلِكَ المَبْلُغَ وَيَزِيدَ . . .

والآن! دَعْنِي أَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ
 مِنَ النُّصُوصِ - فِي هَذِهِ الخَاتِمَةِ -، لِأَبَيِّنَ حَقِيقَةً
 رُبَّمَا خَفِيَّتْ عَلَى البَعْضِ، تَلِكِ هِيَ: أَنَّ جَمِيعَ مَا
 وَرَدَ فِي النُّصُوصِ الوَارِدَةِ - هُنَا وَمَا فِيهَا مِنْ
 أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ- إِنَّمَا كَانَ ذِكْرًا لِأَقْلٍ مَا يُمكنُ
 عَمَلُهُ . . . الأَقْلُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ فِي القِلَّةِ . . .

فماذا أقلُّ من الحَبَّةِ في سنبلةٍ كما في الآية
المذكورة أولاً . . ؟

وماذا أقلُّ من اللَّقْحَةِ أو من الناقَةِ المخطومةِ أو
من المنيحةِ الواحدةِ - من ذاتِ الصَّنْفِ - كما في
الحديثِ الثاني والثالثِ . . ؟

وأَيُّ شيءٍ يُمكنُ أن يُفَرِّغَ منه أصغرُ من الدَّلْوِ،
بل بعضُ الدَّلْوِ كما جاء في الحديثِ الرابعِ . . . ؟
وأَيُّ مسجدٍ يبلغُ في الصَّغَرِ كَمَفْحَصِ
قِطَاةٍ . . . ؟

وأَيُّ منطوقٍ أقلُّ من الحَرْفِ كما في الحديثِ
السابعِ . . . ؟

وأَيُّ كِفَالَةٍ أصغرُ وأقلُّ من كِفَالَةِ اليَتِيمِ، كما في
الحديثِ الثامنِ . . . ؟

وأَيُّ ماءٍ أو غَرْسٍ يُمكنُ أن يُتَّصَدَّقَ به أقلُّ مما
يحمِلُهُ منقارُ الطائرِ كما في الحديثِ العاشرِ
والحادي عشرِ . . . ؟

نعم بهذا التحديد تحدثتُ نصوصُ الصدقاتِ الجاريةِ العظيمةِ، لكنَّ الغرابةَ أن يُصَبِّحَ المسلمُ الطموحُ اليومَ ممن يتمسكُ بحرفيةِ النصِّ في غراسِ الصدقاتِ الجاريةِ، حتى يجعلَ مُنتهى أملهِ الحبةَ، واللقحةَ، والناقَةَ المخطومةَ، والمنيحةَ، وهكذا وهكذا ! وإنما على صِغَرِها لعظيمةٌ.

لكنَّ السؤالَ هنا هو: أهذا الحدُّ المذكورُ في النصوصِ السابقةِ هو الحدُّ الأدنى أم الأعلى؟ ألا توجدُ درجاتٌ أعلى من الحَبَّةِ الواحدةِ؟! أعلى من اللقحةِ الواحدةِ؟! أكثرُ من بعضِ الدُّلو؟! أكثرُ من الحَرْفِ الواحدِ مِنَ القرآنِ؟! أعلى وأعلى...

نعم واللهِ إذا تقبَّلَ اللهُ هذا القليلَ جعلَهُ اللهُ كثيراً... ولكن ماذا لو قدَّمنا الكثيرَ وتقبَّلَهُ اللهُ؟! إنني لم أفكِّرُ أبداً حينَ كتبتُ هذا الكتابَ أن تكونَ ثمرةُ غِراسه، وصدقاتِهِ الجارياتِ، هي أن تلتزِمَ بهذهِ الجُزئيةِ مِنَ الصدقاتِ الجاريةِ، ولا أن

تَعْمَلْ كَفَرْدٍ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي
هَذِهِ الرِّيَاضِ وَتُنْتَهِي حَيَاتَكَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ . . ! لَا
وَاللَّهِ، إِنَّمَا أَرَدْتُ: أَنْ يَتَخَطَّى تَصَوُّرُكَ التَّصَوُّرَ
الْمَعْتَادَ . . .

أَرَدْتُ أَنْ يَتَعَدَّى أَمْلُكَ وَتَخَطِيْطُكَ حُدُودَ نَظْرِكَ
الْحَالِي فَيَتَعَدَّى إِلَى مَا بَعْدَ الْمُنْتَهَى مِنْ
التَّخَطِيْطِ . . . إِلَى مَا بَعْدَ مَوْتِكَ . . . إِلَى الْأَجْيَالِ
الْمَتَعَاقِبَةِ .

حَقًّا إِنَّ كِلَا الْاِثْنَيْنِ عَلَى خَيْرٍ . . . وَلَكِنْ: بَيْنَ
الْاِثْنَيْنِ مِنَ الدَّرَجَاتِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ! .

فَأَيْنَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ عَلَى أَرْضِ الْجَنَّةِ بِمَنَازِلَ
كَرِيمَةٍ، مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحَتْ مَنَازِلُهُمْ كَالْكُوكِبِ
الدَّرِيِّ الْغَابِرِ فِي السَّمَاءِ!؟

أَيْنَ الَّذِي لَهُ نُورٌ بِطَرْفِ إِصْبَعِهِ يَضِيءُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، مِنَ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ!؟

أَيْنَ الَّذِي يَثْبُتُ عَلَى الْمِحْنِ أَمَامَ الْفِتَنِ - وَهُوَ

على خيرٍ عظيمٍ - من الذي ثَبَّتَ وأعادَ اللهُ على
يَدَيْهِ النَّاسَ إِلَى الإسلامِ يَوْمَ ارتدَّ العَرَبُ حتَّى
سَرَتْ مثلاً (رِدَّةٌ ولا أبا بكرٍ لها) !؟

أين مَنْ هو على الفِطْرَةِ ويعمَلُ بعِلْمِهِ في نَفْسِهِ،
مَمَّنْ شَرِبَ اللَّبَنَ مِنْ يَدِي النَّبِيِّ ﷺ حتَّى جرى من
تحتِ أَظْفَرِهِ !؟

أين مَنْ رآه النَّبِيُّ ﷺ قد لَبَسَ ثوبَ العملِ
الصالحِ حتَّى سَتَرَ عورتهِ في أرضِ المَحْشَرِ،
مَمَّنْ أخذَ يجرُّ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الثيابِ ذُبُولًا !؟
أين رائحةُ التمرةِ الخَفِيَّةِ، مِنْ رائحةِ الأُتْرَجَةِ
الفَوَاحَةِ !؟

أين الذي تمسَّكَ بالكتابِ بنَفْسِهِ، مِنْ الذينَ
يَتَمَسَّكُونَ وَيُمَسَّكُونَ النَّاسَ بالكتابِ !؟

أين مَنْ حَفِظَ مِنَ القُرْآنِ والسُّنَةِ ما حَفِظَ وَعَمِلَ
ما عَمِلَ، مَمَّنْ حَفِظَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَشَرِبَ النَّاسُ مِنْ
عِلْمِهِ وَسَقَوْا وَرَعَوْا، فَأُنِبَتِ اللهُ بِهِ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ
فحَيَّتْ بِهِ وبهم البلادُ والعبادُ !؟

أَيْنَ مَنْ حَمَلَ فِي قَلْبِهِ النُّورَ، مِنَ الَّذِي حَمَلَهُ فِي قَلْبِهِ وَفَاضَ حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ؟!!

أَيْنَ الْعَابِدُونَ مِنَ الْمَجْدِّدِينَ؟ أَيْنَ الصَّالِحُونَ مِنَ الْمُضْلِحِينَ؟ أَيْنَ الْمُقْتَصِدُونَ مِنْ: «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»؟!!

هل عرفتَ - يا مَنْ صَحَبْتَنِي فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ - أَيَّ صِنْفٍ مِنَ الْقُرَّاءِ أَرَدْتِكَ؟

هل عرفتَ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الشُّفَعَاءِ أَرَدْتِكَ . . . فَإِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَعْبُرُ الصِّرَاطَ حَبْوًا، لَكِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُرُ كَالْبَرْقِ الْخَاطِفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُدْخِلُ اللَّهَ بِشَفَاعَتِهِ مِثْلَ رِبْعَةٍ وَمُضْرَةٍ.

وَيَسْتَطِيعُ الْمُتَأَمِّلُ أَنْ يَقْيَسَ الْفَارِقَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ مِنْ خِلَالِ النَّظَرِ فِي الْأَحَادِيثِ نَفْسِهَا مَعَ الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ مَنْ أَنْفَقَ حَبَّةً وَبَيْنَ مَنْ أَوْقَفَ لَطْلَابِ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مَزَارِعَ حَبُوبٍ، نِصْفُ إِنتَاجِهَا لَهُمْ، وَالنِّصْفُ الْآخِرُ يُسْتَصْلَحُ بِهِ مَزَارِعُ جَدِيدَةٌ، أَوْ

ثُلُثٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ وَثُلُثٌ يَسْتَصْلِحُ بِهِ وَثُلُثٌ لِلْعِيَالِ كَمَا
وَرَدَ فِي حَدِيثِ الْمَلِكِ الَّذِي يَسُوقُ الْغَمَامَةَ لِمَزْرَعَةٍ
ذَلِكَ الرَّجُلِ!

وَأَنْ يُقَارِنَ مَا بَيْنَ أَجْرِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ مِنَ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ، وَبَيْنَ عَمَلٍ مَقْبُولٍ فِي صُورَةِ مَدَارَسَ
لِتَحْفِيزِ الْقُرْآنِ أَوْ جِيلٍ يُحْفَظُ وَيُعَلِّمُ الْقُرْآنَ،
فَتَتَوَارَثُهُ الْأَجْيَالُ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ!

إِنَّ أَصْلَ الْمَقَارَنَةِ عَائِدٌ إِلَى الْفَارِقِ مَا بَيْنَ فَهْمٍ
وَفَهْمٍ، وَهَيْمَةٍ وَهَيْمَةٍ، وَحَرْثٍ وَحَرْثٍ وَغَرْسٍ
وَوَغْرَسٍ . . . وَإِلَّا فَلَمْ يَتَفَاوَتْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ أَفْرَادِ
الْأُمَّةِ إِذَا كَانَ النَّصُّ الْمَعْرُوضُ أَمَامَهُمْ وَاحِدًا . . .!

فهذا هو الحديث العاشر الذي مرر معنا عن جابر
رضي الله عنه والذي يقول فيه النبي ﷺ « لا يَغْرِسُ رَجُلٌ
مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ سَبْعٌ، أَوْ
طَائِرٌ - أَوْ شَيْءٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ؟ »^(١)

(١) رواه مسلم (١٥٥٢)، كتاب المساقاة، باب : فضل الغرس
والزرع.

فبعضُ المسلمينَ يكونُ قصارى فهمه وأمله
وغرسه وعمله هو حيازة الأجرِ بغيرِ شجرةٍ،
بينما مسلمٌ آخرُ يرى فيه أكبرَ مشروعٍ تخضيرٍ
مُثمِرٍ للمنازلِ، والشوارعِ، والساحاتِ
والصحارى، للقضاءِ على ظاهرةِ التصحُّرِ والتي
جعلتْ من هذه الأمةِ أكبرَ أمةٍ صحراويةٍ على
وجهِ الأرضِ اليومَ . . . يعافها الظلُّ والبشرُ، كما
ينفرُّ منها الطيرُ والدوابُّ . . . !

من بلغَ عمله هذا المبلغَ فإنه سوفَ يتلقَى كلَّ
نصٍّ من تلكَ النصوصِ بنفسيةِ الهمامِ الغارسِ
الحارثِ . . . وإنه حقيقٌ باسمِ الهمامِ الحارثِ،
وإن أصدقَ الأسماءِ حارثٌ وهمَّامٌ، فهو يريدُ أن
يصنعَ مِنَ الناقةِ مَبَارِكٍ ومصانعَ، وَمِنَ الحبةِ حُبوباً
ومزارعَ، وَمِنَ الحرفِ حلقاتٍ ومدارسَ، وَمِنَ
البئرِ بلاداً يُحييها، وهكذا .

فارقٌ كبيرٌ بينَ أن تدعوَ رجلاً إلى الإسلامِ
فحسبُ، وبينَ أن تدعوَه وتردَّه إلى قومه داعيةً

يَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مَنْ وَّرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، فَيُدْخِلُهُمْ
اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، كَمَا كَانَ عَمَلُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ
الِدَاخِلِينَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ الْآخَرَى ،
حَتَّى غَيَّرَ اللَّهُ بِهِمْ بِلَادَهُمْ ، وَكَانُوا بَرَكَةً عَلَى مَا
حَوْلَهَا مِنَ الْبِلَادِ .

فَمَاذَا صَنَعَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ؟

وَمَاذَا صَنَعَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ مَعَ قَوْمِهِ؟

وَمَاذَا صَنَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعَ دَوْسٍ كَذَلِكَ؟

وَمَاذَا صَنَعَ عَرُوةُ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدُ ثَقِيفٍ

بِثَقِيفٍ ، وَمَاذَا صَنَعَتْ بِهِ؟

مَاذَا صَنَعَ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ؟

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

قَالَ : «بَعَثَ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضِمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ إِلَى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدِمَ عَلَيْنَا فَأَنَاحَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ

الْمَسْجِدِ فَعَقَلَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ :

أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَنَا

ابن عبد المطلب، فقال: مُحَمَّدٌ؟ قال: نَعَمْ، قال: يا مُحَمَّدُ! إني سائلكَ ومُعْلِظُ عليك في المسألة فلا تجدنَّ عليَّ في نَفْسِكَ، فَإِنِّي لا أَجِدُ في نَفْسِي، قال: سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، قال أَنشُدكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كائِنَ بَعْدَكَ: اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قال: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قال: أَنشُدكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ قَبْلَكَ وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كائِنَ بَعْدَكَ: اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَعْبُدَهُ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَوْثَانَ وَالْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ؟ فقال ﷺ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً، الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَفَرَائِضَ الْإِسْلَامِ كُلَّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ كَمَا أَنشَدَهُ فِي الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَسَأُودِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ لا أَزِيدُ وَلا أَنْقُصُ، ثُمَّ انصرفت راجعًا إلى بعيثه، فقال رسولُ الله ﷺ حين ولى: إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ

الجنة، وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعرَ ذا غديرتين ثم أتى بغيره فأطلق عقاله، حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به وهو يسب اللات والعزى، فقالوا: مه يا ضمام اتق البرص والجذام والجنون، فقال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً، استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى ذلك اليوم من حاضرتَه رجلٌ ولا امرأةٌ إلا مسلماً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوفد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه (١).

وماذا صنع من جاء يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمير ابن وهب الجمحي رضي الله عنه بعدما أسلم، وعاد إلى

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٣٨٠)، وقال: صحيح، وصححه الذهبي في التلخيص.

مَنْ أَرْسَلَهُ فَأَسْلَمُوا؟

وَمَنْ الَّذِي أَتَى بِالْأَقْوَامِ لِلْإِسْلَامِ أَفْوَاجًا، وَمَنْ
الَّذِي أَقَرَّ عَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ..؟

وما سَبَبُ نَزُولِ سُورَةِ النَّصْرِ إِلَّا عَمَلٌ هَؤُلَاءِ
الدَّعَاةِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُمْ كَانَ تَوَابًا ﴿٣﴾
[سورة النصر].

ثم ماذا صنع هؤلاء الدعاة حين ارتد أقوامهم
عن الإسلام... ألم يكونوا هم الحافظين للدين
في البلاد لأنهم أهل البلاد..؟!!

فلقد كان الحافظ لبني طيء - لما ارتدوا
وانضموا إلى جيش المتنبئ طليحة الأسدي - هو
عدي بن حاتم الطائي الذي أعادهم إلى الإسلام
بإذن الله ثم بأمر الصديق، وهكذا صنع الآخرون
فكما كانوا هم مشعل الهداية، فقد أصبحوا هم
صمام الأمان .

يوجدُ فارقٌ كبيرٌ بين فاتحٍ يفتحُ ويبقى في البلادِ مُكتفياً بذلك، وبين فاتحٍ ينشرُ الإسلامَ في ذلك البلدِ، يُؤلفُ من أهلِ البلدِ كتائبَ تحملُ النورَ إلى أهلِها وما جاورها، وتنشأ الأجيالُ عليها.

وعلى هذه الطريقِ تسلّمَ المسلمونَ الفاتحونَ من أهلِ البلادِ زمامَ الأمورِ في بلادِهِم فكونوا منهمُ القادةَ، ومنهم العلماءُ، ومنهم الكتائبُ حسبَ ظروفِ كلِّ بلدٍ وما جاوره... وهذا هو المنهجُ المتَّبَعُ عندهم في العلمِ والتربيةِ والتزكيةِ كذلك، وما شاعَ العِلْمُ في الدنيا إلا من أولئك الصحابةِ لما تنقلوا في بلادِ اللهِ فكانوا نعمَ المبلِّغونَ ونعمَ الغارسونَ في أرضِ اللهِ .

فارقٌ كبيرٌ بينَ أن يضعَ رجلٌ أموالَهُ بين يديكَ فتفرِّحَ بها الفقراءُ في لحظةٍ، وتتركُهُم بعد ذلك يطلبونَ غيرها، وبينَ أن تُؤسِّسَ بأمواله أوقافاً قائمةً دائماً جاريةً إلى يومِ القيامةِ...!

وبهذا الفهمِ أصبحَ الوقْفُ سُنَّةً ساريةً عامَّةً

جاريةً في عُرْفِ صحابةِ النبي ﷺ . . . وهكذا
جَرَتْ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَلَوْلا تَفْكِيرُ الصَّحَابَةِ
بِالصَّدَقَاتِ الْجَارِيَةِ بِكُلِّ صُورِهَا لَمَا بَقِيَ الْإِسْلَامُ
- بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى - إِلَى الْيَوْمِ، وَأَعْمَالُنَا فِي
مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِمْ، وَحَسَنَاتِ الْجَمِيعِ فِي مِيزَانِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَالآنَ أَعُودُ لِلسُّؤَالِ الْأَهْمِّ: هَلْ أَدْرَكْتَ
قَصْدِي؟

وَيَبْقَى مِنْ حَقِّكَ بَعْدَمَا أَدْرَكْتَ قَصْدِي أَنْ
تَسْأَلَنِي قَائِلًا: هَلْ بَلَغْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ فِي
هَذَا الْغِرَاسِ قَصْدَكَ؟

وَبَعْضُ الْجَوَابِ يَأْتِيكَ فِيمَا سَيَأْتِي فِي الْأَجْزَاءِ
الْقَادِمَةِ مِنْ أَجْزَاءِ «الغراس» - بِإِذْنِ اللَّهِ - أَمَا
بَعْضُهُ الْآخِرُ ففِي الْخَاتَمَةِ الْآتِيَةِ . فِيمَا أَسْمَيْنَاهُ
[بَيْنَ مَا كَتَبْتُ وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ]

بَيْنَ مَا كُتِبَتْ... وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ

كَلَا وَاللَّهِ لَمْ أَبْلُغْ بَعْدُ مَا أَرْجُو، فَإِنَّ بَيْنَ مَا
كُتِبْتُ وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ خَافِقًا لَا يُرَى طَرَفَاهُ!

ذَلِكَ أَنَّ بَيْنَ مَا قَرَأْتُ فِي هَذَا الْغِرَاسِ وَبَيْنَ مَا
أُرِيدُ سِرًّا عَظِيمًا عَظِيمًا... سِرًّا اسْمُهُ:
«الْحَيَاةُ»...

وَلَنْ تُبْعَثَ فِي هَذَا «الْغِرَاسِ» الْحَيَاةُ حَتَّى تُخْرِجَهُ
- أَنْتَ - مِنْ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ إِلَى مِيدَانِ الْحَيَاةِ...

وَلَنْ تُبْعَثَ فِيهِ الْحَيَاةُ وَإِنْ غَرَسْتَهُ فِي مِيَادِينِ
الْحَيَاةِ، مَا لَمْ يَتَقَبَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَكْتُبَ لَهُ الْحَيَاةَ...

وَلَنْ تُبْعَثَ فِيهِ الْحَيَاةُ مَا لَمْ تَسْقِ كُلَّ غِرَاسٍ مِنْ
رُوحِكَ فَوْرَ تَلْقِيهِ، فَتَشْعَرَ أَنَّكَ مَعَ كُلِّ قَارِيٍّ فِي
سَبَاقِ سِقَاءِ الْأَرْوَاحِ، لِكُلِّ غِرَاسٍ مِنْهَا، فِي
الْغَدْوِّ وَالرَّوْحِ...

فكيف يُمكنُ أن أكونَ بلغْتُ قَصْدِي بمجردِ
كتابةِ الغراسِ على الورقِ؟!

سأبقى مُشفقاً - واللَّهِ - على نفسي من ردِّ عملي
وموتِ غراسي، وذهابِ صَبَابتي على غيرِ سَعْدَائِي!
سأبقى مُعَلَّقَ القلبِ برَبِّي حتى يُكْتَبَ - لهذا
الغراسِ - القبولُ في السماءِ، ويُكْتَبَ له القبولُ
في الأرضِ... فأراه قد اهتَزَّتْ به الأرضُ
ورَبَّتْ وأنبَتَتْ... فتحوَّلَ الغراسُ من كلماتٍ
على الأوراقِ إلى رياضٍ حقيقيَّةٍ قد أحيها اللهُ
بكلِّ زَوْجٍ بهيجٍ.

تحوَّلَ إلى رياضٍ في هذه الأرضِ - كلِّ الأرضِ
- ورياضٍ في القبورِ، وفي ساحةِ النشورِ، وفي
علالي جنةٍ عرضُها السماواتُ والأرضُ...

وكيف يُمكنُ أن أكونَ بلغْتُ قَصْدِي في حياتي
بمجردِ الكتابةِ، والتَّحْبِيرِ، والتبويبِ، والتنقيطِ،
وتصنيفِ الكلماتِ.

فوالله لو أني استطعتُ أن أجعلَ من كلِّ بابٍ من أبوابِ هذا الكتابِ باباً حقيقياً لرياضِ حقيقةٍ قائمةٍ من رياضِ الصدقاتِ الجاريةِ، الدائمةِ، الذي لا يُعَلَّقُ إلى يومِ القيامةِ . . . لفعلتُ .

ولو استطعتُ أن أجعلَ من كلِّ كلمةٍ من كلماتِ هذا «الغراسِ» نجمةً تُضيءُ للناسِ لِيَسْلُكُوا السبيلَ، فيغرسُوا الصدقاتِ الجارياتِ . . . لفعلتُ .

لو أني استطعتُ أن أجعلَ من كلِّ حركةٍ فوقَ حرفٍ في هذا الكتابِ . . . غمامةً تُسقي الحروفَ فتنبتَ الغراسَ المباركُ في هذه الدنيا . . . لفعلتُ .

لو أني استطعتُ أن أجعلَ من كلِّ نقطةٍ على حرفٍ أو أسفلِ حرفٍ . . . حبةً أغرسها في أرضِ القلوبِ فتنبتَ في أرضِ الواقعِ حياةً كاملةً صالحةً . . . لفعلتُ .

ولو أني استطعتُ أن أصنعَ من هذا الورقِ رجالاً مُجدِّدينَ . . . لفعلتُ .

أخي القارئ: لا تستكثرُ هذا الأملَ عليَّ

وعليك . . . فأملنا ليسَ بالورقِ ولا بالحبرِ الذي عليه، ولكنَّ أملنا باللهِ مُنزَّل الكتابِ، ومُجري السحابِ، وهازمِ الأحزابِ . . . القائلِ: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

أخي القارئ: إننا ما تعدَّينا وما اعتدَّينا، فإنَّ أملَ النبيِّ ﷺ كانَ أكثرَ من هذا، وأعظمَ مما ذكرنا، وقد كانَ يقولُ لأصحابه الذين قالوا: إذا نُكِّثِر، قال: اللهُ أكثرُ.

وما كانَ ﷺ يتركُ طموحهَ أملاً وأمنيَّةً، بل كانَ يرفعهُ إلى ربِّه في دعائه، رابطاً أملَهُ في تحقيقِ دعائه بقُدرةِ الله تعالى، مُتبرِّئاً من حوله وقُدْرته، وبذا يُصبحُ الأملُ مُتحققَ الوقوع . . .

فإذا كانَ ما حقَّقه رسولُ الله ﷺ بالنسبةِ لعظماءِ العظماءِ أمانِيٍّ وأحلاماً ربُّما كانوا يحلمون بها أو لا يحلمون، فماذا ترى ستكونُ أحلامُ النبيِّ ﷺ وأمانيه . . ؟

إنك لا تملك وأنت تستمعُ إلى دعواتِ
المصطفى ﷺ إلا أن تتساءلَ بعدها قائلاً: وماذا
ترك رسولُ ﷺ من خيرٍ لم يدعُ به؟

وتعيدُ الكرةَ ثانيةً فيعودُ إليك البصرُ مذهباً من
سؤالهِ ﷺ ربّه - سبحانه رفيعَ الدرجاتِ - أعلى
الدرجاتِ العُلى، وسؤالهِ خيرَ الخيراتِ، وسؤالهِ
من كلِّ ما في خزائنِ اللّهِ من خيرٍ، واستعاذتُهُ من
كلِّ شرٍّ خزائنه بيده سبحانه.. !

أليسَ هو الراجي ربّه المقامَ المحمودَ
الأوحد.. الحاشدَ أمتَهُ من خَلْفِهِ، تدعو له
بهذا المقامِ خاصّةً، ستّ مراتٍ في ختامِ كلِّ أذانٍ
إلى يومِ القيامةِ..؟

فانظرِ الآنَ من جديدٍ في كلماتِهِ الصاعدةِ إلى
اللّهِ، وعِشْ مع ضَرَعاتِهِ ﷺ من جديدٍ، وأطلقْ
لرُوحِكَ الطامحةِ أن تتألّقَ مع مُنَاشداتِهِ ومُنَاجاتِهِ،
وهي تُردّدُ دعواتِهِ هذه، كما رَدَّدَها هو ﷺ ورفعها
إلى اللّهِ العليِّ الأعلى..

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ،
 وَخَيْرَ النِّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ
 الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، فَاللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي، وَثَقِّلْ
 مَوَازِينِي، وَحَقِّقْ إِيْمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَاتِي، وَتَقَبَّلْ
 صَلَاتِي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ
 الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ،
 وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ، وَظَاهِرَهُ، وَبَاطِنَهُ،
 وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتَى، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ،
 وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَّنَ وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ،
 وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعْ
 وِزْرِي، وَتُصَلِّحَ أَمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي وَتُحَصِّنَ
 فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ
 الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبَارِكَ فِي نَفْسِي، وَفِي
 سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي،

وفي خُلُقِي، وفي أهلي، وفي مَحْيَايَ، وفي مَمَاتِي، وفي عَمَلِي، فتقبَّلْ حسناتي، وأسألك الدرجاتِ العُلى من الجنة، آمين»^(١).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ»^(٢).

«اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشِمْتُ بِي عَدُوًّا وَلَا حَاسِداً. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرِّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ»^(٣).

لا . . . لَنْ أَلْقِيَ التَّبِعَةَ عَلَيْكَ - أَخِي الْقَارِئُ فِي

(١) أخرجه الحاكم (٧٠١/١) وقال هذا الحديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦) في كتاب الدعاء، باب: الجوامع من الدعاء، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٠٦/١) وحسن إسناده الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٠).

ختام الجزء مِنْ هذا الغراسِ - وَأَتَنَحَّى جانباً،
فأكونَ كالذي يُريدُ بهذا الكتابِ براءةَ ذِمَّتِهِ،
وإسقاطِ الواجبِ عن نَفْسِهِ، أو كالمقاتلِ الذي
يُسَلِّمُ سلاحه إلى مَنْ لا سلاحَ له لِيُقَاتِلَ نيابةً عنه
فيعودُ هو إلى أبنائه!

إنَّ الهَمَّ هنا مُشْتَرِكٌ، والغايةُ مَرْضَاةُ اللَّهِ، وأنا وأنتَ
- أخي القارئُ - نتقدَّمُ مُقتدِينِ برسولِ اللَّهِ ﷺ،
مُحْتَمِينِ، مُطْمَئِنِّينِ، واثقينَ برَبِّ سميعٍ بصيرٍ . . .
يقولُ لي ولكَ كما قال لقدوتنا هارونَ وموسى: ﴿لَا
تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ
على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إِنَّكَ حميدٌ مجيدٌ،
وباركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على
إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إِنَّكَ حميدٌ مجيدٌ.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربَّ العالمينَ

جزاكم الله خيراً...

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لِي بِرَدِّ جَمِيلٍ مَنَ أَحْسَنَ إِلَيَّ فِي هَذَا «الغِراس» - وما أَكثَرُهُم - وليس لي في مكافأتهم من سبيل إلا أن أَرْفَعَ أمرَهُم إِلَيْكَ بِقَوْلِي لَهُم: «جزاكم اللهُ خيراً».

فجزاكم اللهُ خيراً... . يا مَنْ غَرَسْتُمْ فِي هذِي الرِياضِ غِراساً بِكَلِمَةٍ، أو فِكْرَةٍ، أو توجِيهِ، أو تصحِيح، أو مِراجِعَةٍ، أو دَعْوَةٍ... من عِلْماء، وطلابِ عِلْم، وِعامَّة... عَلمُوا بِغِراسِهِم - هنا - أَمْ لَمْ يَعلَمُوا.

جزاكم اللهُ خيراً... . أَدْعُو بِها لَكُمْ يا مَنْ أَدْرَكْتُمْ مُرادِي البَعِيدَ الباقِي، كما أَرَدْتُهُ في أَعماقِ أَعماقِي... بَعْدَما تَقاصَرَ القَلَمُ عَنِ الوُضوحِ، في بَيانِ طُموحِ الرُوحِ... فِتفاعَلْتُمْ عِندَ قِراءَةِ مُسَوِّدَةِ الغِراسِ، وَتَحَرَّقْتُمْ لِيومِ نَشْرِهَ بَيْنَ الناسِ.

جزاكمُ اللهُ خيراً... .

أرسلها إلى مَنْ لَمْ أعرفْ بَعْدُ، مِمَّنْ سيجدُ اليومَ في هذا «العِراسِ» المرأةَ التي يَرى فيها طُموحَه، لِأوَّلِ مرَةٍ في حياتِه، إِذْ لَمْ يتكلَّمْ به - مِنْ قَبْلُ - لسانُه، أو يُقَيِّدُه بَنانُه... . فتلقاه لقاءً من وُلْدِ لَه وُلْدٌ و لَمْ يَرَهْ إِلا بَعْدَما كَبِرَ، فغَرَسَ بذرَ حُبِّه وَحَبِّه في جَذرِ قلبِه، قَبْلَ أَنْ يَغْرِسَه في خَصِيبِ أرضِه... . ولسانُ حالِه يقولُ: لئن قَدَرَ اللهُ أَنْ يكونَ كاتبُ «العِراسِ» فلاناً، فأنا صاحِبُه مِنْ قَبْلِه، وغارِسُه مِنْ بَعْدِه... . فصاحبُه من صَحْبِه وغرَسَه، لا مَنْ كَتَبَه ونَسِيَه... . فلهُ الاسمُ والكتابةُ، ولنا العملُ والإمامةُ... . وشتانَ بينَ الاثنينِ شتَان!

جزاكمُ اللهُ خيراً... .

يا مَنْ جعلني اللهُ مِنْ غَرَسِكُما... . إليكما: «العِراسِ» واصلاً لَكُما إِذْ نَزَلْتُما عندَ أرحمِ الراحمينَ... . وإلى أهلي، وأصحابي، وأحبابي،

ولكلِّ إخوتي المؤمنين . . . أقدمُ لهم هذا
 «الغراس» بذراً، وظللاً، وثمرًا، وأجرًا باقياً
 يَجري إلى يومِ الحسابِ والحصادِ العظيمِ . . .
 ليرى الناسُ منازلَ الغارسينَ من بينِ منازلِ
 المُتقينَ . . . !

إذا أنتَ لمَ تغرسِ وأبصرتَ حاصداً
 ندمتَ على التفريطِ في زمنِ البذرِ
 فاللهمَّ حقِّقْ لي ، ولكلِّ من قرأه من المسلمينَ ،
 إجابةَ الدعاءِ العظيمِ : ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْتَقِينَ إِمَامًا﴾ .

اللهمَّ صلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ، كما
 صليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ، إنك
 حميدٌ مجيدٌ. وباركْ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ
 مُحَمَّدٍ، كما باركتَ علي إبراهيمَ وعلى آلِ
 إبراهيمَ، إنك حميدٌ مجيدٌ.

أخوكم

توفيق بن خلف بن عبدالله الرفاعي

«هذي الغراس»^(١)

هذي الغراس الباسقاتُ لزارعين
 للدَّارِ الأخرى ذاكِرين وراغبين
 يفري الهُمَامُ العبقريُّ أصولها
 وفروعها حتى تطيبَ للأكلين
 وِعْدًا بفهمٍ سامقٍ يُهدي لنا
 من تَمْرهنَّ عصارَةَ للشاربين
 لهفي على يومٍ سَرَفْتُ صَبَاحَه
 ومساءه أَلهُو كَشَّانِ الغافلين
 متخاذلاً عن كلِّ فِعْلٍ طَيِّبٍ
 مُتَهَافِتًا أَقْفُو خُطَى للقاسطين
 إِنِّي على عُمُرٍ أَضَعْتُ شِبَابَهُ
 قَبْلَ انْتِشَالِي بِالغراسِ فَتَى حزينٍ
 إِنَّ الغِرَاسَ عيونه فيَاضةٌ
 وبذوره تُسقى بأيدي الزارعين

(١) بقلم الشيخ محمد فال.

قام الرفاعي الأريب يمتحها
 بدلائه من بئرهِ برشا متين
 شتان بين مُرتلِ بلسانه
 ومشيّد صرّحا يُعدُّ القارئين
 ذاك الثّوابُ بموته مُتوقّف
 هذا له أجر الجموع الحافظين
 أين الذين يُمسكون بكتبهم
 من معشرٍ حرّصا عليها ماسكين
 لا يستوي إنفاق حبة خردل
 وسنابل ومزارع للبائسين
 هيهات مُقتصد بأرفع جنّة
 من جنّة للسابقين السابقين
 بؤن كبير بين نور أصابع
 وكواكب وضاءة للناظرين
 هل يستوي في الأجر من في قلبه
 نورٌ ومن يمشي به في العالمين
 إنّ الهداية لا يكونُ شبيهاها
 بل فوقها إلا هداية غافلين

هل يرفع الأوطانَ إلا ساعدُ
 يسقي عطاشًا أو يُغذي جائعينُ
 أو ينفع الإنسانَ إلا دعوةُ
 تهدي نفوسَ الضائعين الحائرينُ
 هذي الغراسُ وقد سقيتَ فصولها
 بذنوبِ فكرِ آيةٍ من ما معينُ
 ما خطَّ إبهامٌ ولا سبَّابةُ
 من راحةٍ يسرى ولا أخرى يمين
 مضمونها العذبَ البديعَ وشكلها
 أنى تخطَّ حروفها من كاتبينُ
 فمداؤها مدَّ الفوادِ ببلسم
 جعلَ الحياةَ عبادةً للعارفينُ
 وثمارها تشفي صدورا زُلزلتْ
 للمسلمينَ المؤمنينَ الصادقينُ
 صلى الإلهُ على النبيِّ محمدٍ
 والآلِ والصحبِ الهداةِ العارسينُ

فهرس الموضوعات

- ١١ المقدمة -
- ١٧ فَهْمُ الْغِرَاسِ فِي ثَلَاثِ -
- ١٩ المدخل -
- ٢٢ أولا: الأفكارُ الْمُتَفَجِّرَةُ، قَبْلَ الأَعْمَالِ النَّصِرَةِ -
- ٢٩ ثانيا: الأيدي الحارثة، قَبْلَ الظلالِ الوارفةِ ... -
- ٤١ ثالثاً: العيونُ الساقيةُ، قَبْلَ الرياضِ الباقيةِ ... -
- ٥٩ غِرَاسُ الأحاسيسِ الحارثةِ -
- ٧٥ غِرَاسٌ فِي أَصْغَرِ مَكَانٍ، وَأَقْصَرَ زَمَانٍ -
- ٩٣ غِرَاسُ شَجَرَةِ الْمُؤْمِنِ -
- ١١١ غِرَاسُ دَاعِيَةِ إِمَامٍ -
- ١٢٩ غِرَاسٌ فِي مَسْجِدِ الشَّيْطَانِ -
- ١٥١ غِرَاسُ الوَفْدِ الطَّلَابِيِّ -
- ١٦٥ غِرَاسٌ عَقْلِيَّةٌ اصْطِنَاعِ البَدَائِلِ النَافِعَةِ -
- ١٩٩ غِرَاسُ رَابِطَةِ الخُطْبَاءِ -
- ٢١٨ أنموذجُ خُطْبَةِ لَغِرَاسٍ جَارٍ -
- ٢٤١ غِرَاسُ أَرْبَابِ العَمَلِ -
- ٢٦٣ غِرَاسُ المُهَاجِرِ -
- ٢٨١ غِرَاسُ العَامِيِّ الفَقِيرِ -

- ٢٩٩ غِرَاسُ الْأَطْبَاءِ -
- ٣١٩ غِرَاسُ الْأَمْهَاتِ -
- ٣٤٩ غِرَاسُ الْأَطْفَالِ -
- ٣٦٧ غِرَاسُ هَيْئَاتِ مَنَافِعِ الْمَجْتَمَعِ -
- ٣٧٧ غِرَاسُ هَيْئَةِ الشَّافِعِيْنَ -
- ٣٩٢ غِرَاسُ هَيْئَةِ الْإِصْلَاحِ -
- ٤١١ غِرَاسُ هَيْئَةِ الْغَارِمِينَ -
- ٤٣٠ هَيْكَلُ إِعَانَةِ الْغَارِمِينَ -
- ٤٣٩ غِرَاسُ نِظَارَةِ الْوَقْفِ -
- ٤٤٢ سَنَدُ نِظَارَةِ وَقْفٍ -
- ٤٦١ غِرَاسُ الْمَرْكَزِ الدَّعْوِيِّ -
- ٤٨٧ غِرَاسُ الْمَكْتَبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ -
- ٥٠٩ غِرَاسُ مَرْكَزِ الْإِسْتِكْشَافَاتِ الدَّعْوِيَّةِ -
- ٥٢١ غِرَاسُ الْمَعَاهِدِ -
- ٥٤٧ هَلْ أَدْرَكْتَ قَصْدِي...؟! -
- ٥٦٩ بَيْنَ مَا كُتِبْتُ، وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ -
- ٥٧٨ جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا... -
- ٥٨١ هَذَا الْغِرَاسِ -
- ٥٨٥ فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ -

تم الصف والإخراج

بشركة دار الكرامة للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان

ت: ٢٤٧٢٠٧٠٧

هذا
الكتاب

بين ما كتبت... وبين ما أريد

كلا. واللّه لم أبلغ بعد ما أُرْجُو، فإنّ بين ما
كتبت وبين ما أريد خافقاً لا يرى طرفاه!

ذلك أنّ بين ما قرأت في هذا الغراس وبين ما
أريد سرّاً عظيماً عظيماً... سرّاً اسمه:
«الحياة»...

ولن تُبعث في هذا «الغراس» الحياة حتى تُخرجه
- أنت - من هذه الأوراق إلى ميدان الحياة...

ولن تُبعث فيه الحياة وإن غرسته في ميادين
الحياة، ما لم يتقبّله الله تعالى ويكتب له الحياة...

ولن تُبعث فيه الحياة ما لم تسق كل غراس من
رُوحك فور تلقّيه، فتشعر أنّك مع كل قارئ في
سباق سقاء الأرواح، لكل غراس منها، في
الغدو والروح...

بالتفصيل